جامعة الرياض

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

University of Riyad
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ٣٢٩٥ الرقم Date التاريخ

٢/٧٦٤ ف
١٤٠٠/٤/٧ هـ

ج ١٦ ٧٦١٦ شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله المتوفى ٦٥٥ هـ

[شرح نهج البلاغة في عشرين جزءاً]

معجم الأدباء ٥ : ١٠٦

كشف الظنون : ١٩٩١

٨١٫٨
ش ح

Copyright © King Saud University

٨١٩
ش.ح

شرح نهج البلاغة ، جزء منه ، تأليف عبد الحميد بن هبة الله
ابن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبو حامد ،
عز الدين (٥٨٦-٦٥٥هـ) . كتبت في القرن الحادي
عشر الهجري تقديرا .

٣٢٩٥ ز

ج ١٦، ١٧ في مجلد (٥٨+٥ق) ٣٥ ق ،
٣٠×٢١سم .
نسخة حسنة ، خطها معتاد ، الجزء السابع عشر ناقص
آخره . طبع .
الأعلام ٤ : ٦٠ ، دار الكتب المصرية ٣ : ٢٢٦
١- البلاغة العربية أ- ابن أبي الحديد ، عبد
الحميد بن هبة الله -٦٥٥هـ ب- تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

الجزء السادس عشر من شرح بن ابى الحديد

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الأصل ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فها أنا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعق مع أني عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما إلى بري ولا ناكثا إلى وفي

الشرح ما لم تغبوا عنه أي تسهوا عنه ولم تغفلوا يقال غبيت عن الشيء وغبيت الشيء أغبى غباوة إذا لم يفطن له وغبي علي الشيء كذلك إذا لم تعرفه وتغابى فلان أي تغافل الفطنة عليه وقد تغابيا أي تغافل يقول لهم قد كان من جرحكم يوم الجمل من الطاعة وشقكم حبل الجماعة وشقاقكم ما لستم أغبياء عنه فعفوت ورفعت السيف وقبلت التوبة والإنابة والمدبر هاهنا الهارب والمقبل الذي يقر ذلك جاء فاعتذر وسئل ثم قال فإن خطت بكم الأمور يقال خطا فلان يخطو وهو مقدار ما بين القدمين فهذا لازم فإن عديته قلت أخطيت بفلان وخطوت به وهاهنا قد عداه بالباء المردية المهلكة والجائرة العادلة عن الصواب والمنابذة مفاعلة من نبذت إليه عهده أي ألقيته وعدلت عن السلم إلى الحرب أو من نبذت زيدا أي اطرحته ولم احفل به قوله وقد قربت جيادي أي أمرت بتقريب خيلي إلى لأركب واسير إليكم ورحلت ركابي الركاب الإبل ورحلتها شددت على ظهورها الرحل قال

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك فما تقول بدا لها

قوله كلعقة لاعق مثل يضرب للشيء الحقير التافه ويروى بضم اللام وهي ما تأخذه الملعقة ثم عاد فقال مادحا المشوبة بالذم مع أني عارف فضل ذي الطاعة منكم وحق ذي النصيحة ولو عاقبت لما عاقبت البري بالسقيم ولا أخذت الوفي بالناكث خطب زياد بالبصرة الخطبة البتراء المشهورة وقال لآخذن البري بالسقيم والمقبل بالمدبر والوالد بالولد والجار بالجار أو تستقيم لي قناتكم فقام أبو بلال مرداس بن أدية يهمس وهو حينئذ شيخ كبير فقال أيها الأمير أنبأنا الله بغير ما قلت وحكم بغير ما حكمت قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد يا أبا بلال إني لأجهل ما علمت ولكنا لا نخلص إلى الحق منكم حتى نخوض إليه الباطل خوضا وفي رواية الرياشي لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم

الأصل ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته فإن للطاعة أعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الأكياس ويخالفها الأنكاس ومن نكب عنها جار عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته وأحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غاية خسر ومحلة كفر وإن نفسك قد أولجتك شرا وأقحمتك غيا وأوردتك المهالك وأوعرت عليك المسالك

الشرح قوله وغاية مطلبة أي مساعفة لطالبها بما يطلبه تقول طلب فلان مني كذا فأطلبته أي أسعفته به وقال الراوندي مطلبة بمعنى متطلبة يقال

طلبت

طلبت كذا وتطلبته وهذا ليس بشيء ويخرج الكلام عن أن يكون له معنى والأكياس العقلاء والأنكاس جمع نكس وهو الدنيء من الرجال ونكب عنها عدل وقوله وحيث تناهت بك أمورك الأولى أن يكون هذا معطوفا ولا يستأنف بقوله فقد بين الله لك سبيلك بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف حيث أنت أي قف حيث أنت فلا يذكرون الفعل ومثله قولهم مكانك أي قف مكانك قوله فقد أجريت يقال فلان قد أجرى بفعله إلى كذا أي الغاية التي يقصدها فهي كذا مأخوذ من إجراء الخيل للمسابقة وكذلك قد أجرى بفعله إلى كذا أي انتهى إلى كذا ويروى قد أولجتك شرا أي أورطتك في الوحل والغي ضد الرشاد وأقحمتك غيا جعلتك مقتحما له وأوعرت عليك المسالك جعلتها وعرة وأول هذا الكتاب أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح موازرتي وتزعمني متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة إني لم أشاغب إلا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم أتجبر إلا على باغ مارق أو ملحد منافق ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله ورسوله ولو كان آباؤهم أو أبناؤهم وأما التقصير في حق الله فمعاذ الله إنما المقصر في حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة وركن إلى الأهواء المبتدعة وأخلد إلى الضلالة المحيرة ومن العجب أن تصف يا معاوية الإحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة مع نبذ الإسلام وتضييع الأحكام وطمس الأعلام والجري في الهوى والتهوس في الردى فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك الفصل المذكور في الكتاب وفي الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضي رحمه الله وأن للناس جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فإنك إلى الله راجع وإلى حشره مهطع وسيبهظك كربه ويحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون

الأصل ومن وصية له عليه السلام للحسن ابنه عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا إلى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الأسقام ورهينة الأيام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الأموات

الشرح قال الزبير بن بكار في أنساب قريش ولد الحسن بن علي عليهما السلام للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا وتوفي لليال خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين قال والمروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سماه حسنا وحسينا يوم سابعهما واشتق اسم حسين من اسم حسن قال وروى جعفر بن محمد عليهما السلام أن فاطمة عليها السلام حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة قال الزبير وروت زينب بنت أبي رافع قالت أتت فاطمة عليها السلام بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أما حسن فإن له هيبتي وسوددي وأما حسين فإن له جرأتي وجودي وروى محمد بن حبيب في أماليه أن الحسن عليه السلام حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الجنائب معه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات ماله حتى أنه كان يعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا وروى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضا أن الحسن عليه السلام أعطى شاعرا فقال له رجل من جلسائه سبحان

لله الغطى بنا عن الغضى الرجان ويقول البهتان فقال عبد الله ان تخبر ما بدا لنا من مالك
ما وقيت به عرضك وان من اشغال الحسن انفق الشيء وروى ابو جعفر قال قال ابن عباس رحمه الله
اول ذل دخل على الاسلام موت الحسن عليه السلام وروى ابو الحسن المدائني قال سقي الحسن عليه السلام
السم اربع مرات فقال لقد سقيته مرارا ما شق علي مثل هذه المرة فقال له الحسين عليه السلام
اخبرني من سقاك قال لتقتله قال نعم قال ما انا بمخبرك ان يكن صاحبي الذي اظن فالله اشد
نقمة والا فما احب ان تقتل بي بريء وروى ابو الحسن قال قال معوية لابن عباس ولقيه
بمكة يا ابن عباس وفاة الحسن شرف عليه عار وقفي بعده وحم ابن عباس لا يحزنك ولا يسوءك
فقال لا يسوءني ما ابقاك الله فامر له بمائة الف درهم وروى ابو الحسن قال اول من نعى الحسن عليه السلام
بالبصرة عبد الله بن سلمة نعاه لزياد فخرج الحكم بن ابي العاص الثقفي فنعاه فبكى الناس وابو بكرة يومئذ
مريض فسمع الصيحة فقال ما هذا فقالت امراته ميسة بنت سخام الثقفية مات الحسن بن علي فالحمد
لله الذي اراح الناس منه فقال اسكتي ويحك فقد اراحه الله من شر كثير وفقد الناس بموته خيرا
كثيرا يرحم الله حسنا قال ابو الحسن المدائني وكانت وفاته سنة تسع واربعين وكان
مرضه اربعين يوما وكان سنه سبعا واربعين سنة دس اليه معوية سما على يد جعدة بنت
الاشعث بن قيس زوجة الحسن وقال لها ان قتلتيه بالسم فلك مائة الف وازوجك فقال
يزيد ابني فلما مات وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد قال اخشى ان تصنع بابني ما صنعت بابن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب بن نجبة قال سمعت امير المؤمنين
عليا عليه السلام يقول انا احدثكم عني وعن اهل بيتي اما عبد الله بن اخي فصاحب لهو وسماح
واما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش ولو قد التقت حلقتا البطان لم
يغن عنكم شيئا في الحرب واما انا وحسين فنحن منكم وانتم منا قال ابو جعفر وروى ابن
عباس قال دخل الحسن بن علي عليه السلام على معوية بعد عام الجماعة وهو جالس في مجلس ضيق
فجلس عند رجليه فتحدث معوية بما شاء ان يتحدث ثم قال عجبا لعائشة تزعم اني في غير ما انا اهله وان
الذي اصبحت فيه ليس لي بحق ما لها ولهذا يغفر الله لها انما كان ينازعني في هذا الامر ابو هذا
الجالس وقد استاثر الله به فقال الحسن او عجب ذلك يا معوية قال اي والله قال افلا اخبرك
بما هو اعجب من هذا قال ما هو قال جلوسك في صدر المجلس وانا عند رجليك فضحك معوية
وقال يا ابن اخي بلغني ان عليك دينا قال ان لعلي دينا قال كم هو قال مائة الف قال امرنا لك
بثلاثمائة الف مائة منها لدينك ومائة تقسمها في اهل بيتك ومائة لخاصة نفسك فقم مكرما
فاقبض صلتك فلما خرج الحسن عليه السلام قال يزيد بن معوية لابيه تالله ما رايت رجلا
استقبلك بما استقبلك به ثم امرت له بثلاثمائة الف قال يا بني ان الحق حقهم فمن اتاك منهم فاحث له
وروى ابو جعفر محمد بن حبيب قال قال علي عليه السلام لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت ان يثير عداوة
قال ابو جعفر وكان الحسن عليه السلام اذا اراد ان يطلق امراة جلس اليها فقال ايسرك ان اهب لك كذا
وكذا فيقول له ما شئت او نعم فيقول هو لك فاذا قام ارسل اليها بالطلاق وبما سمى لها وروى
ابو الحسن المدائني قال تزوج الحسن بن علي عليه السلام هند ابنة سهيل بن عمرو وكانت عند عبد الله
بن عامر بن كريز فطلقها فكتب معوية الى ابي هريرة ان يخطبها على يزيد بن معوية فلقيه الحسن بن علي
عليه السلام فقال اين تريد قال اخطب هند ابنة سهيل بن عمرو على يزيد بن معوية قال الحسن فاذكرني

لها

لها فاتاها ابو هريرة فاخبرها الخبر فقالت اختر لي فقال اختار لك الحسن فتزوجته فقدم عبد الله
بن عامر المدينة فقال للحسن ان لي عند هند وديعة فدخل اليها والحسن معه فخرجت حتى جلست بين
يدي عبد الله بن عامر فرق لها رقة فقال الحسن الا انزل لك عنها فلا اراك تجد محللا خيرا لكما
مني قال لا ثم قال لها وديعتي فاخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما واخذ من احدهما قبضة وترك
الباقي عليها وكانت قبل عامر عند عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وكانت تقول سيدهم الحسن واسخاهم ابن عامر
واحبهم الي عبد الرحمن بن عتاب وروى ابو الحسن المدائني عن ابي بكر وكان المنذر بن الزبير هويها
فابلغ الحسن عليه السلام شيئا فطلقها فخطبها المنذر فقيل لها تزوجيه فقالت لا والله لا افعل
وقد فعل بي ما فعل مرتين لا والله لا يراني في منزله ابدا وروى المدائني عن جويرية بن اسماء قال لما مات الحسن
بن علي اخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره فقال له الحسين تحمل اليوم جنازته وكنت بالامس
تجرعه الغيظ فقال مروان نعم كنت افعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال وروى المدائني عن يحيى بن زكريا
عن هشام بن عروة قال قال الحسن عليه السلام عند وفاته ادفنوني عند قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ان تخافوا ان يكون في ذلك شر فلما ارادوا دفنه قال مروان بن الحكم لا يدفن
عثمان في حش كوكب ويدفن الحسن ههنا فاجتمع بنو هاشم وبنو امية واعان هؤلاء قوم وهؤلاء
قوم وجاؤوا بالسلاح فقال ابو هريرة لمروان اتمنع الحسن ان يدفن في هذا الموضع وقد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة قال مروان دعنا
منك لقد ضاع حديث رسول الله اذ كان لا يعرفه غيرك وغير ابي سعيد الخدري وانما اسلمت
ايام خيبر قال ابو هريرة صدقت اسلمت ايام خيبر ولكني لزمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اكن
افارقه وكنت اساله وعنيت بذلك حتى علمت من احب ومن ابغض ومن قرب ومن ابعد ومن
اقر ومن نفى ومن لعن ومن دعا له فلما رات عائشة السلاح والرجال وخافت ان يعظم
الشر بينهم وتسفك الدماء قالت البيت بيتي ولا اذن لاحد ان يدفن فيه وابى الحسين الا ان
يدفنه مع جده فقال له محمد بن الحنفية يا اخي انه لو اوصى ان يدفنه لدفناه او نموت قبل
ذلك ولكنه قد استثنى وقال الا ان تخافوا الشر فاي شر يرى اشد مما نحن فيه فدفنوه في
البقيع قال ابو الحسن المدائني وصل نعي الحسن عليه السلام الى البصرة في يومين
وليلتين فقال الجارود بن ابي سبرة

اذا كان شر سار يوما وليلة ۝ وان كان خيرا جد السير اربعا ۝
اذا ما بريد الشر اقبل نحونا ۝ باحدى الدواهي الربد سار فاسرعا ۝

وروى ابو الحسن المدائني قال خرج على معوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح
الحسن له فارسل معوية الى الحسن يساله ان يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن سبحان
الله تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الامة والفتهم افتراني اقاتل معك
فخطب معوية اهل الكوفة فقال يا اهل الكوفة اترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج
وقد علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون ولكني قاتلتكم لاتامر عليكم والي رقابكم وقد
اتاني الله ذلك وانتم كارهون الا ان كل مال او دم اصيب في هذه الفتنة لمطلول وكل
شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ولا يصلح الناس الا ثلاث اخراج العطاء عند محله واقفال الجنود
لوقتها وغزو العدو في داره فانهم ان لم تغزوهم غزوكم ثم نزل قال المدائني
فقال المسيب بن نجبة للحسن ما ينقضي عجبي منك بايعت معوية ومعك اربعون الفا ولم

ناخذ لنفسك وثيقة وعقدا ظاهرا اعطاك امرا فيما بينك وبينه فقال يا مسيب لو اردت بما
فعلت الدنيا لم يكن معاوية باصبر عند اللقاء ولا اثبت عند الحرب مني ولكني اردت صلاحكم
وكف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح بر او يستراح من فاجر قال
المدائني ودخل عليه ابن عمرو الكندي على الحسن عليه السلام وكان ضرب على وجهه ضربة وهو
مع قيس بن سعد بن عبادة فقال ما الذي ارى بوجهك قال اصابني مع قيس والتفت حجر بن عدي
الى الحسن عليه السلام فقال لوددت انك مت قبل هذا اليوم ولم يكن ما كان انا رجعنا راغمين
بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما احبوا فتغير وجه الحسن وغمز الحسين عليه السلام حجرا
فسكت فقال الحسن عليه السلام يا حجر ليس كل الناس يحب ما تحب ولا رايه رايك وما فعلت
ما فعلت الا ابقاء عليك والله كل يوم في شان قال المدائني ودخل عليه سفيان بن ابي ليلى
النهدي فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن اجلس رحمك الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله
رفع له ملك بني امية فنظر اليهم يعلون منبره واحدا فواحدا فشق ذلك عليه فانزل الله في ذلك قرانا
قال له وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران وسمعت عليا
ابي رحمه الله يقول سيلي امر هذه الامة رجل واسع البلعوم كبير البطن فسالته من هو فقال معاوية وقال
لي ان القران قد نطق بملك بني امية ومدتهم قال ليلة القدر خير من الف شهر قال ملك بني امية
قال المدائني ولما كان عام الصلح اقام الحسن بالكوفة اياما ثم تجهز للشخوص الى المدينة
فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزاري وظبيان بن عمارة التيمي ليودعاه فقال الحسن عليه السلام الحمد لله
الغالب على امره لو اجتمع الخلق جميعا على ان لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا فقال اخوه الحسين
عليه السلام لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل ابي حتى عزم علي اخي فاطعته وكانما
يجذ انفي بالمواسي فقال المسيب انه والله ما يكبر علينا هذا الامر الا ان تضاموا وتنتقصوا فاما
نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه فقال الحسين عليه السلام يا مسيب نحن نعلم
انك تحبنا فقال الحسن عليه السلام سمعت ابي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من احب قوما كان معهم فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل فلما
كان من غد خرج فلما صار بدير هند نظر الى الكوفة فقال

ولا عن قلى فارقت دار معاشري ... هم المانعون حوزتي وذماري

ثم سار الى المدينة قال المدائني فقال معاوية يوما للوليد بن عقبة بن ابي معيط
بعد شخوص الحسن عليه السلام يا ابا وهب هل رمت قال نعم وسمعت قال المدائني اراد معاوية
قول الوليد بن عقبة يحرضه على الطلب بدم عثمان

الا ابلغ معاوية بن حرب ... فانك من اخي ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى ... تهدر في دمشق وما تريم
وانك والكتاب الى علي ... كدابغة وقد حلم الاديم

وروى المدائني عن ابراهيم بن محمد عن زيد بن اسلم قال دخل رجل على الحسن عليه السلام المدينة وفي يده
صحيفة فقال له ما هذه قال هذا كتاب معاوية يتوعد فيه على امر كذا فقال الرجل لقد كنت على
النصف فما فعلت فقال الحسن عليه السلام اجل ولكني خشيت ان ياتي يوم القيامة سبعون الفا او
ثمانون تشخب اوداجهم دما كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه فقال ابو الحسن وكان الحصين بن المنذر
الرقاشي يقول والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما اعطاه قتل حجرا واصحاب حجر وبايع لابنه وسم

الحسن

رجل من قال المدائني وروى ابو الطفيل قال قال الحسن عليه السلام لمولى له اتعرف معاوية
بن حديج قال نعم قال فاذا رايته فاعلمني فراه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال هو هذا فدعاه فقال له انت
الشاتم عليا عند ابن آكلة الاكباد اما والله لئن وردت الحوض ولن ترده لترينه مشمرا عن ساقيه
حاسرا عن ذراعيه يذود عنه المنافقين قال ابو الحسن وروى هذا الخبر ايضا قيس بن الربيع عن
بدر بن الخليل عن مولى الحسن عليه السلام قال ابو الحسن وحدثنا سليمان بن ايوب عن الاسود بن قيس
العبدي ان الحسن عليه السلام لقي يوما حبيب بن مسلمة فقال له يا حبيب رب مسير لك في غير
طاعة الله فقال اما مسيري الى ابيك فليس من ذلك قال بلى والله ولكنك اطعت معاوية على
دنيا قليلة زائلة فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ولو كنت اذ فعلت شرا
قلت خيرا كان ذلك كما قال الله عز وجل خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنك كما قال سبحانه
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال ابو الحسن طلب زياد رجلا من اصحاب
الحسن عليه السلام ممن كان في كتاب الامان فكتب اليه الحسن من الحسن بن علي الى زياد اما بعد
فقد علمت ما كنا اخذنا من الامان لاصحابنا وقد ذكر لي فلان انك تعرضت له فاحب
ان لا تعرض له الا بخير والسلام. فلما اتاه الكتاب وذلك بعد ادعاء معاوية اياه غضب حيث
لم ينسبه الى ابي سفيان فكتب اليه من زياد بن ابي سفيان الى الحسن اما بعد فانه اتاني كتابك في
فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة ابيك وايم الله لاطلبنه بين جلدك ولحمك وان
احب الناس الي لحما انا آكله للحم انت منه والسلام فلما قرا الحسن الكتاب بعث به
الى معاوية فلما قراه غضب وكتب من معاوية بن ابي سفيان الى زياد اما بعد فان لك رايين
رايا من ابي سفيان ورايا من سمية فاما رايك من ابي سفيان فحلم وحزم واما رايك
من سمية فما يكون من مثلها ان الحسن بن علي كتب الي انك عرضت لصاحبه فلا تعرض له
فاني لم اجعل لك عليه سبيلا وان الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان والعجب من كتابك
اليه لا تنسبه الى ابيه او الى امه وكلمته فذلك حين اخترت له قلت حرى
ويعجلني بعض الاكابر وانا حاضر القول في ان عليا عليه السلام شرف بفاطمة عليها السلام فقال انسان
كان حاضر المجلس بل فاطمة شرفت به وخاض الحاضرون في ذلك بعد انكارهم تلك اللفظة وسالني
صاحب المجلس ان اذكر ما عندي في المعنى وان اوضح ايما افضل علي عليه السلام ام فاطمة عليها
السلام فقلت اما ايهما افضل فان اريد بالافضل الاجمع للمناقب التي تتفاضل الناس
بها نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك فعلي افضل وان اريد بالافضل الارفع منزلة عند الله تعالى
فالذي استقر عليه راي المتاخرين من اصحابنا ان عليا ارفع المسلمين درجة كافة منزلة عند
الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الذكور والاناث وفاطمة امراة من المسلمين وان
كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك انه قد ثبت انه احب الخلق الى الله تعالى بحديث الطائر
وفاطمة من الخلق واحب الخلق اليه سبحانه اعظمهم ثوابا يوم القيامة على ما فسره المحققون
من اهل الكلام وان اريد بالافضل الاشرف نسبا ففاطمة عليها السلام افضل لان اباها
سيد ولد آدم من الاولين والآخرين فليس في آباء علي مثله ولا مقارنه وان اريد بالافضل
من كان رسول الله صلى الله عليه وآله اشد عليه حنوا وامس به رحما ففاطمة افضل لانها
ابنته وكان شديد الحب لها والحنو عليها جدا وهي اقرب اليه نسبا من ابن العم لا شبهة
في ذلك فاما القول في ان عليا شرف بها او شرفت به فان عليا عليه السلام كان اسباب

[illegible]

شرفه وعشيرته عن الناس متنوعة فمنها ما هو متعلق بفاطمة عليها السلام ومنها ما هو م
متعلق بأبيها صلوات الله عليه ومنها ما هو منتقل بنفسه فأما الذي هو به منتقل فنحو
عفته وحلمه وشجاعته وسماحة أخلاقه وسماح نفسه وأما الذي هو متعلق برسول الله صلى
الله عليه وآله فعلمه ودينه وزهده وعبادته وسبقه إلى الإسلام وإخباره بالغيوب وأما
الذي يتعلق بفاطمة عليها السلام فنكاحه لها حتى صار بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الصهر
المضاف إلى النسب والسبب وحتى إن ذريته منها صارت ذرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وأجزاء من
ذاته عليه السلام وذلك أن الولد إنما يكون من مني الرجل ودم المرأة وهما جزءان من ذات الأب
والأم ثم هكذا أبدا في ولد الولد ومن بعده من البطون دائما فهذا هو القول في شرف علي
عليه السلام بفاطمة عليها السلام وأما شرفها فإنها وإن كانت سيدة نساء العالمين
إلا أن كونها زوجة علي عليه السلام أفادها نوعا من الشرف آخر زائدا على ذلك الشرف
الأول ألا ترى أن أباها صلى الله عليه لو زوجها أبا هريرة أو أنس بن مالك لم يكن حالها في
العظمة والجلالة كحالها الآن بزواجها من علي عليه السلام وكذلك لو كان بنوها من
ذريتها من أبي هريرة أو من أنس بن مالك لم يكن حالهم في أنفسهم كحالهم الآن قال أبو
الحسن المدائني وكان الحسن عليه السلام كثير التزوج تزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية
وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان فولدت له الحسن بن الحسن وتزوج أم إسحاق بنت
طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة وتزوج أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري
واسم أبي مسعود عقبة بن عمرو فولدت له زيد بن الحسن وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس
وهي التي سقته السم وتزوج هند بنت سهيل بن عمرو وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
وتزوج امرأة من كلب وامرأة من بنات عمرو بن الأهتم المنقري وامرأة من ثقيف فولدت له
عمرا وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة
فقيل له إنها ترى رأي الخوارج فطلقها وقال إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جهنم
قال المدائني وخطب إلى رجل فزوجه وقال له إني مزوجك وأعلم أنك ملق طلق غلق
ولكنك خير الناس نسبا وأرفعهم جدا وأبا قلت أما قوله ملق طلق فقد صدق وأما
غلق فلا فإن الغلق الكثير الضجر وكان الحسن عليه السلام أوسع الناس صدرا وأسجحهم
خلقا قال المدائني أحصي زوجات الحسن عليه السلام فكن سبعين امرأة قال
المدائني ولما توفي علي عليه السلام خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس فقال
إن أمير المؤمنين توفي وقد ترك خلفا فإن أحببتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد على أحد فبكى
الناس وقالوا بل يخرج إلينا فخرج الحسن عليه السلام فخطبهم فقال أيها الناس اتقوا
الله فإنا أمراؤكم وأولياؤكم وإنا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فبايعه الناس وكان خرج إليهم وعليه
ثياب سود ثم وجه عبد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدمة له في
اثني عشر ألفا إلى الشام وخرج هو يريد المدائن فطعن بساباط وانتهب متاعه
ودخل المدائن وبلغ ذلك معاوية فأشاعه وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله
يتسللون إلى معاوية الوجوه وأهل البيوتات فكتب عبد الله بن عباس بذلك إلى الحسن
عليه السلام فخطب الناس ووبخهم وقال خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره

ثم

ثم عاد إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم وبايعهم حتى صار إلى كرامة الله ثم بايعتموني
على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني وقد أتاني أن أهل الشرف منكم أتوا
معاوية وبايعوه فحسبي منكم لا تغروني عن ديني ونفسي وأرسل عبد الله بن الحارث
بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب إلى معاوية يسأله
المسالمة واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وأن لا يبايع لأحد من بعده وأن
يكون الأمر شورى وأن يكون الناس أجمعون آمنين وكتب بذلك كتابا فأبى
الحسين عليه السلام وامتنع فكلمه الحسن عليه السلام حتى رضي وقدم معاوية
الكوفة قال أبو الحسن وحدثنا أبو بكر بن الأسود قال كتب ابن عباس إلى الحسن عليه
السلام أما بعد فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي عليه السلام فشمر
للحرب وجاهد عدوك وقارب أصحابك واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك
دينا وول أهل البيوتات والشرف تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة
فإن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز
الدين خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل
المؤمن وعز الفاجر واقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب
إلا في حرب أو إصلاح بين الناس فإن الحرب خدعة ولك في ذلك سعة إذا كنت محاربا ما
لم تبطل حقا واعلم أن عليا عليه السلام إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى بينهم في الفيء و
سوى بينهم في العطاء فثقل عليهم واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء
الإسلام حتى ظهر أمر الله فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الإيمان وقرؤوا
القرآن مستهزئين بآياته وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى وأدوا الفرائض وهم لها كارهون
فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار توسموا بسيما الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا فما
زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم وقالوا حسابهم على الله فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين
وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين وقد منيت بذلك وبأبنائهم وأشباههم والله
ما زادهم طول العمر إلا غيا ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتا فجاهدهم ولا ترض دنية ولا
تقبل خسفا فإن عليا عليه السلام لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب وإنهم
يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه
أجله ولا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك والسلام قال المدائني
وكتب الحسن إلى معاوية من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد
فإن الله تعالى بعث محمدا رحمة للعالمين فأظهر به الحق وقمع به الشرك وأعز به العرب عامة
وشرف به قريشا خاصة فقال وإنه لذكر لك ولقومك فلما قبضه الله تنازعت العرب الأمر
بعده فقالت قريش نحن عشيرته وأولياؤه فلا تنازعونا سلطانه فعرفت العرب لقريش ذلك وجاحدتنا
قريش ما عرفت لها العرب فهيهات ما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين وسابقة
في الإسلام ولا غرو إلا منازعتك إيانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ولا أثر في الإسلام محمود فـ
الله الموعد نسأل الله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنده في الآخرة إن عليا لما توفاه الله عز وجل
ولاني المسلمون الأمر من بعده فاتق الله يا معاوية وانظر لأمة محمد ما تحقن به دماءها وتصلح أمرها
والسلام وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب وجندب الأزدي فقدما

على معوية فدعواه الى بيعة الحسن فلم يجبهما وكتب جوابه اما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول
الله صلى الله عليه واله وهو احق الاولين والاخرين بالفضل كله وذكرت تنازع المسلمين الامر بعده فصرحت
بتهمة ابي بكر الصديق وعمر الفاروق وابي عبيدة الامين وصلحاء المهاجرين فكرهت ذلك ان الامة لما تنازعت
الامر بينها رات قريشا احقها به فرات قريش والانصار ان تولوا من قريش اعلمها بالله واخشاها
له واقواها على الامر فاختاروا ابا بكر ولم يالوا ولو علموا مكان رجل غير ابي بكر يقوم مقامه ويذب
عن حريم الاسلام ذبه ما عدلوا بالامر الى ابي بكر والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه ولو
علمت انك اضبط لامر الرعية واحوط على هذه الامة واحسن سياسة واكيد للعدو واقوى
على جمع الفيء لسلمت لك الامر بعد ابيك فان اباك سعى على عثمان حتى قتل مظلوما فطالب الله بدمه ومن
يطلبه الله فلا يفوته ثم ابتز الامة امرها وفرق جماعتها فخالفه نظراؤه من اهل السابقة والجهاد
والقدم في الاسلام وادعى انهم نكثوا بيعته فقاتلهم فسفكت الدماء واستحلت الحرم ثم اقبل الينا
لا يدعي علينا بيعة ولكنه يريد ان يملكنا اغترارا فحاربناه ثم صارت الحرب الى اختيار رجل
واخترنا رجلا اخترتموه ليحكما بما تصلح عليه الامة وتعود الجماعة والالفة فاخذنا عليهما بذلك ميثاقا
وعليه مثله على الرضى بما حكما فامضى الحكمان عليه الحكم بما قد علمت وخلعاه فوالله ما رضي
بالحكم ولا صبر لامر الله فكيف تدعوني الى امر انما تطلبه بحق ابيك وقد خرج منه فانظر لنفسك
ولدينك والسلام ثم قال للحرث وجندب ارجعا فليس بيني وبينكم الا السيف فرجعا
واقبل الى العراق في ستين الفا واستخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهري والحسن مقيم
بالكوفة لم يشخص حتى بلغه ان معوية قد عبر جسر منبج فوجه حجر بن عدي يامر العمال بالاحتراس
ابى عنا الفاصلة ... وعبد الرحمن واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب
وامر قيس بن سعد بالمسير وودعه واوصاه فاخذ على الفرات وقرى الفلوجة الى مسكن
وارتحل الحسن متوجها نحو المداين فاتى ساباط واقام بها ايام فلما اراد ان يرحل الى
المداين قام خطيبا الناس فقال ايها الناس انكم بايعتموني على ان تسالموا من سالمت
وتحاربوا من حاربت واني والله ما اصبحت محتملا على احد من هذه الامة ضغينة في شرق ولا
غرب ولما تكرهون في الجماعة والالفة والامن وصلاح ذات البين خير مما تحبون في الفرقة
والخوف والتباغض من العداوة وان عليا كان يقول لا تكرهوا امارة معوية فانكم لو فارقتموه
لرايتم الرؤس تندر كالحنظل ثم نزل فقال الناس ما هذا الا وهو خالع نفسه ومسلم الامر لمعوية ثم
ثاروا به فقطعوا كلامه وانتهبوا متاعه وانتزعوا مطرفا كان عليه واحدوا جارية كانت معه واختلف
الناس وصارت طائفة معه واكثرهم عليه فقال اللهم انت المستعان وامر بالرحيل فارتحل الناس واتاه
رجل بفرس فركبه واطاف به بعض اصحابه فمنعوا الناس عنه وسار يقدمه سنان بن الجراح الاسدي
الى مظلم ساباط فاقام به فلما دنى منه تقدم اليه يكلمه وطعنه في فخذه بمعول طعنة كادت تصل
الى العظم فغشي عليه وابتدره اصحابه فسبق اليه عبد الله الطائي فصرعه ساباط واخذ ظبيان بن عمارة
المعول من يده فضربه فقطع انفه ثم ضربه بصخرة على راسه فقتله وافاق الحسن عليه السلام
من غشيته فعصبوا جرحه وقد نزف وضعف فقدموا به المداين وعليها سعد بن مسعود
عم المختار بن ابي عبيد فاقام بالمداين حتى برئ من جرحه قال المدايني وكان الحسن عليه السلام اكبر
ولد علي عليهم وكان سيدا حليما خطيبا وكان صلى الله عليه واله يحبه سابق مع ابن
الحسين عليه السلام واتبعه فسبق الحسن فاجلسه على فخذه اليمنى ثم اجلس الحسين على

محمد

على فخذه اليسرى فقيل له يا رسول الله ايهما احب اليك فقال اقول كما قال ابرهيم ابونا قيل له اي
ابنيك احب اليك قال اكبرهما وهو الذي يلد ابني محمدا وروى المدايني عن زيد بن ارقم قال
خرج الحسن وهو صغير وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه واله يخطب فعثر فسقط فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخطبة ونزل مسرعا اليه وقد حمله الناس فتسلمه فاخذه على كتفه وقال
ان الولد لفتنة لقد نزلت اليه وما ادري اين هو ثم صعد فاتم الخطبة وروى المدايني لقي عمرو بن
العاص الحسن عليه السلام في الطواف فقال يا حسن زعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبابيك
فقد رايت الله اقام معوية فجعله راسيا بعد ميله وبينا بعد خفائه افيرضى الله بقتل عثمان
او من الحق ان تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقىء البيض وانت قاتل عثمان والله
انه لالم للشعث واسهل للوعث ان يوردك معوية حياض ابيك فقال عليه السلام ان لاهل
النار علامات يعرفون بها الحاد لاولياء الله وموالاة لاعداء الله والله انك لتعلم ان علينا لم يرتب
في الدين ولم يشك في الله ساعة ولا طرفة عين قط وايم الله لتنتهين يا ابن ام عمرو او لانفذن
حضنيك بنوافذ اشد من القعضبية فاياك والتهجم علي فاني من قد عرفت لست بضعيف الغمزة
ولا هش المشاشة ولا مري المأكلة واني من قريش كواسطة القلادة يعرف حسبي ولا ادعى لغير ابي وانت من تعلم ويعلم الناس تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك جزارها
الامهم حسبا واعظمهم لؤما فاياك عني فانك رجس ونحن اهل بيت الطهارة اذهب الله عنا الرجس
وطهرنا تطهيرا فافحم عمرو وانصرف كئيبا وروى ابو الحسن المدايني قال سال معوية
الحسن بن علي بعد الصلح ان يخطب فامتنع فناشده ان يفعل فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال
الحمد لله الذي توحد في ملكه وتفرد في ربوبيته يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء والحمد لله
الذي اكرم بنا مؤمنكم واخرج بنا من الشرك اولكم وحقن دماء اخركم فبلاؤنا عندكم قديما
وحديثا احسن البلاء ان شكرتم او كفرتم ايها الناس ان رب علي كان اعلم بعلي حين قبضه
اليه ولقد اختصه بفضل لم تعهدوا مثله ولن تجدوا مثل سابقته فهيهات هيهات طالما قلبتم له الامور
حتى علاه الله عليكم وهو صاحبكم وعدوكم في بدر واخواتها جرعكم رنقا وسقاكم
علقا واذل رقابكم واشرقكم بريقكم فلستم بملومين على بغضه وايم الله لا ترى امة
محمد خفضا ما كانت سادتهم وقادتهم في بني امية ولقد وجه الله اليكم فتنة لن تصدروا
عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم الى شياطينكم فعند الله احتسب ما مضى
وما ينتظر من سوء دعتكم وحيف حلمكم ثم قال يا اهل الكوفة لقد فارقكم بالامس سهم من مرامي
الله صائب على اعداء الله نكال على فجار قريش لم يزل اخذا بحناجرها جاثما على انفاسها
ليس بالملومة في امر الله ولا بالسروقة لمال الله ولا بالفروقة في حرب اعداء الله اعطى الكتاب
خواتمه وعزائمه دعاه فاجابه وقاده فاتبعه لا تاخذه في الله لومة لائم فصلوات
الله عليه ورحمته ثم نزل فقال معوية اخطا عجل او كاد واصاب متثبت او كاد ما
اردت من خطبة الحسن فاما ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني فانه قال كان في لسان
محمد الحسن عليه السلام ثقل كالفافاة حدثني بذلك محمد بن الحسين الاشناني قال حدثني
محمد بن اسمعيل الاحمسي عن مفضل بن صالح عن جابر قال كان في لسان الحسن عليه السلام
رتة فكان سلمان الفارسي يقول اتته من قبل عمه موسى بن عمران عليه السلام ...
قال ابو الفرج ومات شهيدا مسموما دس معوية اليه والى سعد بن ابي وقاص

حين اراد ان يعهد الى يزيد ابنه بالامر بعده سمّا ما تا منه في ايام مقاربة وكان الذي تولى ذلك
من الحسن زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس بمال بذله لها معوية ويقال ان اسمها سكينة
ويقال عائشة ويقال شعثا والصحيح اسمها جعدة قال ابو الفرج وروى عمرو بن ثابت
قال كنت اختلف الى ابي اسحق السبيعي اساله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي عليهما السلام
عقيب وفاة ابيه ولا يحدثني بها فدخلت اليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه وكانه
غول فقال من انت فاخبرته فبكى وقال كيف ابوك وكيف اهلك قلت صالحون قال في اي
شي تردد منذ سنة قلت في خطبة الحسن عليه السلام بعد وفاة امير المومنين عليه السلام
فقال لقد قبض الله في هذه الليلة رجلا لم يسبقه الاولون ولا يدركه الاخرون
لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه ولقد كان يوجهه برايته
فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ولقد توفي في الليلة
التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون وما خلف صفرا ولا بيضا الا سبعماية
درهم من عطائه اراد ان يبتاع بها خادما لاهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه
ثم قال ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن محمد رسول الله
انا ابن البشير انا ابن النذير انا ابن الداعي الى الله باذنه والسراج المنير انا من اهل البيت الذين اذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين فرض الله مودتهم في كتابه اذ يقول ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت قال ابو الفرج فلما انتهى
الى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه فدعا الناس الى بيعته
فاستجابوا وقالوا ما احبه الينا واحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل عن المنبر قال ابو الفرج
ودس معوية رجلا من حمير الى الكوفة ورجلا من بني القين الى البصرة يكتبان اليه الاخبار
فدل على الحميري وعلى القيني فاخذا وقتلا وكتب الحسن الى معوية اما بعد
فانك دسست الي الرجال كانك تحب اللقا لا اشك في ذلك فتوقعه ان شا الله
وبلغني انك شمت بما لم يشمت به ذو الحجى وانما مثلك في ذلك كما قال الاول

فانا ومن قد مات منا لكالذي ❊ يروح فيمسي في المبيت ليغتدي
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ❊ تجهز لاخرى مثلها فكان قد

فاجابه معوية اما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما حدث
فلم افرح ولم احزن ولم اشمت ولم اس وان عليا لكما قال اعشى بني قيس بن ثعلبة

فانت الجواد وانت الذي ❊ اذا ما القلوب ملان الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقا ❊ تضرب منها النسا النحورا
وما مزبد من خليج البحار ❊ يعلو الاكام ويعلو الجسورا
باجود منه بما عنده ❊ فيعطي الالوف ويعطي البدورا

قال ابو الفرج وكتب عبد الله بن عباس رحمه الله من البصرة الى معوية اما بعد
فانك ودسك اخا بني القين الى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتك
لكما قال امية بن ابي الصلت

لعمرك اني والخزاعي طارقا ❊ كنعجة عاد حتفها تتحفر
اثارت عليها شفرة بكراعها ❊ فظلت بها من اخر الليل تنحر

٧

شمت بقوم من صديقك اهلكوا ❊ اصابهم يوم من الدهر اصفر

فاجابه معوية اما بعد فان الحسن بن علي قد كتب الي بنحو مما كتبت به وانبني بما لم يحق سو ظن ورأي في
وانك لم تصب مثلي ومثلكم وانما مثلنا كما قال طارق الخزاعي يجيب امية عن هذا الشعر

فوالله ما ادري واني لصادق ❊ الى اي من يظنني اتعذر
اعنف ان كانت زبينة اهلكت ❊ ونال بني لحيان شر فانفروا

قال ابو الفرج وكان اول شي احدثه الحسن انه زاد المقاتلة مائة مائة وقد كان علي عليه
السلام فعل ذلك يوم الجمل وفعله الحسن حال الاستخلاف فتبعه الخلفا من بعده في ذلك قال
وكتب الحسن عليه السلام الى معوية مع حرب بن عبد الله الازدي من الحسن بن علي امير المومنين الى معوية
بن ابي سفين سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله عز وجل بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومنة على المومنين وكافة للناس اجمعين لينذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين فبلغ رسالات الله وقام بامر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان
وبعد ان اظهر الله به الحق ومحق به الشرك وخص به قريشا خاصة فقال له وانه لذكر لك ولقومك
فلما تنازعت سلطانه العرب قالت قريش نحن قبيلته واسرته واولياؤه ولا يحل لكم ان
تنازعونا سلطان محمد وحقه فرات العرب ان القول ما قالت قريش وان الحجة لهم
في ذلك على من نازعهم امر محمد فانعمت لهم وسلمت اليهم ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به
العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها انهم اخذوا هذا الامر دون العرب بالانتصاف
والاحتجاج فلما صرنا اهل بيت محمد واولياءه الى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا
واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله وهو الولي
النصير ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وان كانوا ذوي
فضيلة وسابقة في الاسلام وامسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون
والاحزاب بذلك مغمزا يثلمونه به او يكون لهم بذلك سبب الى ما ارادوا من افساده فاليوم فليتعجب
المتعجب من توثبك يا معوية على امر لست من اهله لا بفضل في الدين معروف ولا اثر
في الاسلام محمود وانت ابن حزب من الاحزاب وابن اعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه
واله ولكتابه والله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك
ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد ان عليا لما مضى لسبيله رحمة
الله عليه ولاني المسلمون الامر بعده فاسال الله الا يوتينا في الدنيا الزائلة شيا ينقصنا
به في الاخرة مما عنده من كرامته وانما حملني على الكتاب اليك الاعذار فيما بيني وبين الله عز
وجل في امرك ولك في ذلك ان فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التمادي في
الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فانك تعلم اني احق بهذا الامر منك عند
الله وعند كل اواب حفيظ ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغي واحقن دما المسلمين
فوالله ما لك خير في ان تلقى الله من دمائهم باكثر مما انت لاقيه به وادخل في السلم والطاعة
ولا تنازع الامر اهله ومن هو احق به منك ليطفي الله النائرة بذلك وتجمع الكلمة
وتصلح ذات البين وان انت ابيت الا التمادي في غيك سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكتب معوية اليه من عبد الله معوية امير
المومنين الى الحسن بن علي سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما

بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من الفضل وهو احق الاولين
والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره وقد والله بلغ وأدى ونصح وهدى
حتى انقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى وهدى به من الجهالة والضلالة فجزاه
الله افضل ما جزى نبيا عن امته وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حيا وذكرت
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتنازع المسلمين الامر بعده وتغلبهم على ابيك فصرحت بتهمة
ابي بكر الصديق وعمر الفاروق وابي عبيدة الامين وحواري رسول الله وصلحاء المهاجرين والانصار
فكرهت ذلك لك انك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسيء ولا اللئيم وانا احب لك القول
السديد والذكر الجميل ان هذه الامة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم
ولا قرابتكم من نبيكم ولا مكانكم في الاسلام واهله فرأت الامة ان تخرج عن هذا الامر لقريش
لمكانها من نبيها ورأى صلحاء الناس من قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم
ان يولوا هذا الامر من قريش اقدمها اسلاما واعلمها بالله واحبها لله واقواها على امر الله
فاختاروا ابا بكر وكان ذلك رأي اهل الدين والفضل والناظرين للامة فاوقع ذلك في
صدوركم لهم التهمة ولم يكونوا متهمين ولا فيما اتوا بالمخطئين ولو رأى المسلمون ان فيكم
من يغني غناءه ويقوم مقامه او يذب عن حريم الاسلام ذبه ما عدلوا بالامر الى غيره
رغبة عنه ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام واهله والله يجزيهم عن الاسلام واهله
خيرا وقد فهمت الذي دعوتني اليه من الصلح والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم
عليها انتم وابو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلو علمت انك اضبط مني للرعية واحوط على
هذه الامة واحسن سياسة واقوى على جمع الاموال واكيد للعدو لاجبتك الى ما دعوتني اليه
ورأيتك لذلك اهلا ولكن قد علمت اني اطول منك ولاية واقدم منك لهذه الامة تجربة واكبر
منك سنا فانت احق ان تجيبني الى هذه المنزلة التي سألتني فادخل في طاعتي ولك الامر من
بعدي فاجعل ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ تحمله الى حيث شئت ولك خراج
اي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجبيها امينك ويحملها اليك كل سنة ولك ان لا
نستولي عليك بالاساءة ولا نقضي دونك الامور ولا نعصي في امر اردت به طاعة
الله اعاننا الله واياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام قال جندب فلما اتيت
الحسن بكتاب معوية قلت له ان الرجل سائر اليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله في ارضه وبلاده
وعمله فاما ان تقدر انه يتناولك فلا والله حتى يرى منا اعظم من يوم صفين فقال
افعل ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي قال وكتب معوية الى الحسن اما بعد فان الله يفعل
في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر ان تكون منيتك على ايدي رعاع
الناس وايس من ان تجد فينا غميزة وان انت اعرضت عما انت فيه وبايعتني وفيت
لك بما وعدت واجزت لك ما شرطت واكون في ذلك كما قال اعشى بني قيس بن ثعلبة

وان احد اسدى اليك امانة ... فاوف بها تدعى اذا مت وافيا
ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى ... ولا تجفه ان كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي فانت اولى الناس بها والسلام فاجابه الحسن اما بعد
فقد وصل الي كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك خشية البغي عليك وبالله اعوذ
من ذلك فاتبع الحق تعلم اني من اهله وعلي اثم ان اقول فاكذب والسلام فلما

وصل كتاب الحسن الى معوية قرأه ثم كتب الى عماله بالنواحي نسخة واحدة من عبد الله معوية امير
المؤمنين الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو
اما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوكم وقتلة خليفتكم ان الله بلطفه وحسن صنعه
اتاح لعلي بن ابي طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك اصحابه متفرقين مختلفين وقد جاءتنا
كتب اشرافهم وقادتهم يلتمسون الامان لانفسهم وعشائرهم فاقبلوا الي حين يأتيكم كتابي هذا
بجدكم وجندكم وحسن عدتكم فقد اصبتم بحمد الله الثار وبلغتم الامل واهلك الله اهل البغي
والعدوان والسلام عليكم ورحمة الله قال فاجتمعت العساكر الى معوية فسار بها قاصدا
الى العراق وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه وانه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك وبعث حجر بن
عدي فامر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ونادى المنادي الصلاة جامعة فاقبل الناس يثوبون
ويجتمعون ثم قال الحسن اذا رضيت جماعة الناس فاعلمني وجاءه سعيد بن قيس الهمداني فقال
له اخرج فخرج الحسن فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه
كرها ثم قال لاهل الجهاد من المؤمنين اصبروا ان الله مع الصابرين فلستم ايها الناس نائلين ما تحبون
الا بالصبر على ما تكرهون انه بلغني ان معوية بلغه انا كنا ازمعنا على المسير اليه فتحرك لذلك اخرجوا
رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون ونرى وترون
قال وانه في كلامه
ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم احد ولا اجابه بحرف فلما رأى ذلك عدي بن حاتم
قام فقال انا ابن حاتم سبحان الله ما اقبح هذا المقام الا تجيبون امامكم وابن بنت نبيكم اين خطباء
مضر الذين السنتهم كالمخاريق في الدعة فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب اما تخافون مقت الله ولا عيبها
وعارها ثم استقبل الحسن عليه السلام بوجهه فقال اصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره ووفقك
لما تحمد ورده وصدره وقد سمعنا مقالتك وانتهينا الى امرك وسمعنا لك واطعناك فيما قلت وما رأيت
وهذا وجهي الى معسكري فمن احب ان يوافي فليواف ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته
بالباب فركبها ومضى الى النخيلة وامر غلامه ان يلحقه بما يصلحه وكان عدي بن حاتم اول الناس عسكر
ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ومعقل بن قيس الرياحي وزياد بن خصفة التيمي
فانبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الاجابة
والقبول فقال لهم الحسن صدقتم رحمكم الله ما زلت اعرفكم بصدق النية
والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيرا ثم نزل وخرج الناس فعسكروا
ونشطوا للخروج وخرج الحسن عليه السلام الى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وامره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه فجعل يحثهم ويخرجهم
حتى التأم العسكر وسار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى نزل دير عبد
الرحمن فاقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له يا بن عم
اني باعث معك اثني عشر الفا من فرسان العرب وقراء المصر الرجل منهم يزيد الكتيبة فسر بهم
والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم جناحك وادنهم من مجلسك فانهم بقية ثقات
امير المؤمنين عليه السلام وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات حتى تصير بمسكن
ثم امض بهم حتى تستقبل بهم معوية فان انت لقيته فاحتبسه حتى آتيك فاني على اثرك وشيكا وليكن
خبرك عندي كل يوم وشاور هذين يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس على الناس فسار عبيد الله حتى
انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهي ثم لزم الفرات والفلوجة حتى اتى مسكن واخذ الحسن على حمام

حتى اذا دنا به لعب ثم ركب ونزل ساباط دون القنطرة فلما اصبح نادى في الناس الصلوة
جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر وخطبهم وقال الحمد لله كلما حمده حامد واشهد
ان لا اله الا الله كلما شهد له شاهد واشهد ان محمدا رسول الله ارسله بالحق وائتمنه
على الوحي صلى الله عليه وسلم اما بعد فاني لارجو ان اكون قد اصبحت بحمد الله ومنه وانا
انصح خلقه لخلقه وما اصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له بسوء ولا غائلة الا وان
ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة الا واني ناظر لكم خيرا من نظركم لانفسكم فلا
تخالفوا امري ولا تردوا على رايي غفر الله لي ولكم وارشدني واياكم لما فيه محبته ورضاه
ان شاء الله ثم نزل قال فنظر الناس بعضهم الى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال قالوا له
نظنه يريد ان يصالح معوية ويكل الامر اليه كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه
حتى اخذوا مصلاه من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن جعال الازدي ونزع مطرفه عن عاتقه فبقي
جالسا متقلدا السيف بغير رداء ثم دعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته وشيعته
ومنعوا منه من اراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به فقال ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا
له فاطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم فلما مر في مظلم ساباط قام اليه
رجل من بني اسد ثم من بني نصر بن قعين يقال له الجراح بن سنان وبيده معول فاخذ بلجام فرسه فقال
الله اكبر يا حسن اشرك ابوك ثم اشركت انت وطعنه بمعول فوقع في فخذه وشقه حتى خالط
اربيته وسقط الحسن الى الارض بعد ان ضرب الذي طعنه بسيف كان في يده واعتنقه فخرا
جميعا الى الارض فوثب عبد الله بن الاخطل الطائي ونزع المعول من يد جراح بن سنان
فخضخضه به واكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع انفه ثم اخذوا الاجر فشدخوا وجهه وراسه
حتى قتلوه وحمل الحسن على سرير الى المداين وبها سعد بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله
وقد كان علي عليه السلام ولاه المداين فاقره الحسن عليها فاقام عنده يعالج نفسه قال فاما
معوية فانه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحبوبية بمسكن واقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل
بازائه فلما كان من غد وجه معوية بخيله اليه فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى
ردهم الى معسكرهم فلما كان الليل ارسل معوية الى عبيد الله بن العباس ان الحسن قد
راسلني في الصلح وهو مسلم الامر الي فان دخلت في طاعتي الان كنت متبوعا والا دخلت وانت تابع
ولك ان جئتني الان ان اعطيك الف الف درهم يعجل لك في هذا الوقت نصفها واذا دخلت
الكوفة النصف الاخر فانسل عبيد الله ليلا فدخل عسكر معوية فوفى له بما وعده واصبح الناس
ينتظرون عبيد الله ان يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى اصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم
قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه ثم امرهم بالصبر والنهوض الى
العدو فاجابوه بالطاعة وقالوا له انهض بنا الى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم وخرج
اليه بسر بن ارطاة فصاح الى اهل العراق ويحكم هذا اميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن
قد صالح فعلام تقتلون انفسكم فقال لهم قيس بن سعد اختاروا احدى اثنتين اما القتال مع
غير امام واما ان تبايعوا بيعة ضلال فقالوا بل نقاتل بلا امام فخرجوا فضربوا اهل الشام
حتى ردوهم الى مصافهم وكتب معوية الى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه وكتب اليه قيس
لا والله لا تلقاني ابدا الا بيني وبينك الرمح فكتب اليه معوية حينئذ لما يئس منه اما بعد
فانك يهودي بن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر احب الفريقين اليك

بدل

بدل وغيرك وان ظهر ابغضهما اليك نكل بك وقتلك وقد كان ابوك اوتر غير قوسه ورمى غير
غرضه فاكثر الحز واخطا المفصل وخذله قومه وادركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا والسلام
وكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانك وثن بن وثن دخلت في الاسلام كرها واقمت فيه فرقا وخرجت
منه طوعا ولم يجعل الله لك فيه نصيبا لم يقدم اسلامك ولم يحدث نفاقك ولم تزل
حربا لله ولرسوله وحزبا من احزاب المشركين وعدوا لله ونبيه والمؤمنين من عباده وذكرت
ابي ولعمري ما اوتر الا قوسه ولا رمى الا غرضه فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه
وزعمت اني يهودي وقد علمت اني وابي اعداء الدين الذي خرجت منه وانصار الدين الذي دخلت فيه وصرت
اليه والسلام فلما قرا معوية كتابه غاظه واراد اجابته فقال له عمرو مهلا فانك ان
كاتبته اجابك باشد من هذا وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس فامسك عنه قال وبعث معوية
عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة الى الحسن للصلح فدعواه اليه وزهداه في الامر واعطياه
ما شرط له معوية ان لا يتبع احد بما مضى ولا ينال احد من شيعة علي بمكروه ولا يذكر
علي الا بخير واشياء اشترطها الحسن فاجاب الى ذلك وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى
الكوفة واجتمع الى الحسن وجوه الشيعة واكابر اصحاب امير المؤمنين عليه السلام يلومونه
ويبكون اليه جزعا مما فعله قال ابو الفرج وحدثني محمد بن احمد بن عبيد قال حدثنا
الفضل بن الحسن المصري قال حدثني يحيى بن معين قال حدثني ابو حفص اللبان عن عبد الرحمن
بن شريك عن اسمعيل بن ابي خالد عن حبيب بن ابي ثابت قال خطب معوية بالكوفة حين دخلها والحسن
والحسين جالسان تحت المنبر فذكر عليا عليه السلام فنال منه ثم نال من الحسن
فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فاخذ الحسن بيده فاجلسه ثم قام فقال ايها الذاكر عليا
انا الحسن وابي علي وابوك صخر وامي فاطمة وامك هند وجدي رسول الله وجدك عتبة
بن ربيعة وجدتي خديجة وجدتك قتيلة فلعن الله اخملنا ذكرا والامنا حسبا وشرنا قدما
واقدمنا كفرا ونفاقا فقال طوائف من اهل المسجد امين قال الفضل قال يحيى
بن معين وانا اقول امين قال ابو عبيد قال الفضل وانا اقول امين قال ابو الفرج قال
ابو عبيد وانا اقول امين ويقول علي بن الحسين الاصفهاني امين قلت ويقول عبد الحميد
بن ابي الحديد مصنف هذا الكتاب امين قال ابو الفرج ودخل معوية الكوفة بعد
فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة وحبيب بن حمار يحمل رايته فلما صار بالكوفة
دخل المسجد من باب الفيل واجتمع الناس اليه وقال ابو الفرج حدثني ابو عبيد الصيرفي
واحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن علي بن خلف عن محمد بن عمرو الرازي عن مالك بن سعد عن محمد
بن عبد الله الليثي عن عطا بن السائب عن ابيه قال بينما علي بن ابي طالب عليه السلام على منبر الكوفة
اذ دخل رجل فقال يا امير المؤمنين مات خالد بن عرفطة فقال لا والله ما مات ولا يموت حتى
يدخل من باب المسجد واشار الى باب الفيل ومعه راية الضلال يحملها حبيب بن حمار قال
فوثب رجل فقال يا امير المؤمنين انا حبيب بن حمار وانا لك شيعة فقال فانه كما اقول
قال فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معوية يحمل رايته حبيب بن حمار
قال ابو الفرج وقال مالك بن سعد وحدثني الاعمش بهذا الحديث قال حدثني صاحب
هذه الدار واشار الى دار السائب بن عطا انه سمع عليا عليه السلام يقول هذا قال
ابو الفرج فلما تم الصلح بين الحسن ومعوية ارسل الى قيس بن سعد يدعوه الى البيعة وكان رجلا

طوالا يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان في الارض وما في وجهه طاقة شعر وكان يسمى خصي
الانصار فلما ارادوا ادخاله اليه قال لا القاه الا وبيني وبينه الرمح والسيف فامر معوية
بالرمح والسيف فوضعا بينه وبينه لتبر يمينه قال ابو الفرج وقد روي ان الحسن لما صالح معوية
اعتزل قيس بن سعد في اربعة الاف وابى ان يبايع فلما بايع الحسن ادخل قيس ليبايع فاقبل على
الحسن فقال افي حل انا من بيعتك قال نعم فالقي له كرسي وجلس معوية على سريره والحسن معه
فقال له معوية اتبايع يا قيس قال نعم فوضع يده على فخذه ولم يمدها الى معوية فحنا معوية على سريره واكب
على قيس حتى مسح يده على يده وما رفع قيس اليه يده قال ابو الفرج ثم ان معوية امر الحسن
ان يخطب فظن انه سيحصر فقام فخطب فقال في خطبته انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة
نبيه وليس الخليفة من سار بالجور ذلك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ثم تنقطع لذته وتبقى
تبعته وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال وانصرف الحسن الى المدينة فاقام
بها واراد معوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء اثقل عليه من امر الحسن بن علي وسعد بن
ابي وقاص فدس اليهما سما فماتا منه قال ابو الفرج وحدثني احمد بن عبيد الله بن عمار عن
عيسى بن مهران عن عبيد بن الصباح الخراز عن جرير عن مغيرة قال ارسل معوية الى جعدة بنت الاشعث
بن قيس وهي تحت الحسن فقال لها اني مزوجك يزيد ابني على ان تسمي الحسن ثم بعث اليها بمائة الف
درهم ففعلت وسمت الحسن فسوغها المال ولم يزوجها منه فخلف عليها رجل من ال طلحة فاولدها
وكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا يا بني مسمة الازواج قال
وحدثني احمد قال حدثني عيسى عن يحيى بن كثير عن سعيد عن ابي بكر بن حفص قال توفي الحسن بن علي
وسعد بن ابي وقاص في ايام متقاربة وذلك بعدما مضى من امارة معوية عشر سنين وكانوا
يرون انه سقاهما السم قال ابو الفرج وحدثني احمد عن عوف عن عمير بن اسحق قال
كنت مع الحسن والحسين عليهما السلام في الدار فدخل الحسن المخرج ثم خرج فقال لقد سقيت
السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت اقلبها بعود فقال
الحسين ومن سقاكه قال وما تريد منه اتريد ان تقتله ان يكن هو هو فالله اشد نقمة منك
وان لم يكن هو فما احب ان يؤخذ بي بري قال ابو الفرج ودفن الحسن في جانب قبر
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في البقيع وقد كان اوصى ان يدفن مع النبي صلى
الله عليه وسلم فمنع مروان بن الحكم من ذلك وركبت بنو امية في السلاح وجعل مروان
يقول يا رب هيجا هي خير من دعة ايدفن عثمان في البقيع ويدفن الحسن في بيت النبي
صلى الله عليه وسلم والله لا يكون ذلك ابدا وانا احمل السيف وكادت الفتنة ان تقع وابى الحسين
ان يدفن الا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن جعفر عزمت عليك يا ابا عبد الله
بحقي ان لا تتكلم بكلمة فمضوا به الى البقيع وانصرف مروان قال ابو الفرج وقد روى
الزبير بن بكار ان الحسن عليه السلام ارسل الى عائشة ان ياذن له ان يدفن مع النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت نعم فلما سمعت بنو امية بذلك استلاموا في السلاح وتبادروا هم وبنو هاشم
للقتال فبلغ ذلك الحسن فارسل الى بني هاشم اما اذا كان هذا فلا حاجة لي فيه فادفنوني الى
جنب امي فاطمة عليها السلام قال ابو الفرج فاما يحيى بن الحسن صاحب كتاب النسب فانه روى
ان عائشة ركبت ذلك اليوم بغلا واستنفرت بنو امية مروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم
وهو قول القائل ۞ فيوما على بغل ويوما على جمل ۞ قلت ليس في رواية يحيى بن الحسن

ما

ما يؤخذ على عائشة لانه لم يرو انها استنفرت الناس لما ركبت البغل وانما المستنفرون هم
بنو امية لان الرواية استنفرت بنو امية برفع بنو واوردها بالواو وهكذا في اكثر النسخ وقد رايت
بعضها بالياء على ان تكون عائشة هي المستنفرة لهم ويجوز ان تكون عائشة على الرواية المشهورة
تسكن الفتنة وقد روي عنها انه لما طلب منها الدفن قالت نعم وهذه الحال والقصة منقبة من
مناقب عائشة رحمها الله قال ابو الفرج قال جويرية بن اسماء لما مات الحسن اخرجوا جنازته جاء
مروان حتى دخل تحته يحمل سريره فقال له الحسين تحمل اليوم سريره وبالامس كنت تجرعه الغيظ
فقال مروان افعل ذلك بمن يوازي حلمه الجبال قال وقدم الحسين عليه السلام بالصلاة عليه سعيد بن
العاص وهو يومئذ امير المدينة وقال تقدم ولولا انها سنة لما قدمتك قال وقيل لابي اسحق
السبيعي متى ذل الناس فقال حين مات الحسن وادعي زياد وقتل حجر بن عدي قال اختلف
في سن الحسن وقت وفاته فقيل ابن ثمان واربعين وهو المروي عن جعفر بن محمد عليه السلام
في رواية هشام بن سالم وقيل ابن ست واربعين وهو المروي ايضا عن جعفر عليه السلام في رواية
ابي بصير قال وفي الحسن عليه السلام يقول سليمان بن قتة يرثيه وكان محبا له ۞

يا كذب الله من نعى حسنا ۞ ليس لتكذيب نعيه ثمن ۞
كنت خليلي وكنت خالصتي ۞ لكل حي من اهله سكن ۞
اجول في الدار لا اراك وفي ۞ الدار اناس جوارهم غبن ۞
بدلتهم منك ليت انهم ۞ اضحوا وبيني وبينهم عدن ۞

ثم نرجع الى تفسير الفاظ الفصل اما قوله كبسها الله بخاصرين فالذي كنا
نقرأه قديما كبسها بالخاصرين على صيغة التثنية يعني خاصر حلب وخاصر قنسرين وهي
الارباض والضواحي المحيطة بهذه البلاد ثم قرانا بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ولم يفسروه
ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية ومنهم من يقول بخاصرين بلفظ يبرين جمع
تثنية خاصر او جمعها وقد طلبت هذه الكلمة في الكتب المصنفة لاسماء البلاد والارضين
فلم اجدها ولعلي اظفر بها فيما بعد فالحقها في هذا الموضع قوله من والد الفان حذف
الياء ههنا للازدواج بين الفان والزمان ووقف عليها في الوقف على المنقوص يجوز مع اللام
حذف الياء واثباتها والاثبات هو الوجه ومع عدم اللام يجوز الامران واسقاط الياء
هو الوجه قوله المقر له بالغلبة كانه جعل نفسه فيما مضى خصما للزمان فلما كبر اقر
للزمان بالقهر قوله المدبر العمر لانه قد كان تجاوز الستين ولا يبقى بعد مجاوزة الستين
الا ادبار العمر لانها نصف العمر الطبيعي الذي قل ان يبلغه احد فعلى تقدير ان يبلغه فكل
ما بعد الستين اقل مما مضى فلا جرم يكون العمر قد ادبر قوله المستسلم للدهر هذا
آكد من قوله المقر للزمان لانه قد يقر الانسان لخصمه ولا يستسلم قوله الذام
للدنيا هذا وصف لم يستحقه عند الكبر بل لم يزل عليه ولكن يجوز ان يريد ذمه لها
لان الشيخ تنقص قواه التي يستعين بها على الدنيا والدين جميعا فلا يزال يتافف من الدنيا
قوله الساكن مساكن الموتى اشعارا بالموت وهذا من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم قوله الظاعن عنها غدا لا يريد الغد بعينه بل يريد قرب الرحيل
والظعن وهذا الكلام من امير المؤمنين عليه السلام كلام من قد ايقن بالفراق ولا
ريب وظهور الاستكانة والخضوع عليه وبذلك ايضا على كونه وصف عظم لكبره

سلم الله من حزب اهل الشام وانعكس ما قدره تخاذل الصحابة عنه ونفوذ حكم عمرو بن العاص
فيه عمو الى موسى وعناده والحرام ايضا قوله الى المولود هذه اللفظة مان الوالد
قوله الموقل ما لا ادرك لو قال قائل انه كيف ادعى انه لانا [illegible] الخلافة تعد
مولى وان كان مؤهلا لها لم يستبعد ويكون ذلك احتياطا عن عبث ولكن الاظهر انه
لم يرد ذلك وانما اراد جنس البشر لا خصوص الحسن عليه السلام ولذلك سائر الاوصاف
التي تلي هذه اللفظة لا تخص الحسن عليه السلام بعينه بل هي وان كانت له في الظاهر فانها
للناس كلهم في الحقيقة الا ترى الى قوله بعدها السالك سبيل من قد هلك فان كل واحد
من الناس سالك سبيل من قد هلك قبله قوله عرض الاسقام لان الانسان كالهدف
لآفات الدنيا وامراضها قوله ورهينة الايام الرهينة هنا المهزول يقال انه
لرهين وانه لرهينة اذا كان مهزولا بالياء قال الراجز

اما ترى جسمي خلا قد رهن * هزلا وما مجد الرجال في السمن

ويجوز ان يريد بالرهينة واحد الرهائن يقال للاسير وللزمن وللعاجز عن الرحيل
انه لرهينة وذلك لان الرهائن محبوسة عند من قبضها قوله ورمية
المصائب الرمية ما يرمى قوله وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا لان الانسان
طوع شهواته فهو عبد الدنيا وحركاته مبنية على غرور لا اصل له فهو تاجر الغرور لا محالة
ولما كانت الدنيا تطالبه بالرحيل من هذه الدار كانت غريما له تقتضيه ما لا بد له
من اداه قوله واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات
وصريع الشهوات لما كان الانسان مع الموت كما قال طرفة

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

كان اسيره لا محالة ولما كان لا بد لكل انسان من الهم كان حليف الهموم ولذلك لا تم
يخلو ولا ينفك من الحزن وكان قرينا له ولما كان معرضا للآفات كان نصبا لها ولما
كان ما هلك لشهواته كان صريعها وقوله وخليفة الاموات قد لحق من قال ان امرأ ليس
بينه وبين آدم الا اب ميت لمعرق له في الموت واعلم انه عليه السلام وصف ابنه
سبعا وعشرين صفة وله اربع عشرة صفة فجعل بازاء كل واحدة مما له اثنتين مما
لولده فلله دره ذلك ومن جيد ما يعني به شاعر نفسه ووصف ما نقص الدهر من قواه
قول عوف بن محلم الشيباني في عبد الله بن طاهر امير خراسان

يا ابن الذي دان له المشرقان * والبس الامن به المغربان
ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان
وبدلتني بالشطاط انحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان
وقاربت مني خطا لم تكن * مقاربات وثنت من عنان
وعوضتني من زماع الفتى * وهمه هم الجبان الهدان
وانشأت بيني وبين الورى * عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع في لمستمتع * الا لساني وبحسبي اللسان
ادعو به الله واثني به * على الامير المصعبي الهجان

ومن الشعر الجيد القديم قول سالم بن عونة الضبي

لابعدن

لا يبعدن عصر الشباب ولا * لذاته ونباته النضر
والمرشفات من الخدور كاي * ماض الغمام يجود بالقطر
وطراد خيل مثلها التقتا * لحفيظة ومقاعد الخمر
لولا اولئك ما حفلت متى * عوليت في حرج الى قبري
هزئت زنيبة ان رات ثرمي * وان انحنى لتقادم ظهري
من بعد ما عهدت فادلفني * يوم يمر وليلة تسري
حتى كأني خاتل قنصا * والمرء بعد تمامه يجري
لا تهزئي مني زنيب فما * في ذاك من عجب ولا سخر
او لم تري لقمان اهلكه * ما اقتات من سنة ومن شهر
وبقاء نسر كلما انقرضت * ايامه عادت الى نسر
ما طال من امد على لبد * رجعت محارته الى قصر
ولقد حلبت الدهر اشطره * وعلمت ما آتي من الامر

انما استفصح قوله ما اقتات من سنة ومن شهر جعل الزمان كالقوت له ومن اقتات
الشيء فقد اكله والاكل سبب المرض والمرض سبب الهلاك

الاصل

اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الآخرة الي ما يزعني
عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس
هم نفسي فصدفني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد
لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي
حتى كأن شيئا لو اصابك اصابني وكأن الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني
من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت

الشرح

يزعني يكفني ويصدني وزعت فلانا ولا بد للناس من وزعة
وسواي لفظة تقصر اذا كسرت سينها وتمد اذا فتحتها وهي هاهنا بمعنى غير وعن
قبلها بمعنى بعد كقوله ورب من انضجت غيظا صدره
والتقدير عن ذكر انسان سواي ويجوز ان تكون من موصولة وقد حذف احد
جزئي الصلة والتقدير عن ذكر الذي هو غيري كما قالوا في لا سيما [illegible]
اشد اي هو اشد كقول علي عليه السلام [illegible] فيما قد بان لي من نكد الوقت وادبار الدنيا
واقبال الآخرة شاغلا لي عن الاهتمام باحد غيري والفكر في امر الولد وغيره ممن اخلفه
وراي من عاد فقال الا ان همي بنفسي يصرفني عن غيري لم تكن انت داخلا في جملة من يصرفني
همي بنفسي عنهم لانك لست غيري فان قلت اليس الهم حدث لامير المؤمنين عليه السلام الآن
ومن قبل لم يكن عالما بان الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة قلت بلى كان عالما بذلك
ولكنه الآن بالدعوى نظر [illegible] علو السن وضعف القوى وهذا امر يحصل للانسان على
سبيل الاجمال لا بد من حصوله لكل احد وان كان عالما بالحال من قبل ولكن [illegible] العيان
كالخبر ويحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابي اسحق الصابي

اقيك الردى اني [illegible] من [illegible] * وسهوي على طول المدى عنواني
[illegible] حصادا [illegible] خائفا * على السعد حتى صار نصب عياني

هو الاجل المحتوم لي حد حده وكان تريني عقله المتوالي
له بدرت قدا دسلمى لحمده له لست منها اخذ اما بالي
ولا بد منه ممهلا او معاجلا شبابي ولا التنبيه عني ناكي

واول هذه القصيدة هو داخل في هذا المعنى

اذا ما تعدت نحو سارت محفة لها ارحل يسعى لها رحلان
وما كنت من عرسا نها عرانها وقت لي علحا نحب العدمان
ترك لنا عن سراه حصالي يحكم منشا او يحكم قرا لي
فقد حملت مني ابن سبعين سالكا سبيلا عليها تشكل الثقلان
كما حمل المهد الصبي وقبلها دعرت اسود الغيل بالروان
ولي بعدها اخرى تسمى حارة حينه يوم المنية دالي
تسير على اقدام اربعة الى ديار البلى معدوده ثماني
والى على عشت الردى في حوارحي وما كف من حطوى وبطش بناني
وان لم يدع الافواد امروعا به عن باق من الحدثان
تلوم تحت الحد تعت حكمه الى اذن تصغي لنطق لساني
لاعلم اني ميت عاو دفنه دما قليل في غد هو فاني
وان بالارض عن يا نجا تما تراصد من اكل حصون زادان
به شرع عن الورى تتحابع تركي ولانا تاكل الفلان
غدا فاعل تنكو الظهاوهو راح فما يلتقي يوما له سفنان
اذا غاضنا ما النسل ثم يعوكه بلا او لامد بمهلك ثان
الى ذات يوم لا ترى الا صروانا سوى الله مال سرراه وجان

قوله عليه السلام تروى دون هموم همه نفسي اي دون الهم الذي قد كانت تعتريني لاحل احوال الناس فصدقني راي تعالى صدقته كري اي عن كري وفي المثل صدقني سن بكره لانه لما نفر قال لمحرع وهي كلمة تسكن بها صغار الابل اذا نفرت والمعنى ان هذا الهم صدقني عن الصعم الى يجب ان تكون راي عليها وبكل الصفة هي الى لا تفكر في امر سبب من الموجودات اصلا الا الله تعالى وبعده وفوق هذه الطبقة طبقة اخرى عالية جدا وهي ان لا تفكر في شي قط الا في الله وحده وفوق هذه الطبقة طبقة اخرى تجل عن الذكر والتفسير ولا يصلح لاحد من المخلوقين الا النادر النادر وقد ذكرها هو عليه السلام فيما سبق وهو ان لا تفكر في شي اصلا لا في المخلوق ولا في الخالق لانه قد فارق ان يتحد بالخالق فيستغني عن الفكر فيه قوله وضرفني هواي اي عن هواي وفكري في تدبير الخلافة وسياسة الرعية والقيام بما يقوم به الائمة قوله وصرح لي محض امري يصير محض و رفعه لم يصب فيقدره عن محض امري فلما حدث الحادث مصرح من ربع حعله فاعلا ومصرح كشف او انكشف **قوله** واقصى الى الجد لتس تعنى اي فقد كان من قبل يمازح حدا اللعب المعنى انه ههنا الاولى وقد كان يمكن ان يحللها وقد راحه او دعابة لا تخرج بها عن الحق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فالان قد حدث عنده هم لا يمكن ان يخلله من ذلك شي اصلا ويذا بالقرس الحالس اعني الاولى والثانية على مكان اللعب لا تفعل اللعب

فلا

ولا يلزم من قوله افضى بي هذا الهم الى انتفا امكان اللعب ان يكون هموم الاولى قد كان بمازجها اللعب ولكن يلزم من ذلك انها قد كانت يمكن ذلك فيها امكانا محضا على ان اللعب عن مسكو اذا لم يكن باطلا الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وآله المومن دعب لعب وكذلك القول في قوله وصدق ولا يشوبه كذب اي لا يمكن ان يشوبه كذب وليس المراد بالصدق والكذب ههنا مفهوم منهما المشهورين بل هو من قولهم صدقوا اللقا ومن قولهم حملوا عليهم فما كذبوا **قال زهير**
ليث بعثر يصطاد الليوث اذا ما كذب الليث عن اقرانه صدقا
اي افضى هذا الهم الى ان صدقني الجد ناجر بها كانه جعل نفسه محاربة للدنيا اي صدقني الدنيا حربها ولم تكذب اي لم تجبن نوع الحرعن شده لقاد ولقائه فقال وصدقتك نفسي **قال الشاعر**
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض
وغضب معوية على ابنه يزيد فهجره فاستعطفه له الاحنف قال امير المومنين ان اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سما ظليلة وارض ذليلة فان غضبوا فارضهم وان سالوا فاعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا موتك وقيل للعرابية اي ولدك احب اليك قالت الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرا والغايب حتى يقدم **غضب** الطرماح على امراته فشفع فيها ولد منها اصمصام وهو لم يبلغ عشرا **فقال الطرماح**
اصمصام ان يشفع لامك تلقها لها شافع في الصدر لم يتزحزح
هل الحب الا انها لو تعرضت لذبحك يا صمصام قلت لها اذبحي
احاذر يا صمصام ان مت ان يلي تراثي وآباك امرؤ غير مصلح
اذا صك وسط القوم راسك صكة تقول لها الناهي ملكت فاسجحي
وفي الحديث المرفوع ريح الولد من ريح الجنة وفي الحديث الصحيح انه قال للحسن او حسين عليهما السلام انكم لتجبنون وانكم لتبخلون وانكم لمن ريحان الله وكان يرقص الاعراب **وقال اعرابية لولدها**
يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل الولد ام لم يلد قبلي احد
وفي الحديث المرفوع من كان له صبي فليتصاب **وانشد الرياشي**
من سره الدهر ان يرى الكبد تمشي على الارض فلير الولد

الاصل اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفنا وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم واثارهم فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع اخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال **الشرح** قوله واي سبب اوثق اشارة الى القران لانه هو المعبر عنه بقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ثم ان لفظتي سبب وحبل من لطيف الصنعة فقال احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة

والمراد اجتهاده واعتبه الى الطاعة واماتة الشهوات عنه قوله واعرض عليه اخبار الماضين معنى قد
تداولته الناس قال الشاعر

سل عن الماضين ان نطقت ۞ عنهم الاجداث والترك ۞
اي دار للبلايا لو ا ۞ وسبيل الردى سلكوا ۞

قوله ودع القول فيما لا تعرف من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص
يا عبد الله كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصار الناس هكذا
وشبك بين اصابعه قال عبد الله فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف
وعليك بخويصة نفسك قوله والخطاب فيما لم تكلف من قول رسول الله صلى الله عليه
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال معوية في عبد الملك بن مروان وهو يومئذ
غلام ان لهذا الغلام لهمة وانه مع ذلك تارك لثلاث اخذ بثلاث تارك مساءة الصديق
جدا او هزلا تارك ما لا يعنيه تارك ما يعتذر منه اخذ باحسن الحديث اذا حدث وباحسن
الاستماع اذا حدث وباهون الامرين عليه اذا خولف قوله عليه السلام وامسك عن طريق اذا
خفت ضلالته ماخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وفي خبر اخر اذا
رابك امر فدعه **الاصل** وامر بالمعروف تكن من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك
وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذك في الله لومة لائم وخض
الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم
الخلق التصبر والجئ نفسك في امورك كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز
واخلص في المسالة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم
وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع
بعلم لا يحق تعلمه **الشرح** امره ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهما واجبان عندنا في جملة
الاصول الخمسة التي هي اصول الدين ومعنى قوله تكن من اهله لان اهل المعروف هم الابرار الصالحون
ويجب انكار المنكر باللسان فان لم ينجع فباليد وتفصيل ذلك وترتيبه مذكور في كتب
الكلامية قوله وخض الغمرات الى الحق لا يشتهر ان الحسن عليه السلام لو تمكن لخاضها
الا من فقد الانصار ولا حيلة له وهل ينهض البازي بغير جناح والذي خاضها مع عدم
الانصار هو الحسين عليه السلام وهذا اعظم عند الناس قدرا فقدمه قوم على الحسن
فان قلت فما قول اصحابكم في ذلك **قلت** هما عندنا في الفضل سيان
اما الحسن فلوقوفه مع قوله تعالى الا ان تتقوا واما الحسين فلاعزاز الدين قوله
نعم الخلق التصبر قد تقدم منا كلام شاف في الصبر قوله واكثر الاستخارة ليس يعني
بها ما يفعله اليوم قوم من الناس من سطر رقاع وجعلها في بنادق وانما المراد امره عليه
السلام بان يطلب الخيرة من الله تعالى فيما ياتي ويذر قوله لا خير في علم لا ينفع ولا حق
لانه اذا لم ينفع كان عبثا قوله ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه اي لا يجب ولا يندب اليه
وذلك لان النفع انما هو نفع الاخرة فما لم يكن من العلوم مرغبا فيه اما ايجابا او ندبا فلا انتفاع
به في الاخرة وذلك كعلم الهندسة والارثماطيقي ونحوهما **الاصل** اي بني
اني لما رايتني قد بلغت سنا ورايتني ازداد وهنا بادرت بوصيتي اليك خصالا منها
ان يعجل بي اجلي قبل ان افضي اليك بما في نفسي وان انقص في رايي كما نقصت في جسمي

او

او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب
الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك
ويشتغل لبك لتستقبل بجد رايك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون
قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا ناتيه واستبان
لك ما ربما اظلم علينا منه **الشرح** هذه الوصية كتبها الى الحسن عليه السلام
بعد ان تجاوز الستين وروي انه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين الستين
والسبعين فقال معترك المنايا قوله عليه السلام وان انقص في رايي هذا يدل على
بطلان من قال انه لا يجوز ان ينقص في رايه وان الامام معصوم عن مثل ذلك وكذلك قوله
للحسن او يسبقني غلبات الهوى وفتن الدنيا يدل على ان الامام لا يجب ان يعصم عن غلبات
الهوى ولا عن فتن الدنيا قوله فتكون كالصعب النفور اي كالبعير الصعب الذي لا يمكن
راكبا وهو مع ذلك نفور عن الانس ثم ذكر ان التعلم انما هو في الصبى وفي المثل
الغلام كالطين يقبل الختم ما دام رطبا وقال الشاعر

اختم بطينك رطبا ان قدرت فكم ۞ قد امكن الختم اقواما فما ختموا ۞

ومثله قوله عليه السلام قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته وكان يقال العلم
في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالخط على الماء قوله فاتاك من ذلك ما كنا ناتيه
اي الذي كنا نتجشم المشقة والكد في طلبه واستفادته يسقط عنك الان فتاتيك عفوا
الاصل اي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم
وفكرت في اخبارهم وسرت في اثارهم حتى عدت كاحدهم بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت
مع اولهم الى اخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله
وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورايت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق
واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس
صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتاويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله
وحرامه ولا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من
اهوائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى
امر لا امن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصدك
فعهدت اليك وصيتي هذه **الشرح** هذا الفصل وما بعده يشعر بالنهي عن
علم الكلام حسبما يقتضيه ظاهر لفظه الا تراه قال كنت عازما على ان اعلمك القران
وتفسيره والفقه وهو المعرفة باحكام الشريعة ولا اجاوز بك ذلك الى غيره ثم خفت ان
يدخل عليك شبهة في اصول الدين فيلتبس عليك في عقيدتك الاصلية ما التبس على غيرك
من الناس فعدلت عن العزم الاول الى ان اوصيك بوصايا تتعلق باصول الدين ومعنى
قوله عليه السلام فكان احكام ذلك الى قوله لا امن عليك فيه الهلكة اي فكان احكامي الامور
الاصولية عندك وتقريري الوصية التي اوصيك بها في ذهنك فيما يرجع الى النظر في الامور الالهية
وان كنت كارها للخوض معك فيه وتنبيهك عليه احب الي من ان اتركك سدى مهملا تتلاعب
بك الشبه وتعتورك الشكوك في اصول دينك فربما افضى بك ذلك الى الهلكة **فان قلت**
فلماذا كان كارها له ولم علي ذلك وانتم تقولون ان معرفة الله واجبة على المكلفين

ولست تدري بامر المؤمنين عليه السلام ان يكره ما اوجبه الله تعالى قلت لعله علم اما من طريق وصيه
رسول الله صلى الله عليه وآله او من طريق معرفته لما يصلح ان يكون لطفا لولده ومعرفته بما يكون
مفسدة لكثرة التجربة وطول الممارسة لاخلاقه وطباعه ان الاصلح ان لا يخوض في علم الكلام
الخوض الكلي وان يقنع بالمبادي والجمل فمصالح البشر تختلف فرب انسان مصلحته في امر ذلك
الامر مفسدة لغيره ونحن وان اوجبنا المعرفة فلم نوجب منها الا الجملة واما التفصيلات
الدقيقة الغامضة فلا تجب الا عند ورود الشبهة فاذا لم تقع الشبهة في نفس المكلف لم يجب عليه
الخوض في التفصيلات قوله قد عمرت مع اولهم الى آخرهم العين مفتوحة والميم مكسورة
يقال عمر الرجل يعمر عمرا وعمرا على غير قياس لان قياس مصدره التحريك اي عاش زمانا طويلا ثم
استعمل في القسم احدهما فقط وهو المفتوح قوله حسب عناني من امرك اي اهمني قال
٥ عناني من صدودك ما عناني ٥ قوله واجمعت عليه اي عزمت وهو مقبل الدهر يقال اقبل
الدهر فهو مقبل بالفتح وهو من الشواذ ومثله احصن الرجل اذا تزوج فهو محصن واذا عف
فهو محصن ايضا واسهب اذا اطال الحديث فهو مسهب والفج اذا افتقر فهو ملفج وينبغي ان
يكون له من قوله ليسهل له بمعنى عليه او يكون على اصله اي كرهت سهلك لاجله فان قلت
الى الآن ما فسرت لماذا كره من تنبيهه على هذا الفن قلت بلى قد اشرت اليه وهو انه كره ان
يعدل عن تفسير القرآن وعلم الفقه الى الخوض في الامور الاصلية فتشتبه عليه امور يحره
النظر وتامل الادلة والشبهات اليها دقيقة يخاف على الانسان من الخوض فيها ان يضطرب عقيدته
الا انه لم يجد بدا من تنبيهه على اصول الديانة وان كان كارها لتعريضه لخطر الشبهة فنبهه
على امور جملية غير مفصلة وامره ان لا يروم ذلك فلا يتجاوز الى غيرها وان يمسك عما اشتبه
عليه وسنأتي ذكر ذلك في الفصل

الاصل

اعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به
الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون
من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت
مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل
ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات
وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك
في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع وكان
همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ
نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط او خلط
والامساك عن ذلك امثل

الشرح

امره ان يقتصر على القيام بالفرائض وان ياخذ
بسنة سلفه الصالح من آبائه واهل بيته فانهم لم يقتصروا على التقليد بل نظروا لانفسهم
وتاملوا الادلة ثم رجعوا آخر الامر الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان قلت
من سلفه هؤلاء الذين اشار اليهم قلت المهاجرون الاولون من بني هاشم كالحمزة وبني
المطلب وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وكابي طالب في قول الشيعة وكثير من اصحابنا
وكعبد المطلب في قول الشيعة خاصة فان قلت فهل يكون امير المؤمنين عليه السلام
نفسه معدودا من جملة هؤلاء قلت لا فانه لم يكن من اهل المبادي والجمل المقتصر بهم
في تكليفهم العقليات على اوائل الادلة بل كان سيد اهل النظر كافة وامامهم فان

قلت

اسلام ابي طالب عند الشيعة وكثير من المعتزلة

قلت ما معنى قوله لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما ينظر الانسان لنفسه ليخلصها
من مضرة عظيمة يسهلها ان يقع به ان لم ينظر في الخلاص منها وهذا هو الوجه في وجوب
النظر في طريق معرفة الله تعالى وهو الخوف من اهمال النظر فان قلت ما معنى
قوله الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا قلت الاخذ بما عرفوا مثل ادلة
حدوث الاجسام وتوحيد الباري وعدله والامساك عما لم يكلفوا مثل النظر في اثبات
الجزء الذي لا يتجزى ونفيه ومثل كلام اصحابنا في الخلاء والملاء والكلام في هل بين
كل حركتين مستقيمتين سكون ام لا وامثال ذلك مما لم يتوقف اصول التوحيد
والعدل عليه فانه لا يلزم اصحاب الجمل والمبادي ان يخوضوا في ذلك لانهم لم يكلفوا
الخوض فيه وهو وظيفة قوم آخرين قوله عليه السلام فان ابت نفسك ان
تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا هذا الموضع فيه نظر لانا قد قلنا انهم لم يعلموا التفا صيل
الدقيقة فكيف يجعلهم عالمين بها ويقول ان تعلم كما علموا ويمكن ان يقال ان الكاف
وما عملت فيه في موضع نصب لانه صفة مصدر محذوف وتقديره فان ابت نفسك
ان تقبل ذلك علما كما علموا دون ان تعلم التفاصيل الدقيقة وجاز اسناد علما والعامل
فيه تقبل لان القبول من جنس العلم لان القبول اعتقاد والعلم اعتقاد وليس لقائل
ان يقول فاذا لم يكن قد فصل بين الصفة والموصوف باجنبي لان الفصل بينهما قد
جاء كثيرا قال الشاعر ٥ حواسكما ملأها من سعادة ٥ سرت في هلاك المال والمال
ويجوز ان يقال كما علموا الآن بعد موتهم فانهم بعد الموت عالمين بجميع ما تشتبه علمه على
الناس في الحياة الدنيا لان المعارف ضرورية بعد الموت والنفوس باقية على
قول كثير من المسلمين وغيرهم واعلم ان الذي يدعوا الى تحمل هذه التاويلات
ظاهر الكلام كونه يامره بتقليد النبي صلى الله عليه وآله والاخذ بما في القرآن وترك النظر
العقلي هذا هو ظاهر الكلام الا تراه كيف يقول له الاقتصار على ما فرض الله عليك
والاخذ بما مضى عليه اهل بيتك وسلفك فانهم لما حاولوا النظر رجعوا باخره الى
السمعيات وتركوا العقليات لانها افضت بهم الى ما لا يعرفونه ولا هو من تكليفهم
ثم قال له فان كرهت التقليد المحض واحببت ان تسلك مسلكهم في النظر وان تقضي
بك الامر في آخره الى تركه والعود الى المعروف من الشرعيات وما ورد به
الكتاب والسنة فينبغي ان تنظر وانت مجتمع الهم خال من الشبهة وتكون طالبا للحق
غير قاصد الى الجدل والمراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضي هذه المعاني ولم يجز عندنا
ان امير المؤمنين عليه السلام يامر ولده مع حكمته واهليته بالتقليد وترك النظر
رجعنا الى تاويل كلامه على وجه يخرج به عليه السلام من ان يامر بما لا يجوز لمثله ان يامر
به واعلم انه عليه السلام قد اوصاه اذا هم بالشروع في النظر بمجانبة ما يذكره المتكلمون
وذكر امورا منها ان يرغب الى الله في توفيقه وتسديده ومنها ان يطلب المطلوب
النظري تفهما وتعلما لا بجدال ومغالبة ومراء ومخاصمة ومنها اطراح العصبية
لمذهب بعينه والتورط في الشبهات التي يحاول بها نصرة ذلك المذهب ومنها
ترك الالف والعادة ونصرة الرياسة وهو المعني بالشوائب التي تولج في الضلال
... امر من حرج او شغل او غضب ولا يكون ذا هموم كثيرة وافكار موزعة مقسمة

بل يكون فكره وهمه هماً واحداً قال فإذا اجتمع لك كل ذلك فانظر وإن لم يجتمع لك ذلك ونظرت
كنت كالناقة العشواء الخابطة لا تهتدي وكمن يتورط في الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه
وليس طالب الدين من كان خابطاً أو خالطاً والإمساك عن ذلك أمثل وأفضل الأصل
فتفهم يا بني وصيتي واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المفني
هو المعيد وأن المبتلي هو المعافي وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء
والابتلاء والجزاء في المعاد وما شاء مما لا نعلم فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على
جهالتك فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك
ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك الشرح قد يتعلق بهذه اللفظة وهو قوله
وما شاء مما لا نعلم من المتناسخة فقالوا المعني بها الجزاء في الهياكل التي تنتقل النفوس إليها
وليس ما قالوه بظاهر ويجوز أن يريد عليه السلام أن الله تعالى قد يجازي المذنب في الدنيا
بنوع من العقوبة كالأسقام والهم وغيرهما والعقاب وإن كان معقولاً على وجه الاستحقاق
من إهانة فيجوز المستحق وهو الباري تعالى أن يقتصر منه على الإيلام فقط لأن الجميع حقه
فله أن يستوفي البعض ويسقط البعض وقد روي أو بما شاء وروي مما لا يعلم فأما التي
ولا يجوز أن يجازي به المحسن في الدنيا لأنه على صفة لا يجامع التكليف ويحمل لفظ الجزاء
على جزاء العقاب خاصة ثم عاد عليه السلام ووصيته الأولى فقال فإن أشكل عليك شيء من أمر
القضاء والقدر وهو كون الكافر مخصوصاً بالنعماء والمؤمن مخصوصاً بضرب من الابتلاء وكون الجزاء
قد يكون في المعاد وقد يكون في غير المعاد فلا تقدحن جهالتك به في سكون قلبك [illegible]
حكمته وهو أن الله تعالى هو المحيي والمميت المفني المعيد المبتلي المعافي وأن الدنيا بنيت على
الابتلاء والإنعام لأنهما لمصالح وأمور يستأثر الله تعالى بعلمها وأنه يجازي عباده إما
في الآخرة أو في غير الآخرة على حسب ما يريده ويختاره ثم قال له إنما خلقت في مبتدأ
خلقتك جاهلاً فلا تطلبن غاية من العلم لا وصول لك إليها أو لها إليه وصول إلا
بعد أمور صعبة ومتاعب شديدة ومن خلق جاهلاً حقيق أن يكون جهله شيئاً عظيماً لكثرة
من علم [illegible] للأصل ثم أراد أن يؤنسه بكلمة يستدرك بها الحاسر فقال له
عساك إذا جهلت شيئاً من ذلك أن تعلمه فيما بعد فما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحير
فيه ثم تبصره وتعرفه وهذا من الطب اللطيف والرقى الناجعة أو السحر الحلال
الأصل فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك وإليه
رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني أن أحداً لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم فارض به رائداً وإلى النجاة قائداً فإني لم آلك نصيحة وإنك لن
تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك الشرح عاد إلى أمره باتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يعتمد على السمع وما وردت به الشريعة ونطق به
الكتاب وقال له إن أحداً لم يخبر عن الله كما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وصدق عليه
السلام أن التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب أنبياء بني إسرائيل لم تتضمن من الأمور
الإلهية ما تضمنه القرآن وخصوصاً في أمر المعاد فإنه في أحد الكتابين مسكوت عنه
وفي الآخر مذكور ذكراً مضطرباً والذي كشف القناع في هذا المعنى وصرح بالأمر هو القرآن
ثم ذكر له أنه ناصح له مشفق عليه وأنه لن يبلغ وإن اجتهد في النظر لنفسه ما يبلغه هو

عليه السلام

عليه السلام له لنفسه حيث له وأشار بمصلحته بقوله لم آلك نصحاً لم أقصر في نصحك آلا
الرجل في كذا يألو أي قصر فهو آل والفعل لازم ولكنه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنصبه
وكان أصله لا آلو لك نصحاً ونصحاً منصوب على التمييز وليس كما قال الراوندي إن انتصابه على
أنه مفعول ثان فإنه لا يتعدى إلى مفعول واحد لا يتعدى فكيف إلى اثنين ويقول هذه امرأة آلية
أي مقصرة وجمعها أوال وفي المثل إلا حظية فلا ألية أصله المرأة تصلف عند بعلها فيوصيها
حيث فاتتها الحظوة أن لا تألو في التودد إليه والتحبب إلى قلبه وقوله ومنه شفقتك
أي خوفك ورائد أهله الرجل يتقدم القوم [illegible] لهم المرعى الأصل
واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه
ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد
ولا يزول أبداً ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية وآخر بعد الأشياء بلا نهاية عظم
عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في
صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته والرهبة
من عقوبته والشفقة من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح
الشرح قد يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نفي الثاني من وجهين أحدهما أنه لو
كان في الوجود ثان للباري تعالى لما كان القول بالوحدانية حقاً بل كان الحق هو القول
بالتثنية ومحال ألا يكون ذلك الثاني حكيماً ولو كان الحق هو إثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولاً
يدعو المكلفين إلى التثنية لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد لكن التوحيد على هذا الفرض ضلال
فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من ينبه المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو إثبات
الثاني وإلا كان منسوباً فيما يدل ذلك على العجز واستفساد المكلفين وذلك لا يجوز لكنا ما أتانا
قط رسول يدعو إلى إثبات ثان في الإلهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالاً وإذا لم
يكن ضلالاً كان حقاً فنقيضه وهو القول بإثبات الثاني باطل الوجه الثاني أنه لو كان في الوجود
ثان للقديم تعالى لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثباته إما من مجرد أفعاله أو من صفات أفعاله
أو من صفات نفسه أو لا من هذا ولا هذا بل من التوقيف وهذه هي الأقسام التي ذكرها أمير المؤمنين
عليه السلام لأن قوله لأتتك رسله هو التوقيف وقوله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه هي صفات
أفعاله وقوله ولعرفت أفعاله وصفاته هما القسمان الآخران أما إثبات الثاني
من مجرد الفعل فباطل لأن الفعل إنما يدل على فاعل ولا يدل على التعدد وأما صفات أفعاله
وهي كون أفعاله محكمة متقنة فإن الإحكام التي شاهدنا إنما يدل على عالم ولا يدل على التعدد
وأما صفات ذات الثاني فالعلم بها فرع على العلم بذاته فلو أثبتناه بها لزم الدور وأما
التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة يدعونا إلى الثاني وإذا بطلت الأقسام كلها وقد ثبت أن
ما لا طريق إلى إثباته فلا يجوز إثباته بطل القول بإثبات الثاني ثم قال لا يضاده في ملكه أحد
ليس يريد بالضد ما يريده المتكلمون من نفي ذات هي معاكسة لذات الباري في صفاتها كمضادة
السواد للبياض بل مراده نفي الثاني لا غير فإن نفي ضد [illegible] آخر لا [illegible] له من هذا الكلام
ثم ذكر له أنه قديم سابق الأشياء لا بأنه لها حد محدود وأول معين بل لا أول له مطلقاً ثم قال
وهو مع هذا آخر الأشياء آخرية مطلقة ليس ينتهي إلى غاية معينة ثم ذكر أن ربوبيته جلت عن أن
تحيط بها الأبصار والعقول وقد سبق منا خوض في هذا المعنى وفي الذي أسهب به

وذكرنا من وطنا في هذا النمط اشيا لطيفة ونحن نذكر ههنا من نظمنا ايضا في هذا المعنى الذي شهرنا به وهو المناجاة والمخاطبة على طريقة ارباب الطريقة ما لم نذكره ثم هاك ثمر ذلك

قولي

فلا والله ما وصل ابن سينا * ولا اغنى ذكا ابي الحسين
ولا رجعا بشي بعد بحث * ولا فوق سوى حق حنين
لقد طوفت اطلبكم ولكن * تحول الوقت بينكم وبيني
فهل بعد انقضا الوقت احظى * بوصلكم غدا وتقر عيني
مناي عشا بها زمنا وكانت * سوفنا بصدق او بمين
فان ادنو فذا كالصاع دين * وان اصدق فذا كحلول دين

ومنها

ام مولاي قد احرقت قلبي ولا تكن * غدا محرقا بالنار من كان يهواكا
اتجمع لي نارين نار محبة * ونار عذاب انت ارحم من ذاكا

ومنها

ومن موسي ما هو اسنى كما * فذحا في النفس قدرها اربعونا
دلي اليوم بالهاتي هو امن لم سماه * وحسبه حمسمون ناحا
مل احاسنا الام نروم الوصل منكم * وانتم ممعونا
كم ساحكم فلا مرشد ونا * ونناديكم فلا تسمعونا
حسنا علمكم بانا موالكم * وانكم كارهونا
فعسى يدرك السعادة ارباب المعاصي فتصلحوا فاترونا

ومنها

والله ما اشتهي من الدنيا على مال * ولا ولد ولا سلطان
بل فهم العلم منى حسنه * يتقى معى ويلقى في اكفاني
انى ارى الباطني لا طاهري * والحس مشغله عن العرفان
يا من بهرت معكرا في امره * حسبى حولا دائم الحولان
قد جعت احوم من نعامه بيهن * واضل سعتا من ابى عسان

ومنها

وحقك ان دخلني النار قلت للذين بها قد كنت ممن يحبه
وانفدت عمري في علوم دقيقة * وما بغيته الا رضاه وقربه
هبوني مسيا او مع الحلم جهله * او ولقد بني الرب ذنبه
اما يقتضي شرع التكرم عتقه * اعن ابن يحسى هواه وحبه
اما كان يروى للحق فيما نقوله * الم تسمع التوحيد والعدل كتبه
اما ورد ابن الخطيب وشكله * والجادة ادخل في الذين خطبه
اما قلتم من كان فينا مجاهدا * سنكرم مثواه ونعرف شربه
وهديه سبلا من هدانا خنها * ويدخله حر المكاسب كسبه
فاي اجتهاد فوق ما كان صانعا * وقد احرقت في الباطن شهبه

وقال

وما بال قلبي حسن محمد * كما نال من اهل الضلالة قلبه
فان تصفحوا نعم وان تحرموا * فعذركم حلو المرافق عذبه
وانه صدق الصادق بعد الاذى * اذا كان من يهوى عليه تضيبه

ومنها

لذا افكرت فيك اعيى عقلي * والحق الممتاز بين الكمال
واضحوا انه فيوب دهنى * ونهدح خاطري كسواط نار
فيا من تاه العقلا فيه * فاستو اطلم صرعى عفار
ويا من حارت الافكار عنه * فابت بالمتاع والخسار
ويا من ليس يعلمه شي * ولا ملك ولا تدركه دار
ويا من ليس قداما وخلفا * ولا جهة اليمين ولا اليسار
ولا فوق السما ولا تدلى * من الارضين في لج البحار
ويا من من مع ذاك اجلى * من ابن ذكا واوضح من نهار
شالتك باسمك المكنون الا * فككت النفس من رق الاسار
وحدث لنا بما يهوى ما شئت * العلم ساطي للغز الضمار

ومنها

يا رب انك عالم بمحبتي لك واجتهادي * وبحرقي للدمع عنك على من اعمة العباد
بالعدل في التوحيد اصدع معلنا * في كل نادى
وكشفت بدع من الحطب وكسبته بين العباد
ونقضت سائر ما بناه من الضلالة والفساد
وابنت عن اعوانه في دين احمد ذي الرشاد
وجعلت وجه باضربه محمها من بالسوق اد
وكففت من غلوائهم بعد التمرد والعناد
نكا بما غل الرماد عليهم بعد الرماد
وقصدت وجهك ابتغى لحسن المشهد في المعاد
فاقض على العبد الفقير البكم بنوت السداد
وارزقه قبل الموت معرفة المصادر والمباد
وافكك اسير الحرص بالاصفاد من اسر الصفاد
واغسل بصفو القرب من انواركم كدر البعاد
واعصمه من حر الغليل بوصلكم برد الفواد
وارحم عبونا فيك هائمة وقلبا فيك صادى
يا ساطح الارض المهاد وممسك السبع الشداد

الاصل

يا بني اني قد انباتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانباتك عن الاخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فاموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق

وجشوبة السفر وخشونة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون
لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم
وأدناهم إلى محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل
جديب فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون
عليه ويصيرون إليه **الشرح** خف عليه يخف وأجدى يجدي أي أفدى
وقوم سفر بالتسكين أي مسافرون وأموا قصدوا والمنزل الجديب ضد المنزل
الخصيب والجناب المريع المخصب والكلأ العشب وقد مرع الوادي بالضم والجناب
الفناء ووعثاء السفر الطريق مشقتها وخشونة المطعم غلظه طعام جشب ومجشوب
ويقال إنه الذي لا أدم معه يقول من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة كمسافر من منزل
جديب إلى منزل خصيب فهو في طريقه مشقة فإنه لا يكترث بذلك في جنب ما يطلب والعيش
ومن عمل للدنيا فأهمل أمر الآخرة فإنه كمن يسافر إلى منزل ضنك ويهجر منزلا رحيبا طيبا وهذا
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

الأصل يا بني اجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب
لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك
واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك
ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ولا تقل للناس ما لا تحب أن يقال لك واعلم أن الإعجاب
ضد الصواب وآفة الألباب واسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك وإذا أنت هديت لرشدك
فكن أخشع ما تكون لربك **الشرح** جاء في الحديث المرفوع لا يكمل إيمان عبد
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه وقال بعض الأسارى
لبعض الملوك افعل معي ما تحب أن يفعله الله معك فأطلقه وهذا هو معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وقوله وأحسن من قول الله عز ذلك
وجل وأحسن كما أحسن الله إليك وقوله واستقبح من نفسك سئل الأحنف بن قيس
عن المروءة فقال أن تستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وروي وارض من الناس لك
وهي أحسن وأما العجب وما ورد من ذمه فقد قدمنا فيه ما فيه مقنع قوله عليه السلام
واسع في كدحك أي أذهب ما اكتسبت بالإنفاق والكدح ههنا هو المال الذي كدح في تحصيله
والسعي فيه إنفاقه وهذه كلمة فصيحة وقد تقدم نظائر قوله ولا تكن خازنا لغيرك
ثم أمره بأن يكون أخشع ما يكون لله إذا هداه لرشده وذلك لأن هداية الله إياه إلى رشده
نعمة عظيمة منه سبحانه يقابل بالخشوع لأنه ضرب من الشكر

الأصل واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وأنه لا غنى
بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن
على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك وإذا وجدت من أهل الفاقة
من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حين تحتاج إليه فاغتنمه وحمله
إياه وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من
استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم أن أمامك عقبة
كؤودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع وإن

مهبطك

مهبطك بها لا محالة على جنة أو نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك
الشرح أمره في هذا الفصل بإنفاق المال والصدقة والمعروف
وقال إن بين يديك طريقا بعيد المسافة شديد المشقة ومن سلك طريقا فلا غنى له عن
أن يرتاد لنفسه ويتزود من الزاد قدر ما يبلغه الغاية وأن يكون خفيف الظهر في سفره
فإياك أن تحمل من المال ما يثقلك فيكون وبالا عليك وإذا وجدت من الفقراء والمساكين كبن
من يحمل لك الثقل عنك فيوافيك به غدا وقت الحاجة فحمله إياه فلعلك تطلب ما لك فلا
تجده جاء في الحديث خمس من أتى الله بهن أو بواحدة منهن أوجبت له الجنة من سقى
هامة صادية أو أطعم كبدا هافية أو كسى جلدة عارية أو حمل قدما حافية أو أعتق رقبة
عانية فقيل لحاتم الأصم لو قرأت لنا شيئا من القرآن قال نعم فاستفتح فقرأ الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
يكنزون فقالوا أيها الشيخ ما هكذا أنزل قال صدقتم ولكن هكذا أنتم هنم

الأصل واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن
لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك
فلم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ولم يمنعك إن أسأت
من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حين تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول
الإنابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة
وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب
فإذا ناديته سمع نداك وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك وشكوت
إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أمورك وسألته من خزائن رحمته ما لا
يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ثم جعل في
يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته
واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية ليكون
ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه
عاجلا أو آجلا أو صرف عنك لما هو خير لك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته
فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له

الشرح

قد تقدم القول في الدعاء قوله بل جعل نزوعك عن الذنب هذا مبني على مذهب أصحابنا
وهو أن تارك القبيح لأنه قبيح يستحق الثواب قوله وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا
هذا إشارة إلى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا
مثلها قوله وأبثثته ذات نفسك أي حاجتك ثم ذكر وجوها في سبب إبطاء الإجابة به
منها أن ذلك أمر عائد إلى النية فلعلها لم تكن خالصة ومنها أنه ربما أخر ليكون
أعظم لأجر السائل لأن الثواب على قدر المشقة ومنها أنه ربما أخر ليعطى السائل
خيرا مما سأل قوله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له لفظ شريف فصيح ومعنى صادق
محمود وعظة بالغة **وقال أبو الطيب**

أين الجبابرة الأكاسرة الأولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

وذوي من يحجبه عنك وذوي وحيث الفضيحة اي حيث الفضيحة موجودة منك او علم ان معنى قوله وقد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة اشارة الى قوله تعالى ادعوني استجب لكم وفي قوله وامرك ان تساله ليعطيك اشارة الى قوله تعالى واسالوا الله من فضله وفي قوله وتسترحمه ليرحمك اشارة الى قوله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي قوله ولم يمنعك ان اسات في التوبة اشارة الى قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما

الاصل

واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الاخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك فيها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعتت هي لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها على بعض وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق

الشرح

يقال هذا منزل قلعة بضم القاف وسكون اللام اي ليس بمستوطن ويقال هذا مجلس قلعة اذا كان صاحبه يحتاج ان يقوم مرة بعد مرة ويقال ايضا هم على قلعة اي على رحلة والقلعة ايضا المال العارية وفي الحديث بئس المال القلعة وكله راجع الى معنى واحد قوله دار بلغة فالبلغة ما يتبلغ به من العيش قوله سروح عاهة فالسروح جمع سرح وهو المال السارح والعاهة الافة اي عاهة الموت اصابت ما سنهم العاهة والوادي الوعث الخائر والحوف فيه لا يعبث فيه ويشق على من يمشي فيه واوعث القوم وقعوا في الوعث ومسيم يسيمها راع يرعاها وقوله رويدا يسفر الظلام الى اخر الفصل امثال محركة لمن عنده استعداد واستقر اخي ابو الفتح محمد بن عباد رحمه الله وانا يومئذ حدث هذه الوصية فقراتها عليه من حفظي فلما وصلت الى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط وكان جبارا قاسي القلب واعلم انا قد قدمنا في وصف الدنيا والفناء والموت من محاسن الكلام الصالحين والحكماء ما فيه الشفاء ونذكر الان اشياء اخر من كلام الحسن البصري يا ابن ادم انما انت ايام مجموعة فاذا مضى يوم مضى بعضك بعض الحكماء رحمه الله امرؤ لا يغره ما يرى من الناس فانه يموت وحده ويقبر وحده ويحاسب وحده وقال بعضهم لا وجه لمعاناة الهموم لاجل الدنيا ولا الاعتداد بشيء من متاعها ولا التخلي منها اما من جهة ان لا سبيل الى دفع الكائن من مقدورها واما ترك الاعتداد بها فان مرجع كل واحد الى تركها واما ترك التخلي منها فلان الاخرة لا تدرك

الا

الانبياء ومن كلام بعض الحكماء افضل اختيار الانسان ما تجدد الى الاخرة واعرض عن الدنيا وقد قيل المجد واودنا الرحيل ولنا من الدنيا على الدنيا دليل وانما احدنا في مدة بقائه صريع لمرض او منكث لهم او مطروق بمصيبة او مترقب لخوف لا يامن اصاف لذاته من المطعوم والمشروب ان تكون سبب موته ولا يامن مملوكه وجاريته او ولده ان يكون عدوا او خصما وهو مع ذلك عاجز عن اسناد امره سلامة عقله من زوال وسمعه من صمم وبصره من عمى ولسانه من خرس وسائر جوارحه من زمانة ونفسه من تلف وماله من بوار وحبيبه من فراق وكل ذلك يشهد شهادة قطعية انه فقير الى ربه ذليل في قبضته محتاج اليه ولا بد الحكم ما جاءت به وعم احرى بمن عرف ذلك واذا اعرض عنه عاد المكارم حمل معاثرها الصبر والتاسي ولم يغتر بتتابع النعم وابطا حاول النفس واذا اعتم صحبة التقي وقطع النفس عن الهوى وكانما حيانه كبضاعة يشفق من راس المال فيها ولا يمكنه ان يريد فيها ومثل ذلك يوشك فناؤه وسرعة زواله

سيباشر الترب احذك ❁ وسيضحك الباكون بعدك ❁
وليسرعن بك البلى ❁ وليخلقن الموت عهدك ❁
ولتقبضنك مثل ما ❁ افنى اباك بلى وجدك ❁
لو قد رحلت عن القصو ❁ ر وطيبها وسكنت وحدك ❁
لم ينتفع الا بفعل صالح ❁ قد كان عندك ❁
وترى الذين قسمت ما لك بينهم ❁ حصصا وكد كده ❁
يتلذذون بما جمعت لهم ❁ ولا يجزون فقدك ❁

واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه

مثل الكلمة الاولى قول بعض الحكماء وقد نسب ايضا الى امير المؤمنين عليه السلام اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام قوله خفض في الطلب من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب وقال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ❁ عوضا ولو نال الغنى بسؤال ❁
واذا النوال الى السؤال قرنته ❁ رجح السؤال وخف كل نوال ❁

وقال اخر

رددت رونق وجهي في صحيفته ❁ رد الصقال بها الصارم الخذم ❁
وما ابالي وخير القول اصدقه ❁ حقنت لي ماء وجهي او حقنت دمي ❁

وقال اخر

وانى لاختار الزهد على الغنى ۞ وابذل ما لى الفراج عن المحصى ۞
وادرع الاملاق صبرا وقدرا ۞ مكان الغنى كيلا اهين له عرضى ۞

وقال ابو محمد اليزيدى للمامون ۞

انقالنا الله الامام وزاده ۞ شرفا على الشرف الذى اعطاه ۞
فالله اكرمنا بانا معشر ۞ عتقا من نعم العباد سواه ۞

وقال اخر

كيف النهوض بما اوليت من حسن ۞ ام كيف اشكر ما طوقت من نعم ۞
ملكتنى ما وجدت كاد يسلكه ۞ ذل السوال ولم تجرح به همم ۞

وقال اخر ۞

لا تحرصن على الحطام فانما ۞ يأتيك رزقك حين يؤذن فيه ۞
سد الفضا تقديره ورمانه ۞ ويأتيه يأتيك او تأتيه ۞

وكان يقال ما استغنى احد بالله الا افتقر الناس اليه وقال رجل في مجلس فيه قوم من اهل العلم لا ادرى ما يحمل من يوقن بالقدر على الحرص وطلب الرزق وقال احد الحاضرين يحمله القدر فسكت اقول لو كنت حاضرا لقلت يحمله القدر لما نهاه العقلا عن الحرص ولما مدحوا على العفه والقناعه فان عاد وقال اولئك الزمهم القدر الى المدح والذم والامر والنهى وقد جعلت سنه وعيش من الناس بل من جميع الحيوان عن الجمادات التى يحى لها عنه‌وها ومن بلغ الى هذا الحد لا يكلم ۞

اراك يزيدك الايام حرصا ۞ على الايام كانك لا تموت ۞
فهل لك غاية ان صرت يوما ۞ اليها قلت حسبى قد رضيت ۞

اى عيش يكون افضل من عيش ۞ كفاف قوت بقدر البلاغ ۞
فهى الايام عقلى ومالى وشبابى وصحتى وفراغ ۞

واوصى بعض الادبا ابنه فكتب اليه ۞

كن حسن الظن برب خلقك ۞ وثق واجمل على ما حلى رزقك ۞
واعلم بان الحرص يطغى ويتفك ۞ فجانب الحرص واحسن خلقك ۞
واصدق وصادق ابدا من صدقك ۞ دار معاديك ومن مشى ومقك ۞
واجعل لاعدائك حرما ملكك ۞ وحبر حسن الكلام منطقك ۞
هذى وصاة والد قد عقلك ۞ وصاه من اقلقه من اقلقك ۞

احل الفتى مما يؤمل اسرع ۞ واراك تجمع دائبا لا تشبع ۞
قل لى لمن اصبحت تجمع دائبا ۞ البعل عرسك لا ابا لك تجمع ۞

واوصى زياد ابنه عبد الله عند موته فقال لا تذرن عرضك ولا تبذلن وجهك ولا تخلقن جدة ساحتك بالطلب الى من ان ردك كان رده عليك عيبا وان قضا حاجتك جعلها عليك منا واحتمل الفقر بالتنزه عما في يد غيرك والزم القناعه بما قسم لك وان سوء حمل الغنى يضع الشريف ويحمل الذكر ويوجب الحرمان

الاصل

الاصل

وبلافك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في يدك احب الى من طلب ما في يد غيرك ومرارة الياس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفه خير من الغنا مع الفجور والمر احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن يفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا وربما كان الدوا دا والدا دوا وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح اياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصه قبل ان تكون غصه ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعه الزاد ومفسده المعاد ولكل امر عاقبه سوف ياتيك ما قدر لك والتاجر مخاطر ورب يسير انما من كثير

الشرح ۞ هذا الكلام قد اشتمل على امثال كثيره حكميه اولها قوله تلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وهذا مثل قولهم انت قادر على ان تجعل صمتك كلاما ولست بقادر على ان تجعل كلامك صمتا وهذا حق لان الكلام يسمع وينقل والصمت ليس بمسموع ولا منقول فيتعذر استدراكه ومنها قوله حفظ ما في يدك احب الى من طلب ما في يد غيرك هذا مثل قولهم في المثل البخل خير من سوال البخيل وليس مراده امير المومنين عليه السلام وصايته بالامساك والبخل بل نهيه عن التفريط والتبذير قال الله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحمق الناس من اضاع ماله اتكالا على مال الناس وظنا انه يقدر على الاستخلاف قال الشاعر ۞

اذا حدثتك النفس انك قادر ۞ على ما حوت ايدى الرجال فكذب ۞

وثالثها قوله ومرارة الياس خير من الطلب الى الناس من هذا اخذ الشاعر قوله ۞

وان كان طعم الياس مرا فانه ۞ الذ واحلى من سوال الاراذل ۞

وقال البحترى

واليأس احدى الراحتين ولن ترى ۞ تعبا كظن الخائب المكدود ۞

ورابعها قوله الحرفة مع العفه خير من الغنا مع الفجور الحرفه بالكسر مثل الحرف بالضم وهو نقصان الحظ وعدم نمو المال ومن قولهم رجل محارف يقول لان يكون المرء هكذا وهو عفيف الفرج واليد خير من الغنى مع الفجور وذلك لان الم الحرفه مع العفه سفهها انما هي في ايام قليله وهي ايام العمر ولذة الغنا اذا كان مع الفجور ففي مثل تلك الايام تكون ولكن يستعقب عذابا طويلا فالحال الاولى خير لا محالة وايضا ففي الدنيا هي خير للذكر الجميل فيها والذكر القبيح في الثانيه والمحافظه على المروه في الاولى وسقوط المروه في الثانيه وخامسها قوله المرء احفظ لسره اى الاولى ان لا تبوح بسرك لاحد فانت احفظ له من غيرك وان اضعته فانت تلوم الا نفسك لانك كنت عاجزا عن حفظ سر نفسك وهو كما قال الشاعر ۞

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ۞ فصدر الذى يستودع السر اضيق ۞

وسادسها قوله رب ساع فيما يضره قال عبد الحميد الكاتب الى ابى مسلم لو اراد الله بالنمله صلاحا لما انبت لها جناحا وسابعها قوله من اكثر اهجر يقال اهجر

الرحل اذا المحتن والمطوق السوق والحنا قال الشماخ
كما حبا الاعراف قال بصره كلاما فتحا حارقته وامجرآه
وهذا مثل قولهم من كثر كلامه كثر سقطه وقالوا ايضا قل ما سلم مكثار او امن من عثار
وثامن عشرها قوله من تفكر ابصر قالت الحكما الفكر يعدي العقل نحو المعقول كما ان النظر البصري
يعدي البصر نحو المحسوس فكما ان من حدق نحو المبصر وحدقته صحيحه والموانع من نفعه
لا بد ان يبصره كذلك من نظر بعين عقله وافكر فكرا صحيحا لا بد ان يدرك الامر الذي
افكر وساله وتاسع عشرها قوله قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم كان يقال
صاحبك وجهك وكاتبك لسانك وجليسك كتابك وقال الشاعر
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
وعاشرها قوله بئس الطعام الحرام هذا من قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وحادي عشرها قوله ظلم الضعيف افحش
الظلم راى معويه يزيد ابنه يضرب غلاما له فقال يا بني كيف لا يسع حلمك من تضربه ولا يمتنع
منك وامر المامون باشخاص الخطابي من البصره فلما مثل بين يديه قال يا سليمان انت
القايل العراق عين الدنيا والبصره عين العراق والمربد عين البصره ومسجدي عين المربد
وانا عين مسجدي وانت اعور فاذا اعين الدنيا اعور قال يا امير المومنين لو اقلت ذاك او لا
لطف امير المومنين استعصى لذلك قال بلغني انك اصبحت فرايت على ساريه من سواري
مسجدك يرحم الله عليا انه كان نقيا فامرت بمحوه قال يا امير المومنين فلقد كان
نقيا فامرت بانه قال كذبت كان القاف اصح من عينيك الصحيحه ثم قال له والله لولا
ان اقيم عليك عند العامه سوقا لاحسنت تاديبك قال يا امير المومنين قد نرى ما
انا عليه من الضعف والزمانه والهرم وقله البصر فان عاقبتني مظلوما فاذكر قول
ابن عمك علي عليه السلام ظلم الضعيف افحش الظلم وان عاقبتني عفوا فاذكر ايضا قوله
لكل شي راس والحلم راس السودد فنهض المامون من مجلسه ولم يرده الى البصره
ولم يصله بشي ولم يحضر احد قط مجلس المامون الا وصله غير الخطابي وليس
الخطابي هو المحدث المشهور ذاك ابو سليمان احمد بن محمد بن احمد البستي كان في ايام
المطيع والطايع وهذا قاص بالبصره كان يقال له ابو زكريا سليمان بن محمد البصري
وثاني عشرها قوله اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يقول اذا كان استعمال
الرفق مفسده وزياده في الشر فلا تستعمله فانه حينيذ ليس برفق بل هو خرق ولكن
استعمل الخرق فانه يكون رفقا والحال هذه لان الشر لا يلقى الا بالشر مثله قال عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وفي المثل ان الحديد بالحديد يفلح وقال زهير
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وقال ابو الطيب
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
ثالث عشرها قوله ربما كان الدوا داء والداء دواء هذا مثل من قول ابو الطيب
ربما صحت الاجسام بالعلل ومن قول ابي نواس

وداوني

وداوني بالتي كانت هي الداء ومن قول الشاعر
تداويت من ليلى بليلى فلم يكن دوا ولكن كان سقما مخالفا
ورابع عشرها قوله ربما نصح غير الناصح وغش المستنصح كان المغيره بن شعبه
يبغض عليا عليه السلام منذ ايام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتاكد بغضه ايام ابي بكر
وعمر وعثمان رحمهم الله واشار عليه يوم بويع في الخلافه ان يقر معويه على الشام مده يسيره
فاذا خطب له بالشام وتوكدت دعوته دعاه اليه كما كان عمر وعثمان يدعوانه اليهما وصرفه
فلم يقبل وكانت نصيحه من عدو كاشح واستشار الحسين عليه السلام عبد الله بن الزبير وهما بمكه
في الخروج عنها وقصد العراق ظانا انه ينصحه فغشه وقال له لم يمكنه فليس بها من يتابعك
ويكون وتلك العراق فانهم متى راوك لم يعدلوا بك احدا فخرج الى العراق فكان من امره
ما كان وخامس عشرها قوله اياكم والاتكال على المنى فانها بضايع النوكى جمع انوك
وهو الاحمق من هذا اخذ ابو تمام قوله
من كان مرعى عزمه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولا
ومن كلامهم ملاك يعلو العقل وهي اوضح دليل على الضعف طول التمني وسرعه الجواب
والاسراب في الضحك وكان يقال التمني والحلم سيان وقال اخر اسمر والغنى ترك
التمني وسادس عشرها قوله العقل حفظ التجارب من هذا اخذ المتكلمون قولهم
العقل نوعان غريزي ومكتسب فالغريزي العلوم البديهيه والمكتسب ما افادته التجربه
وحفظته النفس وسابع عشرها قوله خير ما جربت ما وعظك هذا قول افلاطن
اذا اعطتك التجربه فلم تعترف بل انت ساذج كما كنت وثامن عشرها قوله بادر الفرصه قبل ان
تكون غصه حصر عبيد الله بن زياد عند هاني بن عروه عايدا وقد كمن له مسلم بن
عقيل وامره ان يقتله اذا جلس واستقر فلما جلس جعل مسلم يوامر نفسه ويريدها على الوثوب
فلم تطعه وجعل هاني ينشد كانه يترنم بالشعر ما الانتظار بسلمى لا تحيوها
ويكرر ذلك فاوجس عبيد الله منه خيفه ونهض فعاد الى قصر الاماره وفات مسلم منه ما
كان يؤمله باضاعه الفرصه حتى صار الى ما صار وتاسع عشرها قوله ليس كل طالب يصيب
ولا كل غايب يؤوب الاولى كقول القايل
ما كل وقت ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا
والثانيه كقول عبيد
وكل ذي غيبه يؤوب وغايب الموت لا يؤوب
العشرون قوله من الفساد اضاعه الزاد ومفسده المعاد لا ريب ان من كان في
سفر فاضاع زاده وافسد الحال التي يعود اليها فانه احمق وهذا مثل ضربه للانسان في حالي
دنياه واخرته الحادي والعشرون قوله سوف ياتيك ما قدر لكل امر فيه هذا
مثل المشهور لكل سابله قرار الثاني والعشرون قوله سوف ياتيك ما قدر لك هذا من قول
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وان لا يعدو لاحدكم رزقه وفي قصه جبل او حصن
تماع بانه الثالث والعشرون قوله التاجر مخاطر هذا خوفا انه تعجل باخراج الثمن فلا
يدري هل يعود ام لا وهذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن وهو ان من مزج الاعمال الصالحه
بالاعمال السيئه مثل قوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فانه مخاطر لانه لا يومن ان يكون بعض

أعماله الصالحة لا تكفي تلك السيئات والمراد به لا تجوز للكلام أن تفعل إلا الطاعة و
والمباح السرائع والعزون قوله رب يسير أنمى من كثير قد جاء في الأثر يجعل الله من القليل
الكثير ويجعل من الكثير البركة وقال الفرزدق

فإن تميماً قبل أن تلد الحصا ... أقام زماناً وهو في الناس واحد

وقال أبو عثمان الجاحظ رأينا بالبصرة أخوين كان أبوهما أحب أحدهما وبغض الآخر فأعطى محبوبه يوم موته كل ماله وكان أكثر من مائتي ألف درهم ولم يعط الآخر شيئاً فكان يتجر في الدبس ويكسب ما يصرفه في نفقة عياله ثم رأينا أولاد الأخ الموسر بعد موت الأخوين من عيال ولد الأخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل أرزاقهم

الأصل

لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج واحمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وكأنه ذو النعمة عليك وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وتجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة ولن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك أن تسوءه

الشرح

قد اشتمل هذا الفصل على كثير من الأمثال الحكمية فأولها قوله لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين مثل الكلمة الأولى إذا اكتفيت بغير كاف وجدته للهم غير شاف ومن الكلمة الثانية أخذ الشاعر

فإن من الإخوان من شحط النوى ... به وهو راع للوصال أمين
ومنهم صديق العين أما لقاؤه ... فحلو وأما غيبه فظنين

وثانيها ساهل الدهر ما ذل لك قعوده هذا استعارة والقعود البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى أن يثني ومثل هذا المعنى قولهم في المثل من ناطح الدهر أصبح أجم ومثله

ودر مع الدهر كيفما دارا ... ومثله

ومن قامر الأيام عن ثمراتها ... فأحر بها أن تنجلي ولها القمر

ومثله

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به ... رويداً ولا تعنف فيصبح

وثالثها قوله ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه هذا مثل قولهم من طلب الفضل حرم الأصل
ورابعها قوله إياك أن تجمح بك مطية اللجاج هذه استعارة وفي المثل ألج من خنفساء وألج من زنبور وكان يقال اللجاج من القحة والقحة من قلة الحياء وقلة الحياء من قلة المروءة وخامسها قوله احمل نفسك من أخيك إلى قوله أو تفعله بغير أهل اللطف

نعم

نعم اللام والطاء الاسم من التلطف تقول أي بره به وجاءنا لطف من فلان أي هديته والملاطفة المبارة وروي على اللطف وهو البر والتكرمة والمعنى أنه أوصاه إذا قطعه أخوه أن يصله وإذا جفاه أن يبره وإذا بخل عليه أن يجود عليه إلى آخر الوصايا ثم قال لا تفعل ذلك مع غير أهله وقال الشاعر

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقال الشاعر

إني وإن كان ابن عمي كاشحاً ... لمدافع من خلفه وورائه
ومفيده نصري وإن كان امرأ ... متزحزحاً في أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه ... حتى يحق علي وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه ... قرنت صحيحتنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركباً ... صعباً قعدت له على سيسائه
وإذا أتى من وجهة بطريفة ... لم أطلع فيما وراء خبائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل ... يا ليت أن علي فضل ردائه

وسادسها قوله لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك قد قال الناس في المعنى فأكثروا قال بعضهم

إذا صافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانصرم الكلام

وقال آخر

صديق صديقي داخل في مودتي ... وخصم صديقي ليس لي بصديق

وقال آخر

ولست أخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من ودني في المغائب
تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب

وسابعها قوله امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ليس يعني عليه السلام بالقبيحة ههنا القبيح الذي يستحق به الذم والعقاب وإنما يريد ما يقع له في العاجل كانت أو في الآجل الحال طارة له فيعبر عن النفع والضر بالحسن والقبح كقوله تعالى وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم وقيل فتنة قوم فقالوا إذا كانت نافعة لك أو ضارة لك فيحمل تفسير الأخ وصيته إياه أن يمحض أخاه النصيحة سواء كانت مما لا يستحيى من ذكرها وشياعها أو كانت مما يستحيى من ذكرها واستفاضتها بين الناس كمن ينصح صديقه في أهله ويشير عليه بفراقهم لفجور اطلع عليه منهم قوله تجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة هذا مثل قولهم الحلم مرارة ساعة وحلاوة الدهر كله وكان يقال التذلل للناس مصائد الشرف وقال المبرد في الكامل أوصى علي بن الحسين ابنه محمد بن علي عليهما السلام فقال يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال فإن أباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم والحلم أعز ناصراً وأكثر عدداً وتاسعها قوله ولن لمن غالظك هذا مثل المثل المشهور إذا عز أخوك فهن والأصل في هذا قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي

عنك وبينه عداوة كامنة وفي خصم وعاشر عشرها قوله خذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين هذا معنى مليح ومنه **قول ابن هاني في المعز**

ضربت هام الروم منتقماً ... وفي اعناقهم منن جوده اعباء

لولا انبعاث السيف وهو مسلط ... في قتلهم قتلتهم النعماء

وكنت كاتباً بديوان الخلافة والوزير حينئذ نصير الدين ابو الازهر احمد بن محمد بن الناقد رحمه الله فوصل الى حضرة الديوان في سنة اثنتين وثلثين وستمائة محمد بن ابي العز بن علي التمر البغدادي وصل بعده الهرمزي صاحبهم في رحله بالمراكب البحرية وهم مرتهنون فرضه في البحر بحو عمان واستلان بعد الى مرعى محمد بن محمد واصحاب الهرمزي وكانت تلك ايام غزاتهم لما افاض المستنصر رحمه الله على الناس من عطاياه والوفود تتزاحم من اقطار الارض على باب ديوانه **فكتبت** يوم دخول الهرمزي الى الوزير ابياتاً يسحب على الدين فيه وانا مشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمة وكان رحمه الله لا يزال يذكرها ويستحسنها

وهي هذه

يا احمد بن محمد ابن الذي ... علقت يداه بانفس الاعلاق

ما امّك بعداد وقبلك ان يرى ... ابداً ملوك البحر في الاسواق

ولهو عليها عنوة وتنافسوا ... شغفاً بها كتنافس العشاق

وعدت صلاتك في رقاب رجالهم ... وبذاك كالاطواق في الاعناق

شيّد بدرايك اصبحت حجا لهم ... وتالقوا من بعد طول شقاق

لله همة ماجد لم يعتلق ... سجلانه ولا احداق

حلت السلاهب ترنال وبعدها ... حلت المراكب من حزين واق

هذا العداء هو الغدا فعدّ عن ... قول ابن حجر في لاي وعناق

واطنه والطرف علم اسه ... سيجيئنا بمالك الافاق

اما اسير ضيعه في جوده ... بالجود غلا واسير وثاق

لا زال في ظل الخليفة خالدا ... ابدا وسودده المعظم باقي

وحادي عشرها قوله ان رثت قطيعة اخيك فاستنزله من نفسك بقته بدرجع اليها ان بدا الله ذلك يوما ما هذا مثل قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وكان يقال اذا هويت فلا تكن عالياً واذا تركت فلا تكن قاليا **وثاني عشرها** قوله من طلب خيرا فصدقه طلبه كان من اصحاب الهمم يقولون هذا يقال لمن تشاغل بطرف من العلم هذا عالم هذا فاضل وقد عرف ما طرفه من ذلك الى حصة فيوصف على الاشتغال بالعلم حتى يصير عالماً فاضلاً حقيقة وكذلك يقول الناس هذا كثير العبادة هذا كثير الزهد لم يشرع في شيء من ذلك فيحمل قول الناس على الالزام بالزهد والعبادة **وثالث عشرها** قوله ولا تصحبن اخاك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه من هذا المعنى

اذا احتجتم بالعتب عهدي فانكم ... تدلون ادلال المقيم على العهد

ضلوا وافعلوا فعل المدل بوصله ... والا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد

وكان

وكان يقال الضاعد الحقوق داعية العقوق **ورابع عشرها** قوله لا ترغبن فيمن زهد فيك الرغبة في الزاهد هي الدا العياء **قال العباس بن الاحنف**

ما زلت ازهد في مودة راغب ... حتى ابتليت برغبة في زاهد

هذا هو الدا الذي ضاقت به ... حيل الطبيب وطال يأس العائد

وقد قال الشعرا المتقدمون والمتأخرون في هذا المعنى فاكثروا واحسن **بوهم**

وفي الناس ان رثت حبالك واصل ... وفي الارض عن دار القلا متحول

وقول بابن طبسران

اني اذا خله ضنت بنايلها ... وامسكت بضعيف الحبل احذاقي

نجوت منها نجاء من بجيلة اذ ... القيت ليلة حبار عطار واقي

وخامس عشرها قوله لا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان هذا امر له بان يصل من قطعه وان يحسن الى من اساء اليه **طفق** عبد الله بن هرون الرشيد كتب قد كتبها على محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق الى اهل الكرخ وغيرهم من اعمال اصبهان يدعو فيها الى نفسه فاحضر بين يديه ودفعها اليه وقال الله بعرفه فاطرق خجلا فقال الله انت آمن ووهب له الذنب لعلي وفاطمة فقم الى منزلك وتخير ما شئت من الذنوب فانا متخير ما شئت من العفو **وسادس عشرها** قوله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه سعى في مضرته ونفعك فان بغيره وامن شرك ان يسؤه حالي الخبر المرفوع انه صلى الله عليه وسلم سمع عايشة تدعو على من سرق عقدا لها فقال لا تسبخي عنه بدعائك اي لا تخففي عذابه وقوله عليه السلام ليس جزا من سرك ان تسوه تقول لا تنتقم ممن ظلمك فانه قد نفعك في الآخرة بظلمه وليس جزا من نفع انسانا ان يسيء اليه وهذا مقام جليل لا يقدر عليه الا الافراد والاوليا الابرار **وقيل** بعض الحبابرة على قوم صالحين فحبسهم وقيدهم فلما طال عليهم الامر قرب يوما بعضهم ورفع سيديه ودعا على ذلك الجبار فقال له بعض اولادهم وكان افضل اهل زمانه في العبادة وكان مستجاب الدعوة لا تدع عليه فحقق من عذابه قالوا يا فلان الا ترى ما بنا وبك الا انف ربك لنا قال ان لفلان محطا في النار لم يكن ليبلغه الا بما نرى قالوا فقد نال منا العذاب والحديد فادع الله ان يسعدنا ويخلصنا بما عرفه قال اني لاظن ان لو فعلت لفعل ولكن والله لا افعل حتى يموت هذا فالقى الله فاقول اي رب سل فلانا لم فعل بي هذا ومن الناس من يحمل قوله عليه السلام ليس جزا من سرك ان تسوه كلمة مفردة مستقلة بنفسها ليست من تمام الكلام الاول والصحيح ما ذكرناه **وسابع** عشرها ومن حقه ان تقدم ذكره **قوله** ولا تكن اهلك اشقى الخلق بك هذا كما يقال في المثل من شوم الساحرة انها اول ما تبدا باهلها والمراد من هذا الكلام النهي عن قطع الرحم وافضى الاهل وحرمانهم وفي الخبر المرفوع بلوا ارحامكم ولو بالسلام **الاصل** واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفا عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك استدل على ما لم يكن بما كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب والصديق من صدق

عيند والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن
له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت
به سبب بينك وبين الله سبحانه من لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكا
اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده
واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل
من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان
تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار

الشرح

قد مضى لنا كلام شاف في الرزق وروى ابو حيان قال رفع الواقدي الى المامون
رقعة يذكر فيها غلبة الدين عليه وكثرة العيال وقلة الصبر فوقع المامون عليها انت رجل
فيك خلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فبلغ بك ما ذكرت
وقد امرنا لك بمائة الف درهم فان كنا اصبنا ارادتك فازدد في بسط يدك وان كنا لم نصب
ارادتك فبجنايتك على نفسك وانت كنت حدثتني وانت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير يا زبير ان مفاتيح الرزق بازاء العرش ينزل الله
للعباد ارزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر الله له ومن قلل قلل له قال الواقدي
وكنت انسيت هذا الحديث فكانت مذاكرته اياي به احب الي من صلته واعلم ان هذا
الفصل يشتمل على كثير حكمة منها قوله الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك وهذا حق لان ذلك انما يكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف فتارة يأتيه
الرزق بغير اكتساب ولا تكلف حركة ولا تجشم مشقة وتارة يكون الامر بالعكس وحكى
عماد الدولة ابو الحسن بن بويه سار بعد ان انهزم من ياقوت عنها وهو فقير لا مال له فساخت
احدى قوائم فرسه في الصحراء في الارض فنزل عنها وابتدرها اصحابه فخلصوها فظهر لهم ذلك الموضع
نفقا واسعا فامرهم بحفره فوجدوا فيه اموالا عظيمة وذخائر لابن ياقوت ثم استلقى يوما اخر
على ظهره في دار كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حية في السقف فامر غلمانه بالصعود اليها
فهربت منهم ودخلت في خشب الكتبة فامر بقلع الخشب وتستخرج وتقتل فلما قلعوا الخشب وجدوا
فيه اكثر من خمسين الف دينار ذخيرة لابن ياقوت واحتاج ان يفصل ثيابا له ولاهله
فقيل هاهنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت وهو رجل منسوب الى الخير والدين الا انه اصم لا يسمع
شيئا فامر باحضاره فحضر وعنده رعب وهلع فلما ادخله اليه كلمه وقال له اريد ان تخيط
لي كذا وكذا قطعة من الثياب فارتعد الخياط واضطرب كلامه وقال والله يا مولانا ما له عندي الا
اربعة صناديق ليس فيها غيرها فلا تسمع قول الاعداء فتعجب عماد الدولة وامر باحضار الصناديق
فوجدها كلها ذهبا وحليا وحوائج مملوءة وديعة لابن ياقوت فاما الرزق الذي يطلبه الانسان
ويسعى له فهو كثير لا يحصى ومنها قوله ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى
هذا من قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق الاية ومن اشعر الحكمي في هذا الباب

قول القايل ۝

حلفان لا ارضاهما لفتى ۝ بطر الغنى ومذلة الفقر ۝

فاذا غنيت فلا تكن بطرا ۝ واذا افتقرت فته على الدهر ۝

ومنها قوله انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك هذا من كلام رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم يا ابن ادم ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فامضيت وقال ابو العتاهية ۝

ليس للمحتاج من دنياه الا الرغيف والطمران

ومنها قوله وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك يقول لا
ينبغي ان تجزع على ما فاتك من المنافع والمكاسب فانه لا فرق بينهما الا ان هذا حصل وذاك لم
يحصل بعد وهذا او وعر موقن لان الذي تظن انه حاصل لكم حاصل على الحقيقة واما
الحاصل على الحقيقة ما اكلته او لبسته واما المقتنيات والمدخرات فلعلها ليست لك كما قال
الشاعر ۝ وذي ابل يسعى ويحسبها له ۝ اخي تعب في رعيها ودؤوب ۝
غدت وغدا رب سواه يسوقها ۝ وبدل احجارا وجال قليبه ۝

ومنها قوله استدل على ما لم يكن بما كان فان الامور اشباه يقال اذا استطرت
الدنيا لعبدك فانظرها بعد غيرك وقال ابو الطيب في سيف الدولة ۝
ذكي تظنيه طليعة عينه ۝ يرى قلبه في يومه ما يرى غدا ۝

ومنها قوله ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الى قوله الا بالضرب نحو هذا قول
الشاعر ۝ العبد يقرع بالعصا ۝ والحر تكفيه الملامة ۝
وكان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة عتبها ضربها ومنها قوله اطرح عنك واردات
الهموم بعزائم الصبر وكرم العزائم هذا كلام شريف فصيح عظيم النفع والفائدة وقد
اخذ عبد الله بن الزبير بعض هذه الالفاظ فقال في خطبته لما ورد عليه الخبر بقتل
مصعب اخيه لقد جاءنا خبر قتل مصعب فاما سرورنا فلان ذلك كان له شهادة وكان لنا ان
شاء الله خيرة واما الحزن فلوعة يجدها الحميم عند فراق الحميم ثم يرعوي بعدها ذوو
الراي الى حسن الصبر وكرم العزا ومنها قوله من ترك القصد جار القصد الطريق المعتدل
يعني ان تجاوز الامور اوساطها فان الفضائل تحيط بها الرذائل فمن تعدى هذه يسيرا وقع في هذه
ومنها قوله الصاحب مناسب والاخ نسيب البدن وقال ابو الطيب ۝
ما الخل الا من اود بقلبه ۝ وارى بطرف لا يرى بسوائه ۝
ومنها قوله الصديق من صدق غيبه من هاهنا اخذ ابو نواس قوله في البرمكي ۝
هل لك والهل خبر ۝ فيمن اذا غبت حضر ۝
او مالك اليوم اسار ۝ وان راى خيرا شكر ۝ او كان تقصير عذر ۝
ومنها قوله الهوى شريك العمى هذا مثل قولهم حبك الشيء يعمي ويصم ۝
وقال الشاعر ۝
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ۝ ولكن عين السخط تبدي المساويا ۝
ومنها قوله رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد هذا معنى مطروق قال
الشاعر ۝ لعمرك ما بعد البعد يوما ۝ اذا دنت القلوب من القلوب ۝
وقال الاحوص ۝ اني لامنحك الصدود وانني ۝ قسما اليك مع الصدود لاميل ۝
وقال البحتري ۝ وبارحة والدار منها قريبة ۝ وما قربها في الدار الا مغيب ۝

ومنها قوله والغريب من لم يكن له حبيب يريد بالحبيب ههنا المحب لا المحبوب
قال الشاعر
يسر المرء والداه وفيهما من حضرتهما الحياة تطيب
فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس لحق غريب
ومنها قوله من تعدى الحق ضاق مذهبه يريد بمذهبه طريقه وهذه استعارة والمعنى
ان طريق الحق لا مشقة فيها وطريق الباطل فيها المشاق والمضار وكان سالكها طريق وصفه
متعثر فيها ويتخبط في سلوكها ومنها قوله من اقتصر على قدره كان ابقى له هذا المثل
مثل قوله رحم الله امرا عرف قدره وقالوا من جهل قدره قتل نفسه وقال ابو الطيب
ومن جهل قدره نفسه يرى غيره منه ما لا يرى
ومنها قوله اوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه هذا من قول الله تعالى
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومنها
قوله من لم يبالك فهو عدوك اي من لم يكترث بك وهذه الوصاة خاصة بالحسن عليه السلام
ويا مثاله من الولاة ارباب الرعايا وليست عامة للسوقة وافناء الناس وذلك لان الوالي
اذا انس من بعض رعيته انه لا يباليه ولا يكترث به فقد ابدى صفحته ومن ابدى صفحته
فهو عدوك فاما غير الوالي من افناء الناس فلا تحرجهم اذا لم يبال الاخر بعدوله
ومنها قوله قد يكون الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا هذا مثل قول
القائل
من عاش لاقى ما يسوءه من الامور وما يسر
ولرب حتف فوقه ذهب وياقوت ودر
والمعنى انه ربما كان بلوغ الامل في الدنيا والفوز بالمطلوب منها سببا للهلاك فيها واذا كان
كذلك كان الحرمان خيرا من الظفر ومنها قوله ليس كل عورة تظهر ولا كل
فرصة تصاب تفوت وقد تكون عورة العدو مستترة عنك فلا تظهر لك ولا تعلمك
اصابتها وقال بعض الحكماء الفرصة نوعان فرصة في عدوك وفرصة في غير
عدوك فالفرصة في عدوك ما اذا ابليتها نفعتك واذا فاتتك ضرتك وفي غير عدوك
ما اذا اخطاك نفعه لم يصل اليك ضرره ومنها قوله ربما اخطا البصير قصده
واصاب الاعمى رشده من هذا النحو قولهم في المثل مع الخواطي سهم صائب وقولهم رمية
من غير رام وقالوا في المثل اللقطة الاولى الجواد يكبوا والحسام ينبوا وقالوا قد
يهفو الحليم ويجهل العليم ومنها قوله اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته مثل
هذا قولهم في الامثال الطفيلية كل اذا وجدت وابك على الجوع فاذن ومن الامثال
الحكمية ابدا الحسنة قبل السيئة ولست تستطيع الحسنة كل وقت وانت على الاساءة
متى شئت قادر ومنها قوله قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل هذا احولات
كما يقوله المتكلمون عدم المضر كوجود المنفعة وتكاد ان تعني على هذا قولهم كما
ان فضل المفضل فتح من البارى فالاخلال لا للطف منه ايضا يحتاب تكون منها ومنها
قوله من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه مثل الكلمة الاولى قول الشاعر
ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الاصابع
وقالوا احذر الدنيا ما استقامت لك ومن الامثال الحكمية من امن الزمان ضيع الحزم

ومثل

ومن الكلم السائرة قوله الدنيا كالامة اللئيمة المعشوقة وكلما ازددت لها عشقا
وعليها اقبالا ازدادت لك اذلالا وعليك استطالة وقال ابو الطيب
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصالا
شيم الغانيات فيها فلا ادري لذا انث اسمها الناس ام لا
ومنها قوله ليس كل من رمى اصاب وهذا معنى مشهور قال ابو الطيب
ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا
ومنها قوله اذا تغير السلطان تغير الزمان في كتب الفرس ان انوشروان جمع امراء
السواد وبيده درة يقلبها فقال اي شيء اضر بارتفاع السواد وادعا الى محقه اكم قال ما في نفسي
جعلت هذه الدرة في يده فقال بعضهم انقطاع الشرب وقال بعضهم
احتباس المطر وقال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال فقال لوزيره قل انت فاني اظن عقلك يعادل
عقل الرعية كلها او يزيد عليها قال تغير راي السلطان الملك في رعيته واطمار الحيف لهم والجور
عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهلك اباي واجدادي لما اهلوك له ودفع اليه الدرة فجعلها
في يده ومنها قوله سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار وقد روي هذا
الكلام مرفوعا وفي المثل جار السوء كلب هارش وفي المثل الرفيق اما رحيق واما
حريق الاصل اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك
عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف
عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن
باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل
ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة ولا
تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير
موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل
لكل انسان من خدمك عملا تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم
عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول
استودع الله دينك ودنياك واساله خير القضاء لك في العاجلة والاجلة والدنيا
والاخرة ان شاء الله الشرح يقول اياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا
لابد لك من ان تجعل ارباب الهزل والبطالة وقل ان يخلو ذلك من غيبة او سخرية ثم
قال وان حكيت ذلك عن غيرك فانه كما يستهجن الابتداء بذلك يستهجن حكايته عن الغير
وكذلك كل كلام قطيع الابري انه لا يجوز الابتداء بكلمة الكفر ويكره ايضا حكايتها قال عمر
رحمه الله لما نهاه رسول الله صلى الله عليه ان يحلف بابيه ما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا اي ولا حاكيا
وكان يقال من مازح استخف به ومن كثر ضحكه قلت هيبته واما مشاورة النساء فانه
من فعل عجزة الرجال قال الفضل بن الربيع ايام الحرب بين الامين والمامون في
كلام يذكر فيه الامين ويصفه بالعجز ينام نوم الظربان وينتبه انتباه الديك همته
بطنه ولذته فرجه لا يفكر في زوال نعمه ولا يروي في امضاء راي ولا مكيدة وقد شمر
له عبد الله عن ساقه وفوق اليه اسد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت
القاصد قد عبا له المنايا على متون الخيل وناط له البلايا باسنة الرماح وشفار السيوف

الاصل

الشرح

وكانه هو قال هذا الشعر ووصف به نفسه واخاه

شارع اراك يرحا فانطلق الى ان يرى الاصباح لا يتلعثم
فصبح من طول الطراد جميمه ... يجول واضحى في النعيم اصيمها
وهمي كاس من عقار وقينة ... وهمته درع ورمح ولجام
وشتان ما بيني وبين ابن خالد ... امية في الرزق الذي الله يقسم

مه

ونحن معه نجري الى غاية ان قصرنا عنها ذممنا وان اجتهدنا في بلوغها انقطعنا وانما نحن شيء من ان قوتنا
وان هذا الرجل قد القى بينك الفالامة الوكعا بيننا وبالتنا ونعدم على الرؤيا وقد امكن اهل الدر
الحسان واللهو من سمعه فهم يمنونه الظفر ويعدونه عصا الامام والاهداك اسرع من السيل
الى قيعان الرمل قوله عليه السلام فان رهقنا الى افن الى من ما لسكون النقص والمافي المستنقص
تعال فلان يتنافي الى ملاقاه اي ستنقصه ويعيبه ومن رواه ان الرجل يا فرافنا اي ضعف رايه
وفي المثل انت وحدانا الروض تعطي امر الاقيس والوهن الضعف قوله والكف عليهن من ابصارهن
من حجابك اياهن وهو قد هدا الى الحسن الاحنف في زياد بن ابي واحد ويجوز ان يحمل على مذهب
سوءه معنى بعد ان كف عليهن بعض ابصارهن وقد ذكر فائدة الحجاب ولعهاه ان يدخل عليهن
من لا يوثق به فقال الحجر وجهها اهون من ذلك وذلك لو بدا لك صفقة سمك من الخلق ملى الاسمكي منه
مريبا في الطرقات فقال ان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل وكان لبعضهم بنت
حسناء يحبها فكان يقص عليها ويكشف للناس وجهها فقيل له في ذلك فقال انما احذر من
روسها الباس لا من روية الناس لها قال ولا تملك المراة من نفسها ما جاوز نفسها اي لا
تدخلها معك في تدبير ولا مشورة ولا تعدى حال نفسها وما يصلح شانها فان المراة
ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها هذا مثل قوله ولا تملكها من امرها
ما جاوز نفسها نهاه ان تطمعها في الشفاعة وروى الربيع بن خالد قال كانت الخيزران كثيرا ما
تكلم موسى فيما لم استحلف في الحوائج وكان يجيبها الى كل ما تسال حتى مضت اربعة اشهر من خلافته
وانثال الناس عليها وطمعوا فيها وكانت المواكب تغدو الى بابها وكلمته في امر فلم يجد الى
اجابتها سبيلا فاحتجت عليه بحجة فقالت لابد من اجابتي قال لا افعل قالت اني قد ضمنت هذه
الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب موسى وقال ويل على ابن الفاعلة قد علمت انه صاحبها والله لا قضيتها
لك ولا له قالت اذا والله لا اسالك حاجة ابدا قال اذن والله لا ابالي فقامت مغضبة فقال
مكانك تستوعبي كلامي والله والا فانا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله لئن بلغني انه
وقف احد من قوادي او خاصتي او خدمي وكتابي على بابك لاضربن عنقه ولاقبضن ماله من شاء
فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك كل يوم اما لك مغزل يشغلك او مصحف
يذكرك او بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحي فاك في حاجة لملي او ذمي فانصرفت وما تعقل
ما تطأ عليه ولم تنطق عنده بحلو ولا مر بعدها حتى هلك واخذت هذا اللفظ وهي
قوله ان المراة ريحانة وليست بقهرمانة الحجاج فقالها للوليد بن عبد الملك وروى
ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار قال دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك وعليه درع
وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة وذلك في اول قدمة قدمها عليه من العراق فبعثت ام البنين
بنت عبد العزيز بن مروان وهي تحت الوليد من هذا الاعرابي المستلئم بالسلاح عندك
وانت في غلالة فارسل اليها هذا الحجاج فاعادت اليه الرسول والله لئن يخلو بك ملك الموت في

اليوم

اليوم احيانا احب الي من ان يخلو بك الحجاج فاخبرت الوليد بذلك وهو غاد خرجه فقال
يا امير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المراة ريحانة وليست بقهرمانة
فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك فلما دخل الوليد عليها اخبرها وهو يمازحها
بمقالة الحجاج فقالت يا امير المؤمنين حاجتي ان تامره غدا ان ياتيني مسلما ففعل ذلك فاتاها
الحجاج فحجبته فلم يزل قائما ثم اذنت له فقالت يا حجاج انت الممتن على امير المؤمنين
بقتلك ابن الزبير وابن الاشعث والله لولا ان الله علم انك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة
الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين اول مولود ولد في دار الاسلام واما نهيك امير
المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ اربه واوطاره فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه
بالاخذ منك وان كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك اما والله لقد نفض نساء
امير المؤمنين الطيب عن غدائرهن فبعنه في اعطية اهل الشام حين كنت في اضيق من
القرن قد اظلتك رماحهم واثخنك كفاحهم وحين كان امير المؤمنين احب اليهم من ابنائهم واباءهم
فانجاك الله من عدو امير المؤمنين بحبهم اياه فقاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان
غزالة بين كتفيك

اسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم امرت جاريتها فاخرجته فاما قوله عليه السلام واياك والتغاير في غير موضع غيرة
فقد قيل هذا المعنى قال بعض المحدثين

يا ايها الغائر مه لا تغر ... الا لما تدركه بالبصر
ما انت في ذلك الا كمن ... ينبه الريث لرمي الحجر

وكان مسكين الدارمي لحد من يستحي الغيرة المفرطة ويستقبح وقوعها في
غير محلها فمن شعره في هذا المعنى

ما احسن الغيرة في حينها ... واقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهما عرسه ... مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك ان يغريها بالذي ... يخاف ان ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها ... منك الى خيم كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة ... فيتبع المقرون حبل القرين

وقال ايضا

الا ايها الغائر المستشيط ... علام تغار اذا لم تغر
فما خير عرس اذا خفتها ... وما خير بيت اذا لم يزر
تغار من الناس ان ينظروا ... وهل يفتن الصالحات النظر
فاني ساخلي لها بينها ... فتحفظ لي نفسها او تذر
اذا الله لم يعطه ودها ... فلن يعطي الود سوط ممر
ومن ذا يراعي له عرسه ... اذا ضمه والركاب السفر

وقال ايضا

ولست امرءا لا ابرح الدهر غائرا ... الى حسن عرسي لا ازال فيها مشيرا
ولا مقسما لا ابرح الدهر بيتها ... لاجعله قبل الممات لها قبرا

ولا حاملا ظلمي ولا أنا قائل ۞ على عثرة حتى أحيط بها خبرا
وهي امرأة أعشت مادة ما شاهدت ۞ فليت إذا ما سرت من عينها سهرا
إذا هي لم تحصل أمام قنائها ۞ فليس بمجديها تأنّي لها فصلا

فأما قوله واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فقد قالت الحكماء قال أبرويز في وصيته لولده شيرويه وانظر إلى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فوله الخراج ومن كان منهم ذا عبيد فوله الجند ومن كان منهم ذا سراري قد أحسن القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا فاصنع في خدم دارك ولا تجعل أمرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك وأما قوله وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك فقد تقدم منا كلام في وجوب الاعتضاد بالعشائر روى أبو عبيدة قال كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء إلا قاعدا فدخل على سليمان بن عبد الملك يوما فأنشده شعرا يفخر فيه بآبائه وقال من جملته

تالله ما حملت من ناقة رجلا ۞ مثلي إذا الريح لفتني على الكور

فقال سليمان هذا المدح لي أم لك قال لي ولك يا أمير المؤمنين فغضب سليمان فقال قم فأتمم ولا تنشد بعدها إلا قائما فقال الفرزدق لا والله أو يسقط إلى الأرض أكثري شعرا فقال سليمان ويلي على الأحوص لقاعد لا يكفي وارتفع صوته فسمع الصوت بالباب قال ما هذا قيل بنو تميم

وروى أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمران المرزباني قال كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب عليا عليه السلام وشهد معه صفين وكان من رجاله المشهورين ثم وفد على معاوية في الاستقامة وكان معاوية لا يثبته معرفة فدخل عليه في جملة الناس فلما انتهى إليه استنسبه فانتسب له فقال له أنت صاحب ليلة الهرير وقد أصواتك أصوات الناس وأنت تقول

[illegible]

شدّوا فداً لكم أمي وأب ۞ فإنما الأمر غداً لمن غلب
هذا ابن عم المصطفى المنتجب ۞ ينميه إلى العلياء سادات العرب
ليس بموصوم إذا انتص النسب ۞ أول من صام وصلى واقترب

قال نعم أنا قائلها قال فلم قلتها قال لأنا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلا وهي مجموعة له كان أول الناس سلما وأكثرهم علما وأرجحهم حلما فات الجياد فلا يشق غباره واستولى على الأمد فلا يخاف عثاره وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره وسلك القصد فلا يدرس آثاره فلما ابتلانا الله بافتقاده وحول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا في جملة المسلمين فلم ننزع يدا من طاعة ولم نصدع صفاة جماعة إلا أن لك منا ما ظهر وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك فاقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ولا تثر كوامن الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد قال معاوية إنك لتهددني يا أخا طيء بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق فقال يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وآمن بمنزلها وكفرت وعرفت من تأويلها ما أنكرت فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن فقال أيها الشقي الخائن إني لأخال هذا آخر كلام تفوه به وكان عفير بن سيف ذي يزن بباب معاوية حينئذ فعرف موقف الطائي ومراد معاوية فخافه عليه

فهجم

فهجم عليهم الدار وأقبل على اليمانية فقال شاهت الوجوه ذلا وقلا وجدعا أكشم الله هذه الأنوف كيف تسمعون ما عمر الشيخ ثم التفت إلى معاوية فقال إني والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حبا لأهل العراق ولا جنوحا إلى علي ولكن الحمية تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعني صعصعة بن صوحان وهو أعظم جرما عندك من هذا وأنكأ لقلبك وأقدح في صفاتك وأجد في عداوتك وأشد انتصارا في حربك ثم أثبته وسرحته وأنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغارا لجماعتنا فإنا لا نمر ولا نحلي ولعمري لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الداثر وحدك المفلول وعرشك المثلول فاربع على ظلعك واطونا على بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتطامن لك شاردنا فإنا لا نرام بوقع الضيم ولا نتلمظ جرع الخسف ولا نغمز بغماز التين ولا نذر العصا على الغضب فقال معاوية الغضب شيطان فاربع على نفسك أيها الإنسان فإنا لم نأت إلى صاحبك مكروها ولم نرتكب منه مغضبا ولم ننتهك منه محرما فدونكه فإنه لم يضق عنه من حلمنا ما وسع غيره فأخذ عفير بيد الوليد وخرج به إلى منزله فقال والله لتؤوبن بأكثر مما آب به معدي من معاوية وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفا فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى العراق

الأصل ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على أعقابهم وتولوا على أدبارهم وعولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى الله من موازرتك إذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك والسلام

الشرح أرديتهم أهلكتهم وجيلا من الناس أي صنفا من الناس والغي الضلال وجاروا عدلوا عن القصد ووجهتهم بكسر الواو يقال هذا وجه الرأي أي هو الرأي بنفسه والاسم الوجهة بالكسر ويجوز بالضم وقوله عولوا على أحسابهم أي لم يعتمدوا على الدين وإنما أردتهم الحمية ونخوة الجاهلية فأخلدوا إليها وتركوا الدين والإشارة إلى بني أمية وحلفائهم الذين اتبعوا معاوية بعد عثمان فحاموا عن الحسب ولم يأخذوا بموجب الشرع في الواقعة ثم استثنى قوما فاءوا أي رجعوا عن نصرة معاوية وقد ذكرنا في أخبار صفين من فارق معاوية ورجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو فارقه واعتزل الطائفتين وقوله حملتهم على الصعب أي على الأمر الشاق وأصل ذلك في البعير المستصعب يركبه الإنسان فيغرر بنفسه وأول هذا الكتاب من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن الدنيا دار تجارة ربحها أو خسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته الأعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة وأن ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فإن الله بالمرصاد وإن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فأقلع عما أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر وقد أرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم

بعثك الى آخر الكتاب قال ابو الحسن علي بن محمد المدائني فكتب اليه معوية من معوية بن ابي سفين الى علي بن ابي
طالب اما بعد فقد وقفت على كتابك وقد ابيت على الفتن الا تماديا واني لعالم ان الذي يدعوك الى
ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه وان كنت موائلا فازدد غيا الى غيك فطالما خف عقلك ومنيت نفسك
ما ليس لك والتويت على من هو خير منك ثم كانت العاقبة لغيرك واحتملت الوزر بما احاط بك من خطيئتك والسلام
فكتب علي عليه السلام اليه اما بعد فان ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه
مما اتى به اهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمني الاباطيل على حسد محمد صلى الله عليه وآله
حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريما ولم يدفعوا عظيما وانا صاحبهم في تلك المواطن الصالي
بحربهم والفال لحدهم والقاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة والمتبع ان شاء الله خلفهم سلفهم فبئس الخلف
خلف اتبع سلفا محله ومحطه النار والسلام قال فكتب اليه معوية اما بعد فقد طال في
الغي ما استمر ادراجك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك وابطاؤك فتوعد وعيد الاسد
وتروغ روغان الثعلب فحتام تحيد عن لقاء ومباشرة الليوث الضارية والافاعي
القاتلة ولا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب ان شاء الله والسلام قال فكتب اليه
علي عليه السلام اما بعد فما اعجب ما يأتيني منك وما اعلمني بما انت اليه صائر وليس
ابطائي عنك الا ترقبا لما انت له مكذب وانا به مصدق وكاني بك غدا وانت تضج من
الحرب ضجيج الجمال من الاثقال وستدعوني انت واصحابك الى كتاب تعظمونه بالسنتكم وتجحدونه
بقلوبكم والسلام قال فكتب اليه معوية اما بعد فدعني من اساطيرك واكفف عني
من احاديثك واقصر عن تقولك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترائك من الكذب ما لم يقل
وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك امرك ان ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا
ان ما جئت به باطل مضمحل والسلام قال فكتب اليه علي عليه السلام اما بعد فطالما
دعوت انت واولياؤك اولياء الشيطان الرجيم الحق اساطير الاولين ونبذتموه وراء ظهوركم
وجهدتم باطفاء نور الله بايديكم وافواهكم والله متم نوره ولو كره الكافرون ولعمري ليتمن
النور على كرهك ولينفذن العلم بصغار جدك ولتجازين بعملك فعث في دنياك المنقطعة
عنك ما طاب لك فكانك باجلك وقد انقضى وعملك قد هوى ثم تصير الى لظى لم يظلمك الله
شيئا وما ربك بظلام للعبيد قال فكتب اليه معوية اما بعد فما اعظم الرين على قلبك
والغطاء على بصرك الشره من شيمتك والحسد من خليقتك فشمر للحرب واصبر للضرب فوالله ليرجعن
الامر الى ما علمت والعاقبة للمتقين هيهات هيهات اخطأك ما تمنى وهوى قلبك مع من هوى فاربع على
ظلعك وقس شبرك بفترك لتعلم اين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين اهل الشك علمه والسلام
قال فكتب اليه علي عليه السلام اما بعد فان مساويك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين ان
يصلح لك امرك وان يرعوي قلبك يا ابن الصخر اللعين زعمت ان يزن الجبال حلمك ويفصل بين اهل
الشك علمك وانت الجلف المنافق الاغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فان كنت صادقا فيما تسطر
ويعينك عليه اخو بني سهم فدع الناس جانبا وتيسر لما دعوتني اليه من الحرب والصبر على الضرب واعف
الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه المغطى على بصره فانا ابو الحسن قاتل جدك واخيك وخالك
وما انت منهم ببعيد والسلام قلت واعجب واطرف ما جاء به الدهر وان كانت عجائبه
وبدائعه جمة ان يفضي امر علي عليه السلام الى ان يصير معوية ندا له ونظيرا مماثلا يتعارضان
الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به احدهما صاحبه ولا يقول علي عليه السلام كلمة الا
قال فيه مثلها واخشن مسا منها فليت محمدا صلى الله عليه وسلم كان يشاهد ذلك ليرى عيانا

لا عيانا

لا عيانا ان الدعوة التي قام بها وقاسى اعظم المشاق في تحملها وكابد الاهوال في الذب
عنها وضرب بالسيوف عليها لتمهيد دولتها وشيد اركانها وملأ الآفاق بها خلصت
صفوا عفوا لاعدائه الذين كذبوه لما دعا اليها واخرجوه عن اوطانه لما حض عليها
وادموا وجهه وقتلوا عمه واهله وكانه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم كما قال
ابو سفين في ايام عثمان وقد مر بقبر حمزة فضربه برجله وقال يا ابا عمارة ان الامر
الذي اجتلدنا عليه بالسيف امس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الامر الى ان يفاخر
معوية عليا كما يتفاخر الاكفاء والنظراء

اذا عير الطائي بالبخل مادر ... وقرع قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس انت خفية ... وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وفاخرت الارض السماء سفاهة ... وكاثرت الشهب الحصا والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي ان دهرك هازل

ثم اقول ثانيا لامير المؤمنين عليه السلام ليت شعري لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه
وبين معوية واذا كانت الضرورة قد قادت الى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب اليه على الموعظة
من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة واذا كان لا بد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لامر آخر يوجب
المقابلة والمعارضة بمثله وباشد منه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير
علم وهلا رفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الاحمق هذا
مع انه القائل من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون اي افتروا عليه وقالوا فيه
الباطل

ايها الشاتمي لتحسب مثلي ... انما انت في الضلال تهيم
لا تسبني فلست بسبي ... ان سبي من الرجال الكريم

وهكذا جرى في القنوت واللعن قنت بالكوفة على معوية ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة واضاف
اليه عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري وابا الاعور السلمي وحبيب بن مسلمة فبلغ ذلك معوية بالشام
فقنت عليه ولعنه في الصلاة وصلاة الجمعة واضاف اليه الحسن والحسين وابن عباس والاشتر
النخعي ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن ولله امر هو بالغه

الاصل

اما بعد فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي
القلوب الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في
معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها باجل الابرار المتقين
ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في يديك قيام الحازم
الصليب والناصح اللبيب والتابع لسلطانه المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه
ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا والسلام

الشرح

كان معوية قد بعث الى مكة دعاة في السر يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن نصرة امير
المؤمنين عليه السلام ويوقعون في انفسهم انه اما قاتل لعثمان او خاذل وان الخلافة لا
تصلح فيمن قتل او خذل وينشرون عندهم محاسن معوية بزعمهم واخلاقه وسيرته فكتب امير
المؤمنين عليه السلام الى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما تقتضيه ولم يصرح في هذا الكتاب
بماذا يأمره ان يفعل اذا ظفر بهم قوله عيني بالمغرب اي اصحاب اخباري عند معوية يسمى

الشام مغرّباً لانه من الافاعيل المعرّبة والموسم الايام التي تقام فيها الحج وقوله ويحملون الينا
ورقها بالدين دلالة على ما قلنا انهم كانوا دعاة يظهرون سمة الدين وناموس العبادة وهذا ابطال قول
من ظن ان المراد بذلك السرايا التي كان معوية يبعثها فيغير على اعمال امير المؤمنين عليه السلام ودربها
مصنوعاً لئلا يصير الدنيا وروى الذين يلتمسون الحق بالباطل اي يطلبونه اي يبعثون معوية ويقوى
على الباطل التماساً وطلباً للحق ولا يعلمون انهم قد ضلوا وقوله اياك وما يعتذر منه من الكلمة
الشريفة الجليلة الموضع وقد رويت مرفوعة وكان يقال ما شيء اشد على الانسان من حمل المروءة
والمروءة ان لا يعمل الانسان في خفية صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره وقوله واكثر عند الحمام
نظراً ولا تعد الناس قولا يعني مستقبل **قال الشاعر**

ولست بمفراح اذا الدهر سرّني ... ولا جازع من صرفه المتقلّب
ولا ابتغي الشر والشر تاركي ... ولكن متى احمل على الشر اركب

واما قثم بن العباس فامه ام اخوته وروى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن عبد الله بن جعفر قال
كنت انا وعبيد الله وقثم ابنا العباس نلعب فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم راكباً فقال ارفعوا الي
هذا الفتى قثم فرفع اليه فاردفه ثم جعلني بين يديه ودعا لنا فاستشهد قثم بسمرقند قال ابن عبد البر
وروى عبد الله بن عباس قال كان قثم اخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه واله اي اخر من خرج
من قبره ممن نزل فيه قال وكان المغيرة بن شعبة يدعي ذلك لنفسه فانكر علي بن ابي طالب عليه ذلك وقال
بل اخر من خرج من القبر قثم بن العباس قال ابن عبد البر وكان قثم والياً لعلي عليه السلام على مكة عزل علي
عليه السلام عنها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان واليها لعثمن وولاها ابا قتادة
الانصاري ثم عزله عنها وولى مكة قثم بن العباس فلم يزل والياً عليها حتى قتل علي عليه السلام
قال هذا قول خليفة وقال الزبير بن بكار استعمل علي عليه السلام قثم بن العباس على المدينة قال ابن عبد
البر واستشهد قثم بسمرقند كان خرج اليها مع سعيد بن عثمان بن عفان من معوية فقتل هناك قال وكان
قثم يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه يقول داود بن سلم

عتقت من حل ومن رحلة ... يا ناق ان ادنيتني من قثم
انك ان ادنيت منه غداً ... حالفني اليسر ومات العدم
في كفه بحر وفي وجهه ... بدر وفي العرنين منه شمم
اصم عن قيل الخنا سمعه ... وما عن الخير به من صمم
لم يدر ما لا وبلى قد درى ... فعافها واعتاض منها نعم

الاصل

ومن كتاب له عليه السلام الى محمد بن
ابي بكر لما بلغه توجده من عزله بالاشتر عن مصر ثم توفي الاشتر في توجهه الى هناك قبل وصوله
وقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في
الجهد ولا ازدياداً لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك
مؤنة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحاً وعلى
عدونا شديداً ناقماً فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون اولاه الله
رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك
وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما ينزل بك ان شاء الله

الشرح

له محمد رحمه الله اسماء بنت عميس الخثعمية وهي اخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم واخت
لبابة ام الفضل زوج العباس بن عبد المطلب وكانت من المهاجرات الى ارض الحبشة وهي اذ ذاك
تحت جعفر بن ابي طالب عليه السلام فولدت له هناك محمد بن جعفر [illegible] وعبد الله وعوناً ثم
هاجرت معه الى المدينة فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها ابو بكر فولدت له محمد بن ابي بكر هذا ثم مات
عنها فتزوجها علي بن ابي طالب فولدت له يحيى بن علي لا خلاف في ذلك وقال ابن عبد البر في الاستيعاب
ذكر ابن الكلبي ان عون بن علي امه اسماء بنت عميس ولم يقل ذلك احد غيره وقد روي ان اسماء
كانت تحت حمزة بن عبد المطلب فولدت له بنتاً تسمى امة الله وقيل امامة ومحمد بن ابي بكر ممن ولد في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب ولد عام حجة الوداع في عقب ذي القعدة بذي
الحليفة حين توجه رسول الله صلى الله عليه واله الى الحج فسمته عائشة محمداً وكنته ابا القسم بعد ذلك لما ولد
له ولد سماه القسم ولم تكن الصحابة ترى بذلك بأساً ثم كان في حجر علي عليه السلام وقتل بمصر وكان
علي عليه السلام يثني عليه ويقرظه ويفضله وكان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد وكان ممن حضر عثمان
ودخل عليه فقال له لو رآك ابوك لم يسره هذا المقام منك فخرج وتركه ثم دخل عليه بعده من قتله
وقيل انه اشار الى من كان معه فقتلوه وقوله عليه السلام لقد بلغني موجدتك اي غضبك وجدت
على فلان موجدة ووجداناً لغة قليلة وانشد الفراء

كلانا رد صاحبه بغيظ ... على حنق ووجدان شديد

فاما في الحزن فلا يقال الا وجدت وجداً بالفتح لا غير والجهد الطاقة فاني لم استبطئك في بذل طاقتك
ووسعك ومن رواه الجهد بالفتح فهو من قولهم اجهد جهدك في كذا اي ابلغ الغاية ولا يقال الجهد
للحرف ها هنا الا مفتوحاً ثم طيب عليه السلام نفسه بان قال له لو تم الامر الذي شرعت فيه من ولاية
الاشتر مصر لعوضتك بما هو اخف عليك مؤنة وثقلا واقل نصباً من ولاية مصر لانه كان في
مصر بازاء معوية في الشام وهو مدفوع الى حربه ثم اكد عليه السلام ترغيبه بقوله واعجب اليك
ولاية ان قلت فما الذي كان بيده مما هو اخف على محمد مؤنة واعجب اليه من ولاية مصر قلت
الاسلام كله كان بيد علي عليه السلام الا الشام فجوّز ان يكون قد عزم ان يوليه اليمن او خراسان
او ارمينية او فارس ثم اخذ في الثناء على الاشتر وكان عليه السلام شديد الاعتضاد به كما
كان هو شديد التحقق بولائه وطاعته وناقماً فاعل من نقمت على فلان كذا اذا انكرته عليه فكرهته
ثم دعا له بالرضوان ولست اشك في ان الاشتر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر عنه ذنوبه ويدخله
الجنة ولا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول الله صلى الله عليه واله ويا طوبى لمن حصل له من علي عليه
السلام بعض هذا وقوله فاصحر لعدوك اي ابرز له ولا تستتر عنه بالمدينة التي انت فيها
اصحر الاسد من خيسه اذا خرج الى الصحراء وشمر فلان للحرب اذا اخذ لها اهبتها

الاصل

ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس
رحمه الله بعد قتل محمد بن ابي بكر بمصر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابي
بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً
وركناً دافعاً وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم
سراً وجهراً وعوداً وبدءاً فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتل كاذباً ومنهم القاعد خاذلاً
اسأل الله تعالى ان يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة
وتوطيني نفسي على المنية لاحببت ان لا ابقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا التقي بهم

ابدا

الشرح انظر الى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف حتى انتهى الى اخر الفصل فقال يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا وانت وغيرك من الفصحاء اذا شرعوا في كتاب او خطبة جاءت القراين والفواصل تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة فاذا ارادوا قسرها على اعراب واحد ظهر منها في التكلف اثر بين وعلامة واضحة وهذا الصنف من البيان احد انواع البديع قال انظروا الى سورة النساء بعد سورة المائدة الاولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلا ولو مزجت احدى السورتين بالاخرى لم تمتزجا وظهر اثر التركيب والتاليف بينهما ثم ان فواصل كل واحد منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية ثم انظر الى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا لو قال ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك ما بعده لما كان صوابا ولا في الموقع واقعا فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ان يكون غلام من ابناء عرب مكة ينشا بين اهله لم يخالط الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الالهية من افلاطون وارسطو ولم يعاشر ارباب الحكم الخلقية والاداب النفسانية لان قريشا لم يكن احد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج اعلم بهذا الباب من سقراط ولم يرب بين الشجعان لان اهل مكة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج اشجع من كل بشر مشى على الارض قيل لخلف الاحمر ايما اشجع عنبسة وبسطام ام علي بن ابي طالب فقال انما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة فقيل له فعلى كل حال فقال والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل ان يحمل عليهما وخرج افصح من سحبان وقس ولم تكن قريش بافصح العرب كان غيرها افصح منها قالوا افصح العرب جرهم وان لم تكن لهم نباهة وخرج ازهد الناس في الدنيا واعفهم عنها مع ان قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وسلم مربيه ومخرجه والعناية الالهية تمده وترفده ان يكون منه ما كان يقال احسب ولده اذا مات كبيرا وافرط ولده اذا مات صغيرا ثم قسم جنده اقساما فمنهم من خرج كارها للخروج كما قال الله تعالى كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ومنهم من قعد واعتل بعلة كاذبة كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ومنهم من تاخر وصرح بالقعود والخذلان كما قال تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى ان حاله كانت مناسبة لحال النبي صلى الله عليه واله ومن قد تقدم من اخويه وسيرتيهما وما جرى لهما الى ان قبضا على الخصوص لكن ثم اقسم انه لولا طمعه بالشهادة لما اقام مع اهل العراق ولا صحبهم فان قلت فهلا خرج الى معوية وحده من غير جيش ان كان يريد الشهادة قلت ذلك لا يجوز لانه القاء النفس الى التهلكة وللشهادة شروط متى فقدت فقدت ولا يجوز ان يحمل احدى الحالتين على الاخرى

الاصل ومن كتاب له عليه السلام في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء وهو جواب كتاب كتبه اليه اخوه عقيل بن ابي طالب

فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا

فما

فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق معه غير الرمق فلايا بلاي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في ضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سالت عنه من رايي في القتال فان رايي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة فلا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام للقائد ولا وطي الظهر للراكب المتقعد ولكنه كما قال اخو بني سليم

فان تساليني كيف انت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كابة ... فيشمت عاد او يساء حبيب

الشرح قد تقدم ذكر هذا الباب ويقال طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت للغروب وطفل الليل مشددا ايضا اذا اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب ويقال اتيته طفلا اي في ذلك الوقت وقوله عليه السلام للاياب اي للرجوع اي الى ما كانت عليه في الليلة التي قبلها يعنون غيبوبتها تحت الارض وهذا الخطاب انما هو على قدر افهام العرب كما يعتقدون ان الشمس مشرقها ومغربها تحت الارض وانها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود الى مغربها فتاوي اليه كما ياوي الناس ليلا الى منازلهم وقال الراوندي عند الاياب عند الرواح وهذا غير صحيح لان ذلك الوقت لا يسمى طفلا ليقال ان الشمس قد طفلت فيه قوله عليه السلام فاقتتلوا شيئا كلا ولا اي شيئا قليلا وموضع كلا ولا نصب لانه صفة شيئا وهي كلمة يقال لما يستقصر وقته جدا والمعروف عند اهل اللغة كلا وذا قال ابن هانئ المغربي

واسرع في العين من لحظة ... واقصر في السمع من لا وذا

وفي شعر الكميت كلا وكذا تغميضة وقد رويت في نهج البلاغة كذلك الا ان اكثر النسخ كلا ولا ومن الناس من يرويها كلا ولات وهي حرف اجري مجرى ليس ولا يجيء الا مع حين الا ان تحذف في شعر ومن الرواة من يرويها كلا ولاي فعل معناه ابطا قوله عليه السلام نجا جريضا اي قد غص بالريق من شدة الجهد والكرب يقال جرض بريقه يجرض بالكسر مثل كسر يكسر ورجل جريض مثل قدر يقدر فهو قدير ويجوز ان يريد بقوله فنجا جريضا اي ذا جريض والجريض الغصة نفسها وفي المثل حال الجريض دون القريض قال الشاعر

كان الفتى لم يغن في الناس ليلة ... اذا اختلف اللحيان عند الجريض

قال الاصمعي ويقال هو يجرض بنفسه اي يكاد يموت ومنه قول امرئ القيس

وافلتهن علباء جريضا ... ولو ادركنه صفر الوطاب

واجرضه الله بريقه اي اغصه قوله بعد ما اخذ منه بالمخنق هو موضع الخنق من الحيوان وكذلك الخناق بالضم يقال اخذ بخناقه فاما الخناق بالكسر فالحبل تخنق به الشاة والرمق بقية الروح قوله فلايا بلاي ما نجا اي بعد بطء وشدة وما زائدة او مصدرية وانتصب لايا على المصدر القائم مقام الحال اي نجا مبطئا والعامل في المصدر محذوف اي ابطا بطئا والعامل في تكرير اللفظ المبالغة في صفة البطء الذي نجا به موصوفه به وما اي لا يعرفون بلاي وقال الراوندي

هذه القصة وهذا الطارد حرّضنا وبعد لأي ما انما هو معوية قال وقد قيل ان معوية
بعث قوما فهم على هذه الحال والاول اصح هذا عجب مضحك وقد قيل انه لا يكون شرح هذه الكلمة
قوله فدع عنك قريشا الى قوله على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الكلام حق فان
قريشا اجمعت على حربه منذ يوم بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه فاصفقوا كلهم يدا واحدة على
شقاقه وحربه كما كانت حالهم في ابتداء الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم تخرم حاله من حاله
شيئا الا ان ذاك عصمه الله من القتل فمات موتا طبيعيا وهذا اغتاله انسان فقتله قوله
فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي هذه الكلمة تجري مجرى المثل
تقول لمن يسيء اليك وتدعو عليه جزتك عني الجوازي يقال جزاه الله بما صنع وجازاه الله بما صنع
ومصدر الاول جزاء والثاني مجازاة واصل الكلمة ان الجوازي جمع جازية كالجواري جمع جارية فكأنه
يقول جزت قريشا عني بما صنعت بي وسلطان ابن امي يعني به الخلافة وابن امه هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب ولم يقل سلطان
ابن ابي لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب **وقال الراوندي**
الجوازي جمع جازية وهي النفس التي تجزي اي جزاهم وفعل بهم ما يستحقون عساكر الجلي وفي
ساقي وكفاهم شرهم سبقي لهم وهذا اشارة الى ان بني امية يهلكون من بعده وهذا تفسير غريب
طريف وقال ايضا سلطان امي يعني نفسه اي سلطاني لانه ابن ام نفسه **قال** وهذا من حسن
الكلام ولا شبهة انه على تفسير الراوندي لو قال وسلبوني سلطان ابن امي لكان احسن
احسن واخوى وهذا الرجل قد كان يحب ان يحيل عليه ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب ويوجد عليه
امان الشعر انه لا يعرض له قوله ابن ابي صالح المحلين اي الخارجين عن الميثاق والبيعة يعني البغاة
ومخالفي الامامة ويقال لكل من خرج من اسلام وحارب في الحرم او في الاشهر الحرم محل وعلى
هذا فسر قول زهير وكم بالقنان من محل ومحرم اي ممن لا ذمة له ومن له ذمة
وكذلك قول خالد بن يزيد بن معوية في زوجته رملة بنت الزبير بن العوام

الا من لقلب معنى غزل ... بحب المحلة اخت المحل

اي ناقض العهد لحب المحارب في الحرم او اخت ناقض بيعة بني امية وروي محصفا بالضاد
ومعر الملصيم والضيم اي راض به صابر عليه وواهيا اي ضعيفا والسلس السهل ومقتعد
البعير راكبه والشعر ينسب الى العباس بن مرداس السلمي ولم اجده في ديوانه ومعناه ظاهر
وفي الامثال الحكمية لا تشكون الى المخلوق شكواك فانه ان كان صديقا احزنته وان كان عدوا اشمته
ولا خير في واحد من الامرين

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى
معوية فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع
تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله تعالى طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك
الحجاج في عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث
كان النصر له والسلام

الشرح اول هذا الكتاب
اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا وشغلته
بزينتها عما هو انفع له منها وبالآخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما
يبقى واحذر الموت الذي اليه مصيرك والحساب الذي اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا
اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا

اغرا

اغراه بالدنيا وانساه الآخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلني كتابك
فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم
بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الي المتاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا
لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه وعزل عثمان
من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما كان قد ظهر لمن قبله او خفي
عنهم عيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل وال رأي واجتهاد سبحان الله ما اشد لزومك
الى الهوى المبتدع والحيرة المتبعة الى آخر الفصل واما قوله عليه السلام انما نصرت عثمان
حيث كان النصر لك الى آخره فقد روى البلاذري قال لما ارسل عثمان رحمه الله الى معوية يستمده
بعث يزيد بن اسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد امير العراق وقال له اذا اتيت ذا خشب فاقم
بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانني انا الشاهد وانت الغائب قال فاقام بذي خشب
حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان ارسل معه وانما صنع معوية
ذلك ليقتل عثمان فيدعو الى نفسه وكتب معوية الى ابن عباس عند صلح الحسن عليه السلام كتابا
يدعوه الى بيعته ويقول له فيه ولعمري لو قتلتك بعثمان رجوت ان يكون ذلك لله
رضا وان يكون رأيا صوابا فانك من الساعين عليه والخاذلين له والسافكين دمه وما جرى بيني
وبينك صلح فيمنعك مني ولا بيدك امان فكتب ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه واما قولك
اني من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه فاقسم بالله لانت المتربص
لعثمان والمحب لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من امره ولقد اتاك كتابه
وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتى بعثت اليه معذرا باجرة وانت تعلم انهم
لن يتركوه حتى يقتل فقتل كما كنت اردت فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول
قتل مظلوما فان يك قتل مظلوما فانت اظلم الظالمين ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجاثما ورابضا تستغوي الجهال
وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى ادركت ما طلبت وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى
اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله
حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف
يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام
الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو
مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل
الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا
يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم
وشدة شكيمته على عدوكم

الشرح هذا الفصل يشكل علي تأويله
لان اهل مصر الذين قتلوا عثمان واذا شهد امير المؤمنين انهم غضبوا لله حين عصي في الارض فهذه
شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان واتيان المنكر ويمكن ان يقال وان كان متعسفا
ان الله تعالى عصي في الارض لا من عثمان بل من ولاته وامرائه واهله وذهب بينهم بحق الله وضرب
الجور سرادقه بولايتهم وامرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن فشاع المنكر
وفقد المعروف يبقى ان يقال هب ان الامر كما تأولت فهؤلاء الذين غضبوا لله الى

ما ادى امرهم الى ان الامر آل الى انهم قطعوا المسافة من مصر الى المدينة فقتلوا عثمن فلا بعد واحالهم
امرين اما ان يكونوا اطاعوا الله بقتله فيكون عثمن عاصيا مستحقا للقتل او يكونوا اسخطوا الله بقتله
فعثمن اذا على حق وهم الفساق العصاة فكيف يجوز ان يجلدهم ويخاطبهم خطاب الصالحين ويمكن ان
يجاب عن ذلك بانهم غضبوا لله وجاءوا من مصر وانكروا على عثمن تاميره الامراء الفساق وحصروه في
داره وطلبوا ان يدفع اليهم مروان فيحبسوه او يؤدبوه على ما كتبه في امرهم فلما حصر طمع
فيه مبغضوه واعداؤه من اهل المدينة وغيرها وصار معظم الناس البا عليه وقل عدد المصريين
بالنسبة الى من اجتمع من الناس على حصره ومطالبته بخلع نفسه وتسليم مروان وغيره من بني امية
اليهم وعزل عماله والاستبدال بهم ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه لكن قوما منهم ومن غيرهم
تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم فقادت الضرورة الى النزول والاحاطة
به وتسرع اليه واحد منهم فقتله ثم ان ذلك القاتل قتل في الوقت وقد ذكرناه فيما تقدم
وشرحناه فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه ان يفسق الباقون لانهم ما انكروا الا
المنكر واما القتل فلم يقع منهم ولا راموه ولا ارادوه فجاز ان يقال انهم غضبوا لله وان يثني
عليهم ويمدحهم ثم وصف الاشتر بما وصفه ومثل قوله لا ينام ايام الخوف قولهم
لا ينام ليله يحاق ولا يشبع ليله يضاف — وقال

فاتت به حوش الفؤاد مبطنا ۝ سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ۝

ثم امرهم بان يطيعوه فيما يامرهم مما يطابق الحق وهذا من شدة دينه وصلابته عليه السلام
لم يسامح نفسه في حق احب الخلق اليه ان يهمل هذا القيد قال رسول الله صلى الله عليه واله
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال ابو حنيفة رحمه الله قال لي الربيع في دهليز المنصور
ان امير المؤمنين يامرني بالشيء بعد الشيء من امور ملكه فانفذه وانا خائف على ديني فما تقول في
ذلك قال ولم يقل لي ذلك الا في ملأ من الناس فقلت له افيامر امير المؤمنين بغير الحق قال لا
قلت فلا باس عليك ان تفعل الحق قال ابو حنيفة رحمه الله فاراد ان يصطادني فاصطدته
والذي صدع بالحق في هذا المقام الحسن البصري رحمه الله قال له عمر بن هبيرة امير العراق
وخراسان ليزيد بن عبد الملك في ملأ من الناس منهم الشعبي وابن سيرين يا ابا سعيد ان امير
المؤمنين يامرني بالشيء اعلم ان في تنفيذه الهلكة في الدين فما تقول في ذلك قال الحسن
ماذا اقول ان الله مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله يا عمر خف الله واذكر
يوما ياتيك تتمخض ليلته عن القيامة انه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك
الى قبرك فيضطرك من [illegible] الى [illegible] ثم لا يغني
عنك الا عملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك اسنانه قوله فانه سيف
من سيوف الله هذا لقب خالد بن الوليد واختلف فيمن لقبه به فقيل لقبه به رسول الله
صلى الله عليه واله والصحيح انه لقبه به ابو بكر رحمه الله لقتاله اهل الردة وقتله
مسيلمة والظبة بالتخفيف حد السيف والنابي من السيوف الذي لا يقطع واصله نبا اي ارتفع
فلما لم يقطع كان مرتفعا فسمي نابيا وفي الكلام حذف وتقديره ولا نابي ضارب الضريبة
فاعل بمعنى مفعول لان الهاء في ضريبة للاسماء كالنطيحة والاكيلة ثم امرهم بان يطيعوه
في جميع ما يامرهم به من الاقدام والاحجام وقال انه لا يقدم ولا يؤخر الا عن امري وهذا
ان كان قاله مع انه قد ثبت له انه لا يعمل برايه في امور الحرب من غير مراجعة فهو عظيم جدا

لانه

قاتل عثمان [illegible]

لانه يكون اقامه مقام نفسه وجاز ان يقول انه لا يعمل شيئا الا عن امري وان كان لا
يراجعه في الحرب على عادة العرب في مثل ذلك لانهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك وقد
ذهب كثير من الاصوليين الى ان الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه احكم بما شئت من
الشريعة فانك لا تحكم الا بالحق وانه كان يحكم من غير مراجعة لجبريل عليه السلام وان
كان الله تعالى قد قال في حقه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فان كان عليه السلام
قال هذا القول عن الاشتر فانه قد قرر معه بينه وبينه ان لا يعمل شيئا قليلا ولا كثيرا
الا بعد مراجعته فممكن ولكن هذا بعيد لان المسافة طويلة بين العراق ومصر وكانت الامور
هناك تقف وتفسد ثم ذكر انه اثرهم به على نفسه وهكذا قال عمر رحمه الله لما انفذ عبد الله بن مسعود
الى الكوفة في كتابه اليهم فانه يكلمهم به على نفسي وذلك لان عمر رحمه الله كان يستسعد والا حكام
وعلي عليه السلام كان يصول على الاعداء بالاشتر ويقوي انفس جنده بمقامه بينهم فلما نفذه
الى مصر كان موهنا لاهل مصر به على نفسه **الاصل** ومن كتاب له عليه السلام
الى عمرو بن العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره
يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب
للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك واخرتك
ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان
اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام
كل ما قاله عليه السلام فيهما هو الحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه لهما وغيظه منهما على ان بالغ في
ذمهما به كما يحمل سائر الفصحاء عند سورة الغضب وتدفق الالفاظ على الالسنة ولا ريب عند احد من
العقلاء وذوي الانصاف ان عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معوية وانه ما بايعه وتابعه الا على جعالة
جعلها له وضمان تكفل له بايصاله اليه وهي ولاية مصر مؤجلة وقطعة وافرة من المال معجلة
ولولديه وغلمانه ما ملأ اعينهم فاما قوله عليه السلام في معوية ظاهر غيه فلا ريب في
ظهور ضلاله وبغيه وكل باغ غاو واما مهتوك ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة
قانون الرياسة الا منذ خرج على امير المؤمنين عليه السلام واحتاج الى الناموس والسكينة والا
فقد كان ايام عثمن شديد التهتك موسوما بكل قبيح وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلا خوفا
منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في انية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات
السروج المحلاة وعليهن جلال الديباج والوشي وكان حينئذ شابا عنده نزق الصبا واشر
الشبيبة وسكر السلطان والامرة ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر في ايام
عثمن بالشام واما بعد وفاة امير المؤمنين عليه السلام واستقرار الامر له فقد اختلف فيه فقيل انه
شرب الخمر في ستر وقيل لم يشرب ولا خلاف في انه سمع الغناء وطرب عليه واعطى ووصل
عليه وروى ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني قال قال عمرو بن العاص لمعوية في قدمة قدمها الى
المدينة ايام خلافته قم بنا الى هذا الذي قد هدم شرفه وهتك ستره عبد الله بن جعفر نقف
على بابه فنسمع غناء جواريه فقاما ليلا ومعهما وردان غلام عمرو ووقفا بباب عبد الله بن جعفر
فاستمعا الغناء واحس عبد الله بوقوفهما ففتح وعزم على معوية ان يدخل فدخل فجلس على
سرير عبد الله فدعا عبد الله له وقدم اليه يسيرا من الطعام فاكل فلما انس قال يا امير المؤمنين الا
تاذن لجواريك ان يتممن اصواتهن فانك قطعتها عليهن قال فليقلن فرفعن اصواتهن وجعل معوية

قبلنا فقلنا لا حتى ضرب بجلده الارض فقال عمر فيم ايها الرجل فان الذي نحاه ويعني من شرع احسن حالا منك قال مهلا فان الكريم طروب واما قوله يشين الكريم مجلسه ويسفه الحليم بخلطته فالامر كذلك لانه لم يكن في مجلسه الا شيخ بني هاشم ووجوههم والمعنى بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهر الانتماء اليه واما طلب عمرو فضله واتباع اثره اتباع الكلب الاسد فظاهر ولم ينقل النقل عصا من غدر عمرو وسفاله مما هو ابلغ في الاهانة له والاستخفاف به قال ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت اي لو قعدت عن نصره ولم تشخص اليه مما لنا له على الباطل لوصل اليك من بيت المال قدر كفايتك الا ان لقائل ان يقول ان عمرا ما كان يطلب قدر الكفاية وعلي عليه السلام ما كان يعطيه الا حقه فقط ولا يعطيه بلدا ولا طرفا من الاطراف والذي كان يطلب ملك مصر لانه فتحها ايام عمر ووليها له وكانت حسرة في قلبه وحرارة في صدره فباع اخرته بها فالاولى ان يقال معناه لو اخذت بالحق ادركت ما طلبت من الاخرة فان قلنا ان عمرا لم يكن علي عليه السلام يعتقد انه من اهل الاخرة فكيف يقول له هذا قلت لا يخلو فكلا الامرين في كلامه عليه السلام لانه لو اخذ بالحق لكان معتقدا كون علي عليه السلام على الحق فلو بذلك اخذ به ويلزم من كونه معتقدا كون علي عليه السلام على الحق اعتقاد صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله وصحة التوحيد فيصير تقدير الكلام لو بايعتني معتقدا لزوم بيعتي لك لكنت في ضمن ذلك طالبا الثواب فكنت تدركه في الاخرة ثم قال يهدد او يتوعد اياهما فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان واقول لو ظفر بهما لما كان في عالمه ان يقتلهما فانه كان حليما كريما ولكن كان يحبسهما ليحسم بحبسهما مادة فسادهما ثم قال وان تعجزا فما اي وان لم اسخط احدكما والظفر بكما او مت قبل ذلك وبقيتما بعدي فما امامكما شر لكما من عقوبة الدنيا لان عذاب الدنيا منقطع وعذاب الاخرة غير منقطع وذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضي قال نصر وكتب علي عليه السلام الى عمرو بن العاص من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك واخرتك وكان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجا او الصبح اتى يلتمس فاضل سؤره وحوايا فريسته ولكن لا نجاة من القدر ولو بالحق اخذت لادركت ما رجوت وقد رشد من كان الحق قائده فان يمكن الله منك ومن ابن اكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تعجزا او تبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا والسلام

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخربت امانتك بلغني انك جردت الارض فاخذت ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس والسلام

الشرح اخربت امانتك اذ لم تؤدها وانتهبها وجردت الارض قشرتها والمعنى انه نسبه الى الخيانة في المال والى اخراب الضياع ففي حكمة ابرويز قال لخازن بيت المال اني لا احمدك على حياطة درهم ولا احمدك على حفظ عشرة الاف درهم لانك انما تحقن بذلك دمك وتعمر به امانتك وانك ان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين من النقصان فيما تأخذ ومن الزيادة فيما تعطي واعلم اني لم احملك على خزائن الملك وعمارة

المملكة

المملكة والعدة على العدو الا وانت عندي في الموضع الذي هي فيه ذخائرها التي هو عليها لحفوظي في احتيازي اياك لحفظها وحائك لي التي هي عليها محفوظتي في احتيازي واعوض عمن ترى شرا ولا تونيفه بنصف فلا سلامة يدامه ولا امانة حامية وفي الحديث المرفوع من ولي لنا عملا فلم يكن له امراة فليتزوج ولم يجد مسكنا ومركبا وخادما فما اعد سوى ذلك كان يوم القيمة غالا سارقا وقال عمر في وصيته لابن مسعود اياك والهدية ولست بحرام ولكني اخاف عليك الدالة واهدى رجل لعمر رحمه الله فخذ جزور فقبله ثم ارتفع اليه بعد ايام مع خصم له فجعل في اثناء الكلام يقول يا امير المؤمنين افصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور فقضى عمر عليه ثم قام فخطب الناس وحرم الهدايا على الولاة والقضاة واهدى انسان للمغيرة بن شعبة سراجا من شبه واهدى اخر اليه بغلا ثم اتفق لهما خصومة في امر فرفعا اليه فجعل صاحب السراج يقول امري اضوأ من السراج فلما اكثر قال المغيرة ويحك ان البغل رمح السراج فكسرها ومشق عمر رحمه الله بعض عماله فقال الدراهم الا تخرج اعناقها ويروى هذا الكلام عن علي عليه السلام وكان عمر يقول لي على كل عامل امينان الماء والطين ولما قدم ابو هريرة من البحرين قال له عمر يا عدو الله وعدو كتابه اسرقت مال الله فقال ابو هريرة لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله فضربه بجريدة على راسه ثم دباه بالدرة واغرمه عشرة الاف درهم ثم احضره وقال يا ابا هريرة من اين لك عشرة الاف درهم قال خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابعت فقال عمر كلا والله ثم تركه اياما وقال له الا تعمل قال لا قال قد عمل من هو خير منك يا ابا هريرة قال من هو قال يوسف الصديق فقال ابو هريرة ان يوسف لم تضرب راسه ولم يشتم عرضه ولم يؤخذ ماله لا والله لا اعمل لك ابدا وكان زياد اذا ولى رجلا عملا قال له خذ عهدك وسر الى عملك واعلم انك مصروف راس سنتك وانك تصير الى اربع خصال فاختر لنفسك انا ان وجدناك امينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا امانتك وان وجدناك خائنا قويا استعنا بقوتك واحسنا ادبك على خيانتك واوجعنا ظهرك واثقلنا عهدك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك امينا قويا زدنا في رزقك ورفعنا ذكرك وكثرنا مالك واوطانا الرجال عقبك ووصف اعرابي عاملا خائنا فقال الناس ياكلون اماناتهم لقما وهو يحسوها حسوا وقال انس بن ابي اياس الدؤلي لحارثة بن بدر الغداني وقد ولي سرق ويقال انها لابي الاسود

احار بن بدر قد وليت ولاية فكن جرذا فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا اصبته فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون اقوالا ولا يثبتونها وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

فقال له حارثة بن بدر اصاب الله بك الرشاد

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب

الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه كانك لا
ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد اوما
تخاف نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما
وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين
والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى
هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي
الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت عندي
لهما هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين
ما يسرني ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت
الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة
ولات حين مناص

الشرح اشركتك في امانتي جعلتك شريكا فيما قمت
من الامر وائتمنني الله عليه من سياسة الامة وسمى الخلافة امانة كما سمى الله تعالى التكليف امانة
في قوله انا عرضنا الامانة فاما قوله واداء الامانة الي فامر آخر ومراده بالامانة الثانية
ما يعرفه الناس من قولهم فلان ذو امانة اي لا يخون فيما اسند اليه وكلب الزمان اشتد
وكذلك كلب العدو وحرب العدو استاسد وخزيت امانة الناس ذلت وهانت وشغرت الامة خلت
من الخير وشغر البلد خلا من الناس وقلبت له ظهر المجن اذا كنت معه فصرت عليه واصل ذلك ان الجيش
اذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم الى وجه العدو وبطون مجانهم الى جهة عسكرهم فاذا فارقوا
رئيسهم وصاروا مع العدو صارت ظهور مجانهم الى رئيسهم بدلا من الوضع الذي كان من قبل فان
ظهور الترسة لا يمكن ان تكون الا في وجوه الاعداء لانها مرمى سهامهم وامكنتك الشدة اي الحملة
قوله اسرعت الكرة لا يقال للكرة الا بعد فرة فكانه لما كان متعلقا في اشد الحال عن
التعرض لاموالهم كان كالفار عنها فلذلك قال اسرعت الكرة والذئب الازل الخفيف الوركين
وذلك اشد لعدوه واسرع لوثبته واذا اتفق ان تكون شاة من المعزى كسيرة ودامية ايضا كان الذئب
على اختطافها اقدر ونقاش الحساب مناقشته قوله فضح رويدا كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة
والاناة والسكينة واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا ليسير فلا يشبعها فيقال
له ضح رويدا وقد اختلف الناس في المكتوب اليه هذا الكتاب فقال الاكثرون انه عبد الله
ابن العباس رحمه الله ورووا في ذلك روايات واستدلوا عليه بالفاظ من الفاظ الكتاب كقوله اشركتك
في امانتي وجعلتك بطانتي وشعاري وانه لم يكن في اهلي رجل اوثق منك وقوله على ابن عمك
قد كلب ثم قال ثانيا فقلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثا ولا ابن عمك آسيت وقوله لا ابا لغيرك
وهذه الكلمة لا تقال الا لمثله فاما غيره من افناء الناس فان عليا عليه السلام كان يقول له
لا ابا لك وقوله ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب وقوله والله لو ان الحسن
والحسين وهذا يدل على ان المكتوب اليه هذا الكتاب قريب من ان يجري مجراهما عنده وقد
روى ارباب هذا القول ان عبد الله بن عباس كتب الى علي عليه السلام جوابا عن هذا الكتاب قالوا
كان جوابه اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم علي ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال
لاكثر مما اخذت والسلام قالوا فكتب اليه علي عليه السلام اما بعد فان من العجب ان تزين لك
نفسك ان لك في بيت المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل

وادعاك

وادعاك ما لا يكون يحتك من المآثم وعدلك المحرم انك لانت المهتدي السعيد اذا وقد بلغني انك
اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن
على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين
من اموالهم فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد
ولا ممهد قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت
والسلام قالوا فكتب اليه عبد الله بن عباس اما بعد فقد اكثرت علي فوالله لان القى الله قد احتويت
على كنوز الارض كلها من ذهبها وعقيانها ولجينها احب الي من ان القاه بدم امرئ مسلم والسلام
وقال الآخرون وهم الاقلون هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عباس عليا عليه السلام ولا باينه
ولا خالفه ولم يزل اميرا على البصرة الى ان قتل علي عليه السلام قالوا ويدل على ذلك ما رواه ابو الفرج علي
بن الحسين الاصفهاني من كتابه الذي كتبه الى معوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام وقد ذكرناه
من قبل قالوا وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معوية ويجره الى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيرا
من عمال امير المؤمنين عليه السلام واستمالهم اليه بالاموال قالوا وترك امير المؤمنين عليه السلام
فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه الى نفسه وكل من قرأ السير
وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعوية بعد وفاة علي عليه السلام وما كان يلقاه به من
قوارع الكلام وشديد الخصام وما كان يثني على امير المؤمنين ويذكر خصائصه وفضائله ويصدع
به من مناقبه ومآثره فلو كان بينهما غبار او كدر لما كان الامر كذلك بل كانت الحال تكون بالضد
مما اشتهر من امرهما فهذا عندي هو الامثل والاصوب **وقد قال الراوندي**
المكتوب اليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله وليس ذلك بصحيح فان عبيد الله كان
عامل علي عليه السلام على اليمن وقد ذكرنا مع بسر بن ارطاة فيما تقدم ولم ينقل عنه انه اخذ مالا ولا فارق
واشكل علي امر هذا الكتاب فان انا كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع على امير المؤمنين عليه السلام
خالفت الرواة فانهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في اكثر كتب السير وان صرفته
الى عبد الله بن عباس صدني عنه ما اعلمه من ملازمته لطاعة امير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته
وان صرفته الى غيره لم اعلم الى من اصرفه من اهل امير المؤمنين عليه السلام والكلام يشعر بان الرجل
المخاطب من اهله وبني عمه

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى
عمر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه
اما بعد فاني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم
لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا
متهم ولا مأثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك ممن استظهر
به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله

الشرح اما عمر بن
ابي سلمة فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله امه ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابوه
ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة يكنى ابا حفص ولد في السنة
الثانية من الهجرة بارض الحبشة وقيل انه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تسع سنين
وتوفي بالمدينة في خلافة عبد الملك سنة ثلاث وثمانين وقد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره ذكر ذلك كله ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب واما النعمان
بن عجلان الزرقي فمن الانصار ثم من بني زريق وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب

رحمه الله بعد قتله قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب كان النعمان هذا لسان الانصار وشاعرهم
وكان احمر قصيرا ابو درنه العينين الا انه كان سيدا وهو القائل يوم السقيفة

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم ۞ عتيق بن عثمان حلال ابا بكر
واهل ابو بكر لها خير قائم ۞ وان عليا كان اخلق بالامر
وان هوانا في علي وانه ۞ لاهل لها من حيث يدري ولا يدري

قوله ولا تربت عليك التثريب الاستقصاء في اللوم ويقال تربت عليه وعربت عليه اذا قبحت عليه فعله والطنين المبهم والصيت التهمة والجمع الظاهر يقول قد اطرت ذكر عمرو والالف الموصل والطاء مشددة والنون مشددة ايضا وجا بالطا المهملة ايضا اي بهمه وفي حديث من من لم يكن على عليه السلام نظر في قتل عثمان الحرفان متلجلجان وهو يفعل من من يطغي قاد عليهم . قال الشاعر

وما كل من يطغي انا معتب ۞ ولا كل ما يروى علي اقول

الاصل

ومن كتاب له عليه السلام الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خرة بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك وعصيت امامك انك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن لك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفي سوا يردون عندي عليه ويصدرون عنه

الشرح

قد تقدم ذكر نسب مصقلة بن هبيرة واردشير خرة كورة من كور فارس واعتامك اختارك من بين الناس واصله من العيمة بالكسر وهي خيار المال اعتام المصدق اذا اخذ العيمة وقد روي فيمن اعتاك بالعين والصحيح المشهور وروي ولتجدن بك عندي هوانا بالبا ومعناها اللام اي لتجدن بسبب فعلك هوانك عندي والبا ترد للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم والمحق الاهلاك والمعنى انه نهى مصقلة عن ان يقسم الفي على اعراب قومه الذين اتخذوه سيدا ورئيسا ويحرم المسلمين الذين حازته اسيافهم وسلاحهم وهذا هو الامر الذي نقم على عثمان وهو ايثار اهله واقاربه بمال الفي وقد سبق شرح مثل ذلك مستوفى

الاصل

ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما قرا زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل في نفسه حتى ادعاه معوية قال الرضي رحمه الله الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح وما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره

الشرح

ستزل

يستزل لبك يطلب زلله وخطاه اي يحاول ان يزل واللب العقل ويستفل غربك وهذا من باب المجاز يريد انه يحاول ان يخدعك وقال انه يعني معوية كالشيطان ياتي المرء من كذا وكذا وهو ماخوذ من قول الله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قالوا في تفسيره من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحبب اليهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم يحبب اليهم اللهو واللذات وقال شقيق البلخي ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون فان قلت لم لم يقل ومن فوقهم ومن تحتهم قلت لان جهة فوق جهة نزول الرحمة ومستقر الملائكة ومكان العرش والانوار الشريفة فلا سبيل له اليها واما جهة تحت فلان الاتيان منها يوحش وينفر عنه لانها الجهة المعروفة بالشياطين فعدل عنها الى ما هو ادعى الى القبول وانفذ واضل لهم وقد فسر قوم المعنى الاول من بين ايديهم من جهة الدنيا ومن خلفهم من جهة الآخرة وعن ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات اي يحثهم على طلب الدنيا ويؤيسهم من الآخرة ويثبطهم عن الحسنات ويغريهم بالسيئات قوله ليقتحم غفلته اي ليلج ويهجم عليه وهو غافل جعل اقتحامه اياه اقتحاما للغفلة نفسها لما كانت غالبة عليه ويستلب غرته ليس المعنى باستلابها ان ياخذها ويرفعها لانه لو كان كذلك لصار ذلك الغافل المغتر فاقدا للغفلة والغرة فكان يكون لبيبا فطنا فلا سبيل له عليه وانما المعنى يستلب غرته ما يعنيه الناس بقولهم اخذ فلان غفلتي وفعل كذا ومعنى اخذها هنا احد ما يستدل به على غفلتي والفلتة امر وقع من غير تثبت ولا روية ونزغة كلمة فاسدة من نزغات الشيطان اي من حركاته القبيحة التي يفسد بها المكلفين لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لان المقر بالزنا لا يلحقه النسب ولا يرثه المولود لقوله صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر فاما زياد فهو زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه الى ثقيف والاكثرون يقولون ان عبيدا كان عبدا وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه وسنذكر ما ورد في ذلك ونسب زياد الى غير ابيه لخمول ابيه والدعوة التي استلحق بها فقيل تارة زياد بن سمية وهي امه وكانت امة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب وكانت تحت عبيد وقيل تارة زياد بن ابيه وقيل تارة زياد بن امه ولما استلحق قال له اكثر الناس زياد بن ابي سفيان لان الناس مع الملوك الذين هم مظنة الرغبة والرهبة وليس اتباع الدين بالنسبة الى اتباع الملوك الا كالقطرة في البحر المحيط فاما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد لا يشك في ذلك وروى ابو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه عن ابي صالح عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه بعث زيادا في اصلاح فساد وقع باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها وابو سفيان حاضر وعلي عليه السلام وعمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص لله ابو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه

فقال ابو سفيان انه لقرشي واني لاعرف الذي وضعه في رحم امه فقال علي عليه السلام
ومن هو قال انا قال مهلا يا ابا سفيان فقال ابو سفيان

اما والله لولا خوف شخص ۝ يراني يا علي من الاعادي ۝
لاظهر امره صخر بن حرب ۝ ولم يخف المقالة في زياد ۝
وقد طالت مجاملتي ثقيفا ۝ وتركي فيهم ثمر الفؤاد ۝

عنى بقوله لولا خوف شخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى احمد بن يحيى البلاذري
قال تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر رضي الله عنه كلاما اعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص
لله ابوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان اما والله انه لقرشي
ولو عرفته لعرفت انه خير من اهلك فقال ومن ابوه قال انا والله وضعته في رحم امه
فقال فهلا تستلحقه قال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق علي اهابي وروى
محمد بن عمر الواقدي قال قال ابو سفيان وهو جالس عند عمر وعلي هناك وقد تكلم زياد فاحسن
ابت المناقب الا ان تظهر في شمائل زياد فقال علي عليه السلام من اي بني عبد مناف هو
قال ابني قال كيف قال اتيت امه في الجاهلية سفاحا فقال علي عليه السلام مه يا ابا
سفيان فان عمر الى المساءة سريع قال وعرف زياد ما دار بينهما فكانت في نفسه
وروى علي بن محمد المدائني قال لما كان زمن علي عليه السلام ولى زيادا فارس او بعض
اعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا وجبا خراجها وحماها وعرف ذلك معوية فكتب اليه
اما بعد فانه غرتك قلاع تاوي اليها ليلا كما تاوي الطير الى وكرها لكان لك مني ما
قاله العبد الصالح فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
وكتب في اسفل الكتاب شعرا من جملته

تنسى اباك وقد شالت نعامته ۝ اذ يخطب الناس والوالي لهم عمر ۝

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال العجب من ابن اكلة الاكباد ورأس النفاق
يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج سيدة نساء العالمين وابو
السبطين وصاحب الولاية والمنزلة والاخاء في مائة الف من المهاجرين والانصار والتابعين لهم
باحسان اما والله لو تخطى هؤلاء اجمعين الي لوجدني احمر مخشا ضرابا بالسيف ثم كتب الى علي عليه السلام
وبعث بكتاب معوية في كتابه وكتب اليه علي عليه السلام اما بعد فاني
وليتك ما وليتك وانا اراك لذلك اهلا وانه قد كانت من ابي سفيان فلتة في ايام عمر من
اماني التيه وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثا ولم تستحق بها نسبا وان معوية كالشيطان
الرجيم ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذره ثم احذره ثم احذره والسلام
وروى ابو جعفر محمد بن حبيب رحمه الله قال كان علي عليه السلام قد ولى زيادا قطعة
من اعمال فارس واصطنعه لنفسه فلما قتل علي عليه السلام بقي زياد في عمله وخاف
معوية جانبه وعلم صعوبة ناحيته فاشفق من ممالأته الحسن بن علي عليه السلام فكتب اليه
من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان الى زياد بن عبيد اما بعد فانك عبد قد كفرت النعمة
واستدعيت النقمة ولقد كان الشكر اولى بك من الكفر وان الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من اصلها
انك لا ام لك بل لا اب لك قد هلكت واهلكت وظننت انك تخرج من قبضتي ولا ينالك سلطاني
هيهات ما كل ذي لب يصيب رايه ولا كل ذي راي ينصح في مشورته امس عبد واليوم

امير

امير حطه ما اوتيتها فمثلك من يتسمنه فاذا اتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة
واسرع الاجابة فانك ان تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت والا اختطفتك
باضعف ريش ونلتك باهون سعي ثم اقسم قسما مبرورا ان لا اوتى بك الا في زمارة تمشي
حافيا من ارض فارس الى الشام حتى اقيمك في السوق واسعك عبدا ولاردك الى حيث كنت فيه
وخرجت منه والسلام فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا وجمع
الناس وصعد المنبر فحمد الله ثم قال ابن اكلة الاكباد وقاتلة اسد الله ومظهر الخلاف
ومسر النفاق ورئيس الاحزاب ومن انفق ماله في اطفاء نور الله كتب الي يرعد ويبرق عن سحابة جفل
لا ماء فيها وعما قليل تصيرها الرياح قزعا والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة افمن
اشفاق علي تنذر وتعذر كلا ولكن ذهب الى غير مذهب وقعقع لمن ربي بين صواعق تهامة
كيف ارهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن ابن عمه في مائة الف
من المهاجرين والانصار والله لو اذن لي فيه او ندبني اليه لاريته الكواكب نهارا ولاسعطته
ماء الخردل دونه الكلام اليوم والجمع غدا والمشورة بعد ذلك ان شاء الله ثم نزل وكتب
الى معوية اما بعد فقد وصل الي كتابك وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج
فيتشبث بالطحلب ويتعلق بارجل الضفادع طمعا في الحياة انما يكفر النعم ويستدعي النقم
من حاد الله ورسوله وسعى في الارض فسادا فاما سبك لي فلولا حلم ينهاني عنك وخوفي
ان ادعى سفيها لاثرت لك مخازي لا يغسلها الماء واما تعييرك لي بسمية فان كنت
ابن سمية فانت ابن جماعة واما زعمك انك تختطفني باضعف ريش وتتناولني باهون سعي فهل
رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر ام هل سمعت بذئب اكله خروف فامض الان لطيتك واجهد
جهدك فلست انزل الا بحيث يسوءك ولا اجتهد الا فيما يسوءك وستعلم اينا الخاضع لصاحبه الطالب
الذليل والسلام فلما ورد كتاب زياد على معوية غمه واحزنه وبعث الى المغيرة بن شعبة فخلا
به وقال يا مغيرة اني اريد مشاورتك في امر اهمني فانصحني واشر علي براي المجتهد وكن
لي اكن لك فقد خصصتك بسري وآثرتك على ولدي قال المغيرة فما ذاك والله
لتجدني في طاعتك امضى من الماء الى الحدور ومن ذي الرونق في كف البطل الشجاع قال
يا مغيرة ان زيادا قد اقام بفارس يكش لنا كشيش الافاعي وهو رجل ثاقب الراي ماضي العزيمة
جوال الفكر مصيب اذا رمى وقد خفت منه الان ما كنت آمنه اذ كان صاحبه حيا
واخشى ممالأته حسنا فكيف السبيل اليه وما الحيلة في اصلاح رايه قال المغيرة
انا له ان لم امت ان زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لاطفته
المسألة وألنت له الكتاب لكان لك اميل وبك اوثق فاكتب اليه وانا الرسول
فكتب معوية اليه من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان الى زياد بن ابي سفيان اما بعد
فان المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع
الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت
رحمي وبتت نسبي وحرمتي حتى كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني
وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء
فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد رأيت ان اعطف عليك
ولا اؤاخذك بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك واعلم انا ابا المغيرة

والله لو خضت البحر في طاعة القوم تضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا
بعدا فان بني عبد شمس ابغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع
رحمك الله الى اصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت
ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من
امرك ووضح من حجتك فان احببت اجابتي وقد وثقت لي فامره بامرك وان كرهت
اجابتي فلم تسوف لي فعل جميل لا علي ولا لي والسلام **فرحل المغيرة** بالكتاب
حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وادناه ولطف به فدفع اليه الكتاب فجعل يتأمله
ويضحك فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال حسبك يا مغيرة فاني اطلع
على ما في ضميرك وقد قدمت سفرا بعيدا فقم وارح ركابك قال اجل فدع عنك اللجاج يرحمك
الله وارجع الى قومك وصل اخاك وانظر لنفسك ولا تقطع رحمك قال زياد اني رجل صاحب
اناة ولي في امري روية فلا تعجل علي ولا تبدأني بشيء حتى ابدأك ثم جمع بعد يومين او ثلاث
فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه **ثم قال** ايها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع
عنكم وارغبوا الى الله في دوام العافية لكم فقد نظرت في امور الناس منذ قتل عثمن
وفكرت فيهم فوجدتهم كالاضاحي في كل عيد يذبحون ولقد افنى هذان اليومان يوم الجمل
وصفين ما ينيف على مائة الف كلهم يزعم انه طالب حق وتابع امام وعلى بصيرة من امره
فان كان الامر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة كلا ليس كذلك ولكن اشكل الامر والتبس
على القوم واني لخائف ان يرجع الامر كما بدأ فكيف لامرئ بسلامة دينه وقد نظرت في امر
الناس فوجدت احمد العاقبتين العافية وسأعمل في اموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته
فقد حمدت طاعتكم ان شاء الله ثم نزل **وكتب جواب الكتاب** اما بعد فقد
وصل كتابك يا معوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه فالحمد لله الذي عرفك
الحق وردك الى الصلة ولست ممن يجهل معروفا ولا يجهل حسبا ولو اردت ان اجيبك
بما اوجبته الحجة واحتمله الجواب لطال الكتاب وكثر الخطاب ولكنك ان كنت كتبت
كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة واردت بذلك برا فسيزرع لك في قلبي مودة
وقبولا وان كنت انما اردت مكيدة ومكرا وفساد نية فان النفس تأبى ما فيه ولقد قمت
يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدرك فتركت من حضر لا اهل ورد ولا صدر كالمتحيرين
بمهمه ضل بهم الدليل وانا على امثال ذلك قدير **وكتب في اسفل الكتاب**

اذا معشري لم ينصفوني وجدتني ⁂ ادافع عني الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر اعيت قناتي عليهم ⁂ فلاقوا والفوا لدى العزم ماضيا
وهم به ضاقت صدورهم فرجته ⁂ وكنت بطبي للرجال مداويا
ادافع بالحلم الجهول مكيدة ⁂ واخفي له تحت العضاه الدواهيا
فان تدن مني ادن منك وان تبن ⁂ تجدني اذا لم تدن مني نائيا

فاعطاه معوية جميع ما ساله وكتب اليه بخطه ما وثق به فدخل اليه الشام وقربه
وادناه واقره على ولايته ثم استعمله على العراق **وروى** علي بن محمد المدائني قال
لما اراد معوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر واصعد

زيادا معه فاجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته وحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس
اني قد عرفت شبهنا اهل البيت في زياد فمن كان عنده شهادة فليقم بها فقام ناس فشهدوا انه
ابن ابي سفيان وانهم سمعوا اقراره به قبل موته فقام ابو مريم السلولي وكان خمارا في
الجاهلية فقال اشهد يا امير المؤمنين ان ابا سفيان قدم علينا الطائف فاتاني فاشتريت له
لحما وخمرا وطعاما فلما اكل قال يا ابا مريم اصب لي بغيا فخرجت فاتيت سمية فقلت لها ان
ابا سفيان ممن قد عرفت شرفه وجوده وقد امرني ان اصيب له بغيا فهل لك فقالت نعم
يجيء الان عبيد بغنمه وكان راعيا فاذا تعشى ووضع رأسه اتيته فرجعت الى ابي سفيان
فاعلمته فلم نلبث ان جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى اصبحت فقلت
له لما انصرف كيف رأيت صاحبتك قال خير صاحبة لولا ذفر في ابطيها فقال زياد
من فوق المنبر يا ابا مريم لا تشتم امهات الرجال فتشتم امك فلما انقضى كلام معوية
ومناشدته قام زياد وانصت الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان معوية والشهود
قد قالوا ما سمعتم ولست ادري حق هذا من باطله وهو والشهود اعلم بما قالوا
وانا عبيد اب مبرور ووال مشكور ثم نزل **وروى** شيخنا ابو عثمن رحمه الله ان
زيادا مر وهو والي البصرة بابي العريان العدوي وكان شيخا مكفوفا ذا لسن وعارضة
شديدة فقال ابو العريان ما هذه الجلبة قالوا زياد بن ابي سفيان فقال والله ما ترك ابو سفيان
الا يزيد ومعوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمدا فمن اين جاء زياد فبلغ الكلام زيادا
وقال له قائل لو سددت عنك فم هذا الكلب فارسل اليه بمائتي دينار فقال له رسول زياد
ان ابن عمك زيادا الامير قد ارسل اليك بمائتي دينار لتنفقها فقال وصلته رحم اي والله ابن عمي
حقا ثم مر به زياد من الغد في موكبه فوقف عليه وسلم فبكى ابو العريان فقيل له ما يبكيك
قال عرفت صوت ابي سفيان في صوت زياد فبلغ ذلك معوية فكتب الى ابي العريان

ما لبثتك الدنانير التي بعثت ⁂ ان لونتك ابا العريان الوانا
امسى اليك زياد في ارومته ⁂ نكرا فاصبح ما انكرت عرفانا
لله در زياد لو تعجلها ⁂ كانت له دون ما يخشاه قربانا

فلما قرئ كتاب معوية على ابي العريان قال اكتب جوابه يا غلام

احدث لنا صلة تحيي النفوس بها ⁂ قد كدت يا ابن ابي سفيان تنسانا
اما زياد فقد صحت مناسبه ⁂ عندي ولا ابتغي في الحق بهتانا
من يسد خيرا يصبه حين يفعله ⁂ او يسد شرا يصبه حيث ما كانا

وروى ابو عثمن ايضا قال كتب زياد الى معوية يستأذنه في الحج فكتب اليه اني قد اذنت لك واستعملتك
على الموسم واجزتك بالف الف درهم فبينا هو يتجهز وبلغ ابا بكرة اخاه وكان مصارما له
منذ لجلج في الشهادة على المغيرة بن شعبة ايام عمر لا يكلمه قد لزمته ايمان عظيمة ان لا يكلمه
ابدا فاقبل ابو بكرة فدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فاسرع الى زياد قائلا ايها
الامير هذا اخوك ابو بكرة قد دخل القصر قال ويحك انت رأيته قال هو هذا قد طلع
وفي حجر زياد بني له يلاعبه فجاء ابو بكرة حتى وقف عليه فقال للغلام يا غلام كيف انت
يا غلام ان اباك ركب في الاسلام عظيما زنى امه وانتفى من ابيه ولا والله ما
علمت سمية رأت ابا سفيان قط ثم ابوك يريد ان يركب ما هو اعظم من ذلك

يوافي الموسم غدا ويوافي ام حبيبة بنت ابي سفيان وهي من امهات المومنين فان جا يستاذن عليها فاذنت
له فاعظم بها فرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة وان هي منعته فاعظم بها على ابيه فضيحة
ثم انصرف فقال زياد جزاك الله عن النصيحة خيرا ساخطا لست ام راضيا ثم كتب الى معوية اني قد
اعتللت عن الموسم فليوجه امير المومنين من احب فوجه عتبة بن ابي سفيان فاما ابو عمر بن عبد البر
في كتاب الاستيعاب فانه قال لما ادعا معوية زيادا في سنة اربع واربعين والحقه اخا وحده
اخذ من ابنه محمد بن زياد لو كنت بذلك جهده الاستلحاق وكان ابو بكرة اخا زياد لامه امهما جميعا سمية
فحلف ان لا يكلم زيادا ابدا وقال هذا زنى امه وانتفى من ابيه ولا والله ما علمت سمية رات ابا سفيان
قط ويله ما يصنع بام حبيبة ايريد ان يراها فان حجبته فضحته وان راها فيا لها مصيبة يهتك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وحج زياد ومعوية ودخل المدينة فاراد الدخول على ام حبيبة
ثم ذكر قول ابي بكرة فانصرف عن ذلك وقيل ان ام حبيبة حجبته ولم تاذن له بالدخول عليها وقيل
انه حج ولم يزر المدينة من اجل قول ابي بكرة وانه قال جزى الله ابا بكرة خيرا ما يدع النصيحة على حال
وروى ابو عمر بن عبد البر في هذا الكتاب قال دخل بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معوية
ايام استلحق زيادا فقال له عبد الرحمن يا معوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة
يعني على بني العاص فاقبل معوية على مروان وقال اخرج عنا هذا الخليع فقال مروان اي والله انه
لخليع ما يطاق فقال معوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت انه يطاق الم يبلغني شعره في وفي
زياد قال مروان اسمعنيه فانشد

الا ابلغ معوية بن حرب ۞ لقد ضاقت بما ياتي اليدان ۞
اتغضب ان يقال ابوك عف ۞ وترضى ان يقال ابوك زاني ۞
فاشهد ان رحمك من زياد ۞ كرحم الفيل من ولد الاتان ۞
واشهد انها حملت زيادا ۞ وصخر من سمية غير داني ۞

والله لا ارضى عنه حتى ياتي زيادا فيترضاه ويعتذر اليه فجاء عبد الرحمن الى زياد معتذرا يستاذن عليه
فلم ياذن له فاقبلت قريش الى زياد تكلمه في امر عبد الرحمن فلما دخل سلم فتشاوس له زياد بعينه وكان يكسر عينه
فقال له زياد انت القائل ما قلت قال عبد الرحمن ما الذي قلت قال قلت ما لا يقال قال اصلح الله الامير
انه لا ذنب لمن اعتب وانما الصفح عمن اذنب فاسمع مني ما اقول قال هات فانشد

اليك ابا المغيرة تبت مما ۞ جرى بالشام من خطل اللسان ۞
واغضبت الخليفة فيك حتى ۞ دعاه فرط غيظ ان هجاني ۞
وقلت لمن لحاني في اعتذاري ۞ اليك اذهب فشانك غير شاني ۞
عرفت الحق بعد ضلال رايي ۞ وبعد الغي من زيغ الجنان ۞
اراك اخا وعما وابن عم ۞ فما ادري بغيب ما تراني ۞
وانت زيادة في ال حرب ۞ احب الي من وسطى بناني ۞
الا ابلغ معوية بن حرب ۞ فقد ظفرت بما تاتي اليدان ۞

فقال زياد اراك احمق صرفا شاعرا ضيع اللسان يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا ولكنا
قد سمعنا شعرك وقبلنا عذرك فهات حاجتك قال تكتب الى امير المومنين بالرضى عني قال نعم
ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضى عنه فاخذ كتابه ومضى حتى دخل على معوية فلما قراه قال لحا الله زيادا
لم يتنبه لقوله فاما اشعار يزيد بن مفرغ الحميري وهجاوه عبيد الله وعبادا ابني زياد بالدعوة

وكثير

وكثير مشهور نحو قوله

اعباد ما للوم عنك محول ۞ ولا لك ام من قريش ولا اب ۞
وقل لعبيد الله ما لك والد ۞ بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب ۞

ومن قوله

شهدت بان امك لم تباشر ۞ ابا سفيان واضعة القناع ۞
ولكن كان امر فيه لبس ۞ على حذر شديد وارتياع ۞
اذا اودى معوية بن حرب ۞ فبشر شعب قعبك بانصداع ۞

ومن قوله

ان زيادا ونافعا وابا بكرة ۞ عندي من اعجب العجب ۞
ان رجالا ثلاثة خلقوا ۞ في رحم انثى وكلهم لاب ۞
ذا قرشي كما يقول وذا ۞ مولى وهذا بزعمه عربي ۞

وكان عبيد الله بن زياد يقول ما هجيت بشيء اشد علي من قول ابن مفرغ

فكر ففي ذاك ان فكرت معتبر ۞ هل نلت مكرمة الا بتامير ۞
عاشت سمية ما عاشت وما علمت ۞ ان ابنها من قريش في الجماهير ۞

ويقال ان الابيات النونية المنسوبة الى عبد الرحمن بن الحكم ليزيد بن مفرغ وان اولها

الا ابلغ معوية بن حرب ۞ مغلغلة من الرجل اليماني ۞

ومن قوله وقد باع برد غلامه لما هجا عباد بن زياد بسجستان

يا برد ما مسنا دهر اضر بنا ۞ من قبل هذا ولا بعنا له ولدا ۞
لامتني النفس في برد فقلت لها ۞ لا تهلكي اثر برد هكذا كمدا ۞
لولا الدعي ولولا ما تعرض لي ۞ من الحوادث ما فارقته ابدا ۞

ومن قوله

ابلغ لديك بني قحطان مالكة ۞ عضت باير ابيها سادة اليمن ۞
اضحى دعي زياد فقع قرقرة ۞ يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن ۞

وروى الكلبي ان عبادا استلحقه زياد كما استلحق معوية زيادا وكلاهما لدعوة قال لما اذن معوية
لزياد في الحج تجهز فبينا هو يتجهز واصحاب القرب يعرضون عليه قربهم اذ تقدم عباد وكان خرازا
يعمل القرب فجعل يعرض عليه ويحاوره ويجيبه فقال له زياد ويحك من انت قال انا ابنك قال ويحك واي
بني قال وقعت على امي فلانة وكانت من بني كذا فولدتني وكنت في بني قيس بن ثعلبة وانا مملوك لهم
قال صدقت والله اني لاعرف ما تقول فبعث فاشتراه وادعاه والحقه وكان يتعهد بني قيس
بن ثعلبة بسببه ويصلهم وعظم امر عباد حتى ولاه معوية سجستان بعد موت زياد وولى
اخاه عبيد الله البصرة وتزوج عباد الستيرة ابنة انيف بن زياد الكلبي فقال الشاعر
يخاطب انيفا وكان سيد كلب في زمانه

ابلغ لديك ابا تركان مالكة ۞ انا بما كنت ام بالسمع من صمم ۞
انكحت عبد بني قيس مهذبة ۞ اباوها من عليم معدن الكرم ۞
استحجل عبادا وتحمده ۞ لادر در كرام انكحت من عدم ۞
ابعد ال ابي سفيان تجعله ۞ صهرا وبعدي مروان والحكم ۞

يعظم عليك ذراعا ومعصية ○ ما دمت حيا وبعد الموت في الرحم ○

وقال الحسن البصري ثلاث كن في معوية لو لم تكن فيه الا واحدة منهن لكانت موبقة ابتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها واستلحاقه زيادا مراغمة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجر بن عدي واصحابه فيا ويلا له من حجر واصحاب حجر

وروى الشرقي بن القطامي قال كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن ابي طالب عليه السلام فلما قدم زياد الكوفة طلبه واخافه فاتى الحسن بن علي عليه السلام مستجيرا فوثب زياد على اخيه وولده وامراته فحبسهم واخذ مالهم وهدم داره فكتب الحسن عليه السلام الى زياد اما بعد فانك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره واخذت ماله وحبست اهله وعياله فاذا اتاك كتابي فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فشفعني فيه فقد اجرته والسلام وكتب اليه زياد من زياد بن ابي سفيان الى الحسن بن فاطمة اما بعد فقد اتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وانت طالب حاجة وانا سلطان وانت سوقة وتامرني فيه امر المطاع المسلط على رعيته كتبت الي في فاسق آويته اقامة منك على سوء الراي ورضا منك بذلك وايم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك وان نلت بعضك غير رفيق بك ولا مرع عليك فان احب لحم الي ان آكله اللحم الذي انت منه فسلمه بجريرته الى من هو اولى به منك فان عفوت عنه لم اكن شفعتك فيه وان قتلته لم اقتله الا لحبه اباك الفاسق والسلام فلما ورد الكتاب على الحسن وقراه تبسم وكتب بذلك الى معوية وجعل كتاب زياد عطفه وبعث به الى الشام وكتب الى زياد جواب كتابه كلمتين لا ثالثة لهما من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سمية اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام فلما قرا معوية كتاب زياد الى الحسن ضاق به الشام وكتب الى زياد اما بعد فان الحسن بن علي بعث الي بكتابك اليه جوابا عن كتاب كتبه اليك في ابن سرح فاكثرت العجب منك وعلمت ان لك رايين احدهما من ابي سفيان والآخر من سمية فاما الذي من ابي سفيان فحلم وحزم واما الذي من سمية فما يكون من راي مثلها من ذلك كتابك الى الحسن تشتم اباه وتعرض له بالفسق ولعمري انك الاولى بالفسق من ابيه فاما ان الحسن بدا بنفسه ارتفاعا عليك فان ذلك لا يضعك لو عقلت واما تسلطه عليك بالامر فحق لمثل الحسن ان يتسلط واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك فحظ دفعته عن نفسك الى من هو اولى به منك فاذا قدم عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد بن سرح وابن له داره واردد عليه ماله ولا تعرض له فقد كتبت الى الحسن ان يخيره ان شاء اقام عنده وان شاء رجع الى بلده ولا سلطان لك عليه بيد ولا لسان واما كتابك الى الحسن باسمه واسم امه ولا تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان والى اي ام وكلته لا ام لك الا تعلم انها فاطمة بنت رسول الله وذاك افخر له لو كنت تعقل وكتب في اسفل الكتاب شعرا من جملته ○

○ اما حسن فابن الذي كان قبله ○ اذا سار سار الموت حيث يسير ○

○ ولكنه لو يوزن الحلم والحجى ○ بامر لقالوا يذبل وثبير ○

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات ان عبد الملك اجرى خيلا فسبقه عباد بن زياد فانشد عبد الملك

سبق عباد وصلت لحيته ○ وكان خرازا تجود قربته ○

فشكى عباد قول عبد الملك الى خالد بن يزيد بن معوية فقال اما والله لانصفنك منه بكلمة حجة (؟) وكتب الحجاج الى عبد الملك يا امير المؤمنين ان مناكح آل ابي سفيان قد ضاعت فاخبر عبد الملك

خالدا

خالدا بما كتب به الحجاج فقال خالد يا امير المؤمنين ما اعلم امراة منا ضاعت ونهبت الا عاتكة بنت يزيد بن معوية فانها عندك ولم يعن الحجاج غيرك قال عبد الملك بل عنى الدعي بن الدعي عبادا فقال خالد يا امير المؤمنين ما انصفتني ادعي رجلا ثم لا ازوجه انما كنت ملوما لو زوجت عبدك فاما دعي فلم لا ازوجه

فاما اول ما ارتفع به قدر زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة في خلافة علي عليه السلام وبلغت عليا عليه السلام عنه هنات فكتب اليه يلومه ويؤنبه فمنها الكتاب الذي ذكر الرضي رحمه الله بعضه وقد شرحناه فيما تقدم ما ذكره الرضي منه وكان علي عليه السلام اخرج اليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصرة الى الكوفة وكان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة وعاد سعد وشكاه الى علي عليه السلام وعابه فكتب علي عليه السلام اليه اما بعد فان سعدا ذكر انك شتمته ظلما وهددته وجبهته تجبرا وتكبرا فما دعاك الى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه وقد اخبرني انك تكثر من الالوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد وتدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله اياما وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا واكلت طعامك مرارا قفارا فان ذلك شعار الصالحين افتطمع وانت متمرغ في النعيم تستاثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والارملة واليتيم ان يحسب لك اجر المتصدقين واخبرني انك تتكلم بكلام الابرار وتعمل عمل الخاطئين فان كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت وعملك احبطت فتب الى ربك يصلح لك عملك واقتصد في امرك وقدم الفضل ليوم حاجتك وادهن غبا ولا تدهن رفها فكتب اليه زياد اما بعد يا امير المؤمنين فان سعدا قدم علي فاساء القول والعمل فانتهرته وزجرته وكان اهلا لاكثر من ذلك واما ما ذكرت من الاسراف واتخاذ الالوان من الطعام والنعم فان كان صادقا فاثابه الله ثواب الصادقين وان كان كاذبا فوقاه الله اشد عقوبة الكاذبين واما قوله اني اصف العدل واخالفه الى غيره فاني اذا من الاخسرين فخذ يا امير المؤمنين بمقال قلته في مقام قمته الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل فان اتاك بشاهدي عدل والا تبين لك ظلمه وكذبه ومن كلام زياد تاخير جزاء المحسن لؤم وتعجيل عقوبة المسيء طيش وكتب اليه معوية اما بعد فاعزل حريث بن جابر عن العمل فاني لا اذكر مقاماته بصفين الا كانت حزازة في صدري فكتب اليه زياد اما بعد فخفض عليك يا امير المؤمنين فان حريثا قد بلغ شرفا لا يرفعه عمل ولا يضعه عزل وقال لابنه عبيد الله عليك بالحجاب فانما اجترات الرعاة على السباع بكثرة نظرها اليها ومن كلامه احسنوا الى اهل الخراج فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا وقدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه وقال ايها الامير يدل بخاصة ذكر ان له منك فقال زياد صدق وساخبرك بما ينفعه عندي من خاصته ومودته ان يكن الحق له عليك اخذتك به اخذا عنيفا وان يكن الحق لك عليه قضيت عنه وقال ليس العاقل من يحتال للامر الا يقع فيه وقال في خطبة الا رب مسرور بقدومنا لا نسره وخائف ضرنا لا نضره كان مكتوبا في الحيطان الاربعة في قصر زياد كتابة بالجص اربعة اسطر اولها الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف والثاني المحسن يجازى باحسانه والمسيء يعاقب باساءته والثالث العطاء والارزاق في ابانها واوقاتها والرابع لا احتجاب عن صاحب ثغر ولا عن طارق ليل وقال يوما على المنبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة يشفي بها غيظه لا يقطع بها ذنب عنز مصرور لو بلغتنا عنه لسفكنا دمه وقال ما قرات كتاب رجل الا عرفت عقله

منه وقال في بعض خطبه استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ
فوالله لا يأتيني وضيع بشريف يستخف به الا انتقمت منه ولا يأتيني شاب بشيخ يستخف به الا اوجعته ضربا
ولا جاهل بعالم يستخف به الا نكلت به قيل كان زياد يقول هما طريقان للعامة الطاعة
والسيف وكان المغيرة يقول لا والله حتى يحملوا على سعفة طريقة عن السيف قال
الحسن البصري لرجل الا تحدثني بخطبتي زياد والحجاج حين دخلا العراق قال بلى اما
زياد فلما قدم البصرة حمد الله واثنى عليه ثم قال فان معاوية غير مخوف على قومه
ولم يكن ليلحق بنسبه من ليس منه وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم والحق احق ان يتبع والله حيث
وضع البينات اعلم وقد رحلت عنكم وانا اعرف عدوي من صديقي ثم قدمت عليكم وقد صار
العدو صديقا مناصحا والصديق عدوا مكاشحا فليشتمل كل امرئ على ما في صدره ولا
يكونن لسانه شفرة تجري على اوداجه وليعلم احدكم اذا خلا بنفسه اني قد حملت سيفي بيدي
فان اشهره لم اغمده وان اغمدته لم اشهره ثم نزل واما الحجاج فانه قال من اعيا
داؤه فعلي دواؤه ومن استبطأ اجله فعلي ان اعجله الا ان الحزم والعزم استلبا مني سوطي وجعلا
سوطي سيفي فنجاده في عنقي وقائمه بيدي وذبابه قلادة لمن اغتر بي فقال الحسن
البؤس لهما ما اغرهما بربهما اللهم اجعلنا ممن يعتبر بهما وقال بعضهم
ما رأيت زيادا كاسرا احدى عينيه واضعا احدى رجليه على الاخرى يخاطب رجلا الا رحمت
المخاطب ومن كلامه نعم الشيء الامارة لولا قعقعة لجام البريد وتسنم درج المنبر
وقال لحاجبه يا عجلان اني وليتك هذا الباب وعزلتك عن اربعة المنادي اذا جاء يؤذن
بالصلاة فانها كانت كتابا موقوتا ورسول صاحب الثغر فانه ان ابطأ ساعة فسد تدبير
سنة وطارق الليل فشر ما جاء به والطباخ اذا فرغ من الطعام فانه متى اعيد عليه التسخين
فسد وكان لجارية بن بدر الغداني قد غلب على زياد وكان جارية مستهترا بالشراب
فقيل لزياد في ذلك فقال كيف باطراح رجل يسايرني منذ قدمت العراق فلا يصك
ركابه ركابي وما تقدمني قط فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ
علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره
ومن كلامه كفى بالبخل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجود مجدا ان اسمه لم يقع في ذم
قط وقال ملاك الامر في الشدة على المريب واللين للمحسن وصدق الحديث
والوفاء بالعهد وقال ما اتيت مجلسا قط الا تركت منه ما لو اخذته لكان لي وترك ما لي
احب الي من اخذ ما ليس لي وقال ما قرأت مثل كتاب الربيع بن زياد الحارثي ما
كتب الي كتابا قط الا في اجترار منفعة او دفع مضرة ولا شاورته يوما قط في
امر مهم الا سبق الى الرأي وقال يعجبني من الرجل اذا اتى مجلسا ان يعلم اين
مكانه منه فلا يتعداه الى غيره واذا سيم خطة خسف ان يقول لا بملء فيه فاما
خطبة زياد المعروفة بالبتراء وانما سميت بذلك لانه لم يحمد الله فيها ولا صلى على رسوله ذكرها
علي بن محمد المدائني قال قدم زياد البصرة اميرا عليها ايام معاوية والفسق فيها فاش ظاهر
واموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة فصعد المنبر فقال اما بعد
فان الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفي باهله على النار ما فيه سفهاؤكم
ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى منها

الكبير

الكبير كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد من الثواب الكريم لاهل الطاعة والعذاب الاليم
لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه
الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم
تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر
هذا والعدد غير قليل الم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة
وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه
صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم
ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب
حرام علي الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا اني رأيت هذا الامر لا
يصلح الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف وانا اقسم بالله لآخذن
الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل
اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر تلقى مشهورة فاذا
تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من نقب عليه منكم فانا ضامن لما ذهب منه فاياكم
ودلج الليل فاني لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم بقدر ما يأتي الخبر الكوفة
ويرجع اليكم واياكم ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد
احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه
ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب على احد بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه
فيه حيا فكفوا عني ايديكم والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني ولا يظهرن من احدكم خلاف
ما عليه عامتكم فاضرب عنقه وقد كانت بيني وبين اقوام احن وقد جعلت ذلك دبر اذني
وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن اساءته
اني لو علمت ان احدكم قد قتله السلال من بغضي لم اكشف عنه قناعا ولم اهتك له سترا
حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم
فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس ايها الناس انا اصبحنا
لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله
الذي خولناه فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل والانصاف
فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا اني مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث
لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولا حابسا عطاء ولا مجمرا بعثا فادعوا الله بالصلاح
لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا
فلا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول لذلك حزنكم ولا تدركوا
حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلا على
كل واذا رأيتموني انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة
فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي فقام عبد الله بن الاهتم فقال اشهد ايها
الامير لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقام
الاحنف فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لا نثني حتى نبتلي ولا نحمد
حتى نعطى فقال زياد صدقت فقام ابو بلال مرداس بن ادية يهمس ويقول

اما انه يعني ما قلت وانا وهم الذي قال الاثر وان دق وزد اخرى فسمعها زياد فقال يا
بلال انا لا نبلغ ما تريد باصحابك حتى نخوض اليهم الباطل خوضا وروى الشعبي قال قدم
زياد الكوفة لما جمعت له مع البصرة فدنوت من المنبر لاسمع كلامه فلم ار احدا يتكلم فيحسن الا احببت
ان يسكت مخافة ان يسيء الا زيادا فانه كان لا يزيد كلاما الا ازداد احسانا فكنت اتمنى ان
لا يسكت وروى الشعبي ايضا قال الجاحظ خطب زياد خطبته البترا بالبصرة وبات فسمع
تلك الليلة اصوات الناس يتحارسون فقال ما هذا قالوا ان البلد مفتونة وان المرأة
من اهل المصر لتاخذها الفساق فيقال لها نادي ثلاث اصوات فان اجابك احد
والا فلا لوم علينا فيما نصنع فغضب وقال ففيم انا وفيم قدمت فلما اصبح امر فنودي
في الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس اني قد نبئت بما انتم فيه وسمعت ذروا منه وقد
انذرتكم واجلتكم شهرا مسير الرجل الى الشام ومسيره الى خراسان ومسيره الى الحجاز فمن وجدناه
بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الاخرة فدمه هدر فانصرف الناس يقولون هذا القول
كقول من تقدمه من الامراء فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين اليربوعي
وكانت رجال الشرطة اربعة الاف فقال له هيئ خيلك ورجلك فاذا صليت العشاء الاخرة وقرأ
القارئ مقدار سبع من القرآن ورفع الطن القصب من القصر فسر ولا تلقين احدا سوى عبيد الله
بن زياد ... الا جئتني براسه وان راجعتني في احد ضربت عنقك قال فصبح من
باب القصر تلك الليلة سبعمائة رأس ثم خرج الليلة الثانية فجاء بخمسين رأسا ثم خرج الليلة
الثالثة فجاء براس واحد ثم لم يجئ بعدها بشيء وكان الناس اذا صلوا العشاء الاخرة احضروا
الى منازلهم سراعا وقد ترك بعضهم نعاله كتبت عائشة رحمها الله الى زياد كتابا
فلم تدر ما تكتب عنوانه ان كتبت زياد بن عبيد او ابن ابيه اغضبته وان كتبت زياد بن ابي سفيان
اثمت فكتبت من ام المؤمنين الى ابنها زياد فلما قرأه زياد ضحك وقال لقد لقيت ام
المؤمنين من هذا العنوان نصبا

الاصل

ومن كتاب له عليه السلام
الى عثمان بن حنيف الانصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم
من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية
اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك
الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما
تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه
الا وان لكل مأموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من
دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع
واجتهاد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت
لبالي ثوبي طمرا ولا حزت من ارضها شبرا ولا اخذت منها الا كقوت اتان دبرة
ولهي في عيني اهون من عفصة مقرة

الشرح

هو عثمان بن
حنيف بضم الحاء ابن وهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحرث الانصاري ثم الاوسي اخو سهل بن حنيف
يكنى ابا عمرو وقيل ابا عبد الله عمل لعمر رحمه الله ثم لعلي عليه السلام وولاه عمر على مساحة
الارض وجبايتها بالعراق وضرب الخراج والجزية على اهلها وولاه علي عليه السلام
على البصرة فاخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة

على

علي عليه السلام ومات في خلافة معاوية قوله من فتية البصرة اي من فتيانها اي شبابها
او من اسخيائها يقال للسخي هذا فتى والجمع فتية وفتيان وفتو ويروى ان رجلا من قطان
البصرة صنع مادبة تدعى اليها القوم وقد جاء بفتح الدال ايضا فقال ادب فلان
القوم يادبهم بالكسر اي دعاهم الى طعامه والادب الداعي اليه قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ❁ لا ترى الادب فينا ينتقر ❁

ويقال ايضا ادبهم الى طعامه يؤدبهم ايدابا ويروى وكثرت عليك الجفان فكرهت واكلت
اكل ذئب نهم او ضبع قرم وروى وما حسبتك تاكل طعام قوم ... اهل
البصرة فقال عائلهم مجفو وغنيهم مدعو العائل الفقير وهذا كقول الشاعر

❁ فان تملق فانت لنا عدو ❁ وان تترب فانت لنا الصديق ❁

امره ان يترك ما فيه شبهة الى ما لا شبهة فيه وسمى ذلك قضما ومقضما وان
كان مما لا يقضم لاحتقاره له وازدرائه اياه وانه عنده ليس مما يستحق ان
يسمى باسماء المرغوب فيه المتنافس عليه وذلك لان القضم يطلق على معنيين
احدهما على اكل الشيء اليابس والثاني على ما يؤكل ببعض الفم وكلاهما يدلان على
ان ذلك المقضم مرغوب عنه لا فيه ثم ذكر حال نفسه فقال ان امامكم قد قنع
من الدنيا بطمريه وسد فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذ في حوله الا في يوم اضحيته
ثم قال لا تقدرون على ما اقدر عليه ولكني اسألكم ان تعينوني بالورع والاجتهاد
ثم اقسم انه ما كنز ذهبا ولا ادخر مالا ولا اعد ثوبا باليا سملا لبالي ثوبيه
فضلا عن ان يعد ثوبا قشيبا كما يفعله الناس في اعداد ثوب جديد ليلبسوه عوض
الاسمال التي ينزعونها ولا حاز من ارضها شبرا والضمير في ارضها يرجع الى دنياكم
ولا اخذ منها الا كقوت اتان دبرة وهي التي عقر ظهرها فقل اكلها ثم قال
ولهي في عيني اهون من عفصة مقرة اي مرة مقر الشيء بالكسر اي صار مرا وامقر
ايضا فهو ممقر قال لبيد

ممقر مر على اعدائه ❁ وعلى الادنين حلو كالعسل ❁

الاصل

بلى قد كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها
نفوس اخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها
في غد جدث تنقطع في ظلمته اثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها
واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وانما
هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي امنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق

الشرح

الحرب الفقر واضغطها الحجر جعلها ضاغطة اي زاحمها والهمزة
للتعدية ويروى لضغطها وقوله في مظانها في غد جدث المظان جمع مظنة
وهي موضع الشيء ومالفه الذي يكون فيه قال

فان يك عامر قد قال جهلا ❁ فان مظنة الجهل الشباب ❁

يقول لا مال لي ولا اقتنيت فيما مضى مالا وانما كانت في ايدينا فدك فشحت عليها نفوس
قوم اي بخلت وسخت عنها نفوس اخرين اي سامحت واغضت وليس يعني ههنا

بالسخاء الاجداث لا السخاء الحقيقي لانه عليه السلام واهله لم يسمحوا بفدك الا غصبا وقسرا
وقد قال هذه الالفاظ في موضع اخر فيما تقدم وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ونعم الحكم الله الحكم الحاكم وهذا كلام شاك متظلم ثم
ذكر ما للانسان وانه لا ينبغي له ان يكترث بالقنيات والاموال فانها تصير عن قريب الى الاجداث
البلى ومنازل الموتى ثم ذكر ان الحفرة ضيقة وانها لو وسعها الحافر لالجاها الحجر
المتداعي والمدر المتهافت الى ان يضغط الميت ويزحمه وهذا كلام محمول على ظاهره
لانه خطاب للعامة والا فاي فرق بين سعة الحفرة وضيقها على الميت اللهم الا ان
يقول قائل ان الميت يحس في قبره فاذا قيل ذلك فالجاعل له حسا بعد عدم الحس
هو الذي يوسع الحفرة وان كان الحفار قد جعلها ضيقة فاذن هذا الكلام جار مجاري العرب
خاصة ومن يحمل الامور على ظواهرها ثم قال وانما هي نفسي اروضها بالتقوى يقول
تقللي واقتصاري من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسي لان ذلك انما اعمله
خوفا من الله ان انغمس في الدنيا والرياضة بذلك هي رياضة في الحقيقة بالتقوى لا بنفس
التقلل والتقشف لتاتي نفسه امنة يوم الفزع الاكبر وتثبت في مداحض الزلق واعلم
انا نتكلم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول **الفصل الاول** فيما ورد
في الحديث والسير من امر فدك **الفصل الثاني** في هل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ورث ام لا **الفصل الثالث** في ان فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله لفاطمة
ام لا

الفصل الاول

فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من افواه
اهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم لانا مشترطون على انفسنا الا نحفل بذلك
وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب ابي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة
وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وابو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الادب ثقة ورع اثنى عليه المحدثون ورووا
عنه مصنفاته وغير مصنفاته قال ابو بكر حدثني ابو زيد عمر بن شبة قال حدثنا حيان
بن بشر قال حدثنا يحيى بن ادم قال اخبرنا ابن ابي زائدة عن محمد بن اسحق عن الزهري قال
بقيت بقية من اهل خيبر تحصنوا فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحقن دماءهم ويسيرهم
ففعل فسمع ذلك اهل فدك فنزلوا على مثل ذلك وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة
لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب قال ابو بكر وروى محمد بن اسحق ايضا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب اهل فدك فبعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحوه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم
بخيبر او بالطريق او بعد ما قدم المدينة فقبل ذلك منهم وكانت فدك لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم خالصة له لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب قال وقد روي انه صالحهم
عليها كلها الله اعلم اي الامرين كان قال وكان مالك بن انس يحدث عن عبد الله بن ابي
بكر بن عمرو بن حزم انه صالحهم على النصف فلم يزل الامر كذلك حتى اخرجهم عمر بن الخطاب
واجلاهم بعد ان عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضا من ابل وغيرها وقال غير
مالك بن انس لما اجلاهم عمر بعث اليهم من يقوم الاموال بعث ابا الهيثم بن التيهان وفروة
بن عمرو وحباب بن صخر وزيد بن ثابت فقوموا ارض فدك ونخلها فاخذها عمر

ودفع اليهم قيمة النصف الذي كان لهم وكان مبلغ ذلك خمسين الف درهم اعطاهم اياها من مال اتاه
من العراق واجلاهم الى الشام قال ابو بكر فحدثني محمد بن زكريا قال حدثني جعفر بن محمد بن
عمارة الكندي قال حدثني ابي عن الحسين بن صالح بن حي قال حدثني رجلان من بني هاشم عن زينب بنت
علي بن ابي طالب قال وقال جعفر بن محمد بن عمارة وحدثني ابي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن
ابيه قال وحدثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر
محمد بن علي عليهما السلام قال ابو بكر وحدثني احمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن
ابيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جميعا لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع ابي بكر على منعها
فدك لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطا في ذيولها ما تخرم مشيتها مشية
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت على ابي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والانصار
فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء وقال بعضهم قبطية وقالوا قبطية بالكسر والضم ثم انت انة اجهش
لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم ثم قالت ابتدي بحمد من هو اولى بالحمد والطول
والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم وذكر خطبة طويلة جدا قالت في اخرها فاتقوا
الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم به فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره
يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه
ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة ابنة محمد اقول عودا على بدء وما
اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون اباءكم
واخا ابن عمي دون رجالكم ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني تقول في اخره ثم انتم
الان تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها
معاشر المسلمة المهاجرة اابتز ارث ابي ابى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا
فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد
القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثة

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما قضيت وحالت دونك الكثب
تجهمتنا رجال واستخف بنا ... اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال ولم ير الناس اكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار فقالت يا معشر البقية
واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة
في حقي والسنة عن ظلامتي اما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المرء يحفظ في ولده سرعان
ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات رسول الله امتم دينه ها ان موته لعمري خطب
جليل استوسع وهنه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت
الامال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته
وانباكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيلة
اهتضم تراث ابي وانتم بمراى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم

الدار والحسب ونجبة الله التي انتجب وخيرته التي اختار باديتم العرب وبادهتم الامور
وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة
الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين أفأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد
الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض وركنتم الى
الدعة فجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
فان الله غني حميد الا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة
وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة
الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون قال ابو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا الضحاك محمد
بن الضحاك قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال لما كلمت فاطمة عليها السلام
ابا بكر بما كلمته به حمد ابو بكر الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خير النساء
وابنة خير الانبياء والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب
اهله قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك اما بعد فقد دفعت آلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودابته وحذاءه الى علي واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا
دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما امرني ونصحت
قالت فاطمة لابي بكر ان ام ايمن تشهد ان رسول الله اعطاني فدك فقال لها يا ابنة رسول
الله والله ما خلق الله خلقا احب الي من رسول الله ابيك ولوددت ان السماء وقعت على الارض
يوم مات ابوك والله لان تفتقر عائشة احب الي من ان تفتقري اتراني اعطي الاسود والاحمر
حقه واظلمك حقك وانت بنت رسول الله ان هذا المال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه
انما كان مالا من اموال المسلمين يحمل النبي صلى الله عليه وسلم به الرجال وينفقه في سبيل الله
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليته كما كان يليه قالت والله لا كلمتك ابدا قال
والله لا هجرتك ابدا قالت والله لادعون الله عليك قال والله لادعون الله لك فلما حضرتها
الوفاة اوصت ان لا يصلي عليها فدفنت ليلا وصلى عليها العباس بن عبد المطلب وكان
بين وفاتها ووفاة ابيها صلى الله عليه اثنتان وسبعون ليلة قال ابو بكر وحدثني محمد بن
زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالاسناد الاول قال فلما سمع ابو بكر خطبتها شق عليه
مقالتها فصعد المنبر فقال ايها الناس ما هذه الرعة الى كل قالة اين كانت هذه الاماني في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم انما هو ثعالة شهيده ذنبه
مرب لكل فتنة هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة
ويستنصرون بالنساء كام طحال احب اهلها اليها البغي الا اني لو اشاء ان اقول لقلت ولو قلت
لبحت اني ساكت ما تركت ثم التفت الى الانصار فقال قد بلغني يا معشر الانصار مقالة
سفهائكم واحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم الا اني
لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا ثم نزل فانصرفت فاطمة عليها السلام
الى منزلها قلت قرأت هذا الكلام على النقيب ابي جعفر يحيى بن ابي زيد البصري

وقلت

وقلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لو صرح لم اسألك فضحك وقال بعلي بن ابي طالب قلت هذا
الكلام كله لعلي يقوله قال نعم انه الملك يا بني قلت فما مقالة الانصار قال هتفوا
بذكر علي فخاف من اضطراب الامر عليه فنهاهم فسألته عن غريبه فقال اما الرعة
بالتخفيف اي الاستماع والاصغاء والقالة القول وثعالة اسم للثعلب علم غير مصروف
مثل ذؤالة للذئب وشهيده ذنبه اي لا شاهد له على ما يدعي الا بعضه وجزء منه
واصله مثل قالوا ان الثعلب اراد ان يغري الاسد بالذئب فقال انه قد اكل
الشاة التي كنت قد اعددتها لنفسك وكنت حاضرا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع
ذنبه وعليه دم وكان الاسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب ومرب ملازم
ارب بالمكان وكروها جذعة اعيدوها الى الحال الاولى يعني الفتنة والهرج وام
طحال امرأة بغي في الجاهلية يضرب بها المثل فيقال ازنى من ام طحال قال
ابو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا ابن عائشة قال حدثني ابي عن عمه قال لما كلمت
فاطمة ابا بكر بكى ثم قال يا ابنة رسول الله والله ما ورث ابوك دينارا ولا درهما وانه
قال ان الانبياء لا يورثون فقالت ان فدك وهبها لي رسول الله قال فمن يشهد بذلك فجاء
علي بن ابي طالب فشهد وجاءت ام ايمن فشهدت ايضا فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن
عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول
الله وصدق علي وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان مالك
لابيك كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله فما
تصنعين بها قالت اصنع بها كما كان يصنع ابي قال فلك على الله ان اصنع فيها ما كان
يصنع ابوك قالت والله لتفعلن قال والله لافعلن قالت اللهم اشهد قال
وكان ابو بكر يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي ثم كان عمر كذلك
ثم كان عثمان كذلك ثم كان علي كذلك فلما ولي الامر معاوية بن ابي سفيان اقطع مروان بن
الحكم ثلثها وذلك بعد موت الحسن بن علي عليهما السلام فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت
كلها لمروان بن الحكم ايام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر
بن عبد العزيز فلما ولي عمر الخلافة كانت اول ظلامة ردها دعا حسن بن الحسن بن
علي عليهم السلام فدفعها اليه وكانت بيد اولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز فلما
ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت في ايدي بني مروان كما كانت يتداولونها
حتى انتقلت الخلافة عنهم فلما ولي ابو العباس السفاح ردها على عبد الله بن حسن
بن حسن ثم قبضها ابو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث ثم ردها المهدي ابنه
على ولد فاطمة ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون اخوه فلم تزل في ايديهم حتى ولي
المأمون فردها على الفاطميين قال ابو بكر حدثني محمد بن زكريا قال حدثني مهدي
بن سابق قال جلس المأمون للمظالم فاول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى وقال للذي
على رأسه ناد اين وكيل فاطمة فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخف تعزي فتقدم فجعل
يناظره في فدك والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون ثم امر ان يسجل لهم بها
فكتب السجل وقرئ عليه فانفذه فقام دعبل الى المأمون فانشده الابيات التي
اولها ۞ اصبح وجه الزمان قد ضحكا ۞ برد مأمون هاشم فدكا ۞

فلم يزل في ايديهم حتى كان ايام المتوكل فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وكان فيها احدى عشرة نخلة
غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها فاذا قدم الحاج
اهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير لهم من ذلك مال جليل فصرم عبد الله بن عمر البازيار
ذلك التمر ووجه رجلا يقال له بشران بن ابي امية الثقفي الى المدينة فصرمه ثم عاد الى البصرة ففلج
قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد عمر بن شبة حدثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا حدثنا الوليد
بن محمد عن الزهري عن عروة عن عائشة ان فاطمة عليها السلام ارسلت الى ابي بكر تسأله ميراثها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله بالمدينة وفدك وما بقي من خمس
خيبر فقال ابو بكر ان رسول الله قال لا نورث ما تركنا صدقة انما يأكل آل محمد من هذا المال واني
والله لا اغير شيئا من صدقات رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأعملن فيها كما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ابو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئا فوجدت فاطمة من ذلك
على ابي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد ابيها ستة اشهر فلما توفيت دفنها علي عليه السلام
ليلا ولم يؤذن بها ابا بكر قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا اسحق بن ادريس
قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان
ميراثهما من رسول الله وهما حينئذ يطلبان ارضه بفدك وسهمه بخيبر فقال لهما ابو بكر اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة انما يأكل آل محمد من هذا المال واني والله لا
اغير امرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنعه الا صنعته قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت
قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عمرو بن عاصم وموسى بن اسمعيل قالا حدثنا حماد بن سلمة
عن ابي صالح عن ام هانئ ان فاطمة قالت لابي بكر من يرثك اذا مت قال ولدي واهلي قالت فما لك ورثت
رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا قال يا ابنة رسول الله ما ورثت اباك دارا ولا مالا ولا ذهبا
ولا فضة قالت بلى سهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا التي بفدك فقال لها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انما هي طعمة اطعمنيها الله فاذا مت كانت بين المسلمين قال ابو بكر واخبرنا
ابو زيد قال حدثنا محمد بن الفضيل عن الوليد بن جميع عن ابي الطفيل قال ارسلت فاطمة الى ابي بكر انت
ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم ام اهله قال بل اهله قالت فما بال سهمه قال اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اطعم الله نبيا طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم بعده فرأيت ان اردّه
على المسلمين قالت انت وما سمعت من رسول الله اعلم قلت في هذا الحديث عجب لانها قالت له انت
ورثت رسول الله ام اهله قال بل اهله وهذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم موروث يرثه
اهله وهو خلاف قوله لا نورث وايضا فانه يدل على ان ابا بكر استنبط من قول رسول الله صلى الله
عليه ان الله اذا اطعم نبيا طعمة ان يجري رسول الله صلى الله عليه وآله مجرى ذلك النبي او يكون قد فهمه
عنه بقرينة الحال المتكلم بعظيم قصده فانه فهم من قوله في خطبته ان عبدا خيره الله بين الدنيا وما عند ربه
فاختار ما عند ربه فقال ابو بكر بل نفديك بابائنا قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال اخبرنا القعنبي
قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ان فاطمة طلبت فدك من ابي بكر فقال اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه يقول ان النبي لا يورث من كان النبي عليه السلام يعوله فانا اعوله ومن كان ينفق عليه فانا انفق عليه
فقالت يا ابا بكر أيرثك بناتك ولا يرث رسول الله بناته فقال هو ذاك قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال
حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال حدثنا البختري بن حسان
قال قلت لزيد بن علي عليهما السلام وانا اريد ان اهجن امر ابي بكر ان ابا بكر انتزع فدك من فاطمة

فقال

فقال ان ابا بكر كان رجلا رحيما وكان يكره ان يغير شيئا فعله رسول الله فأتته فاطمة فقالت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني فدك فقال لها هل لك على ذلك بينة فجاءت بعلي فشهد لها
ثم جاءت ام ايمن فقالت أليستما تشهدان اني من اهل الجنة قالا بلى قال ابو زيد يعني انها قالت لابي
بكر وعمر رحمهما الله قالت فانا اشهد ان رسول الله صلى الله عليه اعطاها فدك فقال ابو بكر فرجل
آخر او امرأة اخرى لتستحقي بها القضية ثم قال زيد وايم الله لو رجع الامر اليّ لقضيت فيها بقضاء ابي بكر
قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن المتوكل ابو عقيل عن كثير النواء
قال قلت لابي جعفر محمد بن علي عليهما السلام جعلني الله فداك أرأيت ابا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم
شيئا او قال ذهبا من حقكم بشيء فقال لا والذي انزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل قلت جعلت فداك أفأتولاهما قال نعم ويحك تولهما في الدنيا
والآخرة فما اصابك ففي عنقي ثم قال فعل الله بالمغيرة وبنان فانهما كذبا علينا اهل البيت قال
ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اردن لما توفي ان يبعثن عثمان بن عفان الى ابي بكر رضي الله عنه
يسألنه ميراثهن قالت فقلت لهن اليس قد قال النبي صلى الله عليه لا نورث ما تركناه صدقة
قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبي وبشر بن عمر عن مالك عن ابي
الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما
تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة قلت هذا حديث غريب لان المشهور انه لم يرو
حديث انتفاء الارث الا ابو بكر وحدثنا ابو زيد عن الحزامي عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن
عبد الرحمن الاعرج انه سمع ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي
بيده لا يقتسم ورثتي شيئا مما تركت ما تركناه صدقة قال فكانت هذه الصدقة بيد علي عليه السلام
غلب عليها العباس وكانت فيها خصومتهما فأبى عمر ان يقسمها بينهما حتى اعرض عنها العباس وغلب
عليها علي ثم كانت بيد حسن بن علي ثم بيد حسين بن علي ثم بيد علي بن الحسين والحسن بن الحسن كلاهما
يتداولانها ثم بيد زيد بن علي عليهم السلام قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عثمان
بن عمر بن فارس قال حدثنا يونس عن الزهري عن مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب دعاه
يوما بعدما ارتفع النهار قال فدخلت عليه وهو جالس على رمال السرير ليس بينه وبين الرمال
فراش على وسادة ادم فقال يا مالك قد قدم من قومك اهل ابيات حضروا المدينة وقد امرت
برضخ فاقسمه بينهم فقلت يا امير المؤمنين مر بذلك غيري قال اقسم ايها المرء قال فبينا نحن
على ذلك دخل يرفا فقال هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك قال
نعم فأذن لهم قال ثم لبث قليلا ثم جاء فقال هل لك في علي والعباس يستأذنان عليك فقال
ائذن لهما فلما دخلا قال عباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليا وهما يختصمان في تلك
الصوافي التي افاء الله على رسوله من اموال بني النضير قال فاستب علي والعباس عند عمر فقال
عبد الرحمن يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال عمر انشدكم الله الذي باذنه تقوم
السموات والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة
يعني نفسه قالوا قد قال ذلك فاقبل على العباس وعلي فقال انشدكما الله هل تعلمان ذلك
قالا نعم قال عمر فاني احدثكم عن هذا الامر ان الله تبارك وتعالى خص رسوله في هذا الفيء بشيء
لم يعطه غيره قال تعالى ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب

ولكن الله قد خص رسوله على من سواه وكانت هذه خاصة لرسول الله فما احتازها دونكم ولا
استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال وكان ينفق على أهله نفقة سنتهم
ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل فعمل بذلك حياته ثم توفي فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى
الله عليه فقبضه الله وقد عمل فيها بما عمل رسول الله وأنتما حينئذ والتفت إلى علي والعباس تزعمان
أن أبا بكر فيها ظالم فاجر والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر
فقلت أنا أولى بالناس بأبي بكر وبرسول الله فقبضتها سنتين أو قال سنتين من إمارتي أعمل فيها بمثل ما
عمل رسول الله وأبو بكر ثم قال وأنتما وأقبل على العباس وعلي تزعمان أني فيها ظالم فاجر والله
يعلم أني لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني وكلمتكما جميع واحد وأمركما جميع تجيء يعني
العباس تسألني نصيبك من ابن أخيك وجاء هذا يعني عليا يسألني نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما
إن رسول الله صلى الله عليه قال لا نورث ما تركناه صدقة فلما بدا لي أن أدفعها إليكما دفعتها
على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر وبما عملت فيها وإلا
فلا تكلماني فقلتما ادفعها إلينا بذلك أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك والله الذي بإذنه تقوم السموات
والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فأنا
أكفيكماها [قال] أبو بكر وحدثنا أبو زيد قال حدثنا إسحق بن إدريس قال حدثنا عبد الله
بن المبارك قال حدثني يونس عن الزهري قال حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه قال فذكرت ذلك
لعروة فقال صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشة تقول أرسل أزواج النبي صلى الله عليه عثمان بن عفان
إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله مما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت
لهن ألا تتقين الله ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه كان يقول لا نورث ما تركنا صدقة يريد
بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد من هذا المال فانتهى أزواج النبي إلى ما أمرتهن به [قلت] هذا
مشكل لأن الحديث الأول يقتضي أن عمر أقسم على جماعة منهم عثمان فقال أنشدكم الله ألستم تعلمون
أن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة يعني نفسه فقالوا نعم ومن جملتهم عثمان فكيف يعلم ذلك
ويكون مرسلا لأزواج النبي صلى الله عليه إلى أبي بكر يسأله لهن أن يعطيهن الميراث اللهم إلا
أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحسن
الظن وسموا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن اسم العلم فإن [قال] قائل فهلا حسن ظن عثمان
براويه في هذا الأمر فلم يكن رسولا لزوجات النبي صلى الله عليه في طلب الميراث قيل له يجوز
أن يكون في هذا الأمر شاكا ثم تغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه فكل الناس يقع
لهم مثل ذلك وههنا إشكال آخر وهو أن عمر ناشد عليا والعباس هل تعلمان ذلك فقالا نعم
فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث منه على ما ذكرنا في خبر سابق
على هذا الخبر وقد أوردناه نحن وهل يجوز أن يقال كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي
لا يستحقه وهل يجوز أن يقال إن عليا عليه السلام كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب
ما لا تستحقه وهل يجوز لها أن خرجت من دارها إلى المسجد ونازعت أبا بكر وكلمته بما كلمته به إلا بقوله
وإذنه ورأيه وأيضا فإنه إذا كان صلى الله عليه لا يورث فقد أشكل دفع آلته ودابته
وحذائه إلى علي عليه السلام لأنه غير وارث في الأصل وإن كان أعطاه ذلك لتعرض [?] أن يرث لولا
الخبر فإنه أيضا غير جائز لأن الخبر قد منع أن يرث أحد منه شيئا قليلا كان أو كثيرا فإن [قال قائل] إنما
قال نحن معاشر الأنبيا لا نورث ذهبا ولا فضة ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا [قيل]

هذا الكلام يفهم مضمونه أنهم لا يورثون شيئا أصلا لأن عادة العرب جارية بمثل
ذلك وليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح
بنفي أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق وأيضا فإنه جاء في خبر الدابة والآلة والحذاء رواية عن النبي صلى
الله عليه لا نورث ما تركناه صدقة ولم يقل لا نورث كذا وكذا وذلك يقتضي عموم انتفاء الإرث عن
كل شيء وأما الخبر الثاني فهو الذي رواه هشام بن محمد الكلبي عن أبيه ففيه إشكال أيضا
لأنه قال إنها طلبت فدك وقالت إن أبي أعطانيها وإن أم أيمن تشهد لي بذلك فقال لها أبو بكر
في الجواب إن هذا المال لم يكن لرسول الله وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل به الرجال وينفقه في
سبيل الله فلقائل أن يقول له أيجوز للنبي صلى الله عليه أن يملك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس
ضيعة مخصوصة أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين لوحي أوحاه الله تعالى إليه أو لاجتهاد رأيه على قول
من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد أو لا يجوز للنبي صلى الله عليه ذلك فإن قال لا يجوز قال ما لا يوافقه العقل
ولا المسلمون عليه وإن قال يجوز ذلك [قيل] له فإن المرأة ما اقتصرت على الدعوى بل قالت أم أيمن
تشهد لي وكان ينبغي أن يقال لها في الجواب شهادة أم أيمن وحدها غير مقبولة ولم يتضمن هذا الخبر ذلك بل قال
لها لما ادعت وذكرت من يشهد لها هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله وهذا ليس بجواب صحيح
وأما الخبر الذي رواه محمد بن زكريا عن عائشة ففيه من الإشكال مثل ما في هذا الخبر لأنه إذا شهد
لها علي وأم أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وهب لها فدك لم يصح اجتماع صدقها وصدق عبد الرحمن
وعمر ولا ما تكلفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم لأن كونها هبة من رسول الله لها يمنع من قوله
كان يأخذ منها قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله لأن هذا ينافي كونها هبة لها لأن معنى كونها
لها انتقالها إلى ملكها وأن تتصرف فيها خاصة دون كل واحد من الناس وما هذه صفته لا يقسم
ويحمل منه في سبيل الله فإن [قال قائل] هو صلى الله عليه أبوها وحكمه في مالها كحكمه في ماله وفي بيت مال
المسلمين فلعله كان بحكم الأبوة يفعل ذلك [قيل] له فإذا كان يتصرف تصرف الأب في مال
ولده ولا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده فإذا مات الأب لم يجز لأحد أن يتصرف في مال ذلك الولد
لأنه ليس بأب فيتصرف في ماله تصرف الآباء في أموال أولادهم على أن الفقهاء أو معظمهم لا يجيزون
للأب أن يتصرف في مال الابن وههنا إشكال آخر وهو قول عمر لعلي والعباس وأنتما
حينئذ تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر ثم [قال] لما ذكر نفسه وأنتما تزعمان أني فيها ظالم فاجر
فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يجتمع هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله صلى الله عليه قال لا نورث
إن هذا لمن أعجب العجائب ولولا أن هذا الحديث أعني خصومة العباس وعلي عند عمر مذكور في الصحاح
المجمع عليها لكنت أعجب [?] بعض ما ذكرناه يتطرق في صحته وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك [قال]
أبو بكر وحدثنا أبو زيد قال حدثنا ابن أبي شيبة قال حدثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن مالك
بن أوس بن الحدثان قال جاء العباس وعلي إلى عمر فقال العباس اقض بيني وبين هذا الكذا وكذا أي يشتمه
فقال الناس افصل بينهما فقال لا أفصل بينهما قد علما أن رسول الله قال لا نورث ما تركنا
صدقة قلت وهذا أيضا مشكل لأنهما حضرا يتنازعان لا في الميراث بل في ولاية صدقة رسول الله
صلى الله عليه أيهما يتولاها ولاية لا إرثا وعلى هذا كانت الخصومة فهل يكون جواب ذلك قد علمتما
أن رسول الله صلى الله عليه قال لا نورث [قال] أبو بكر وأخبرني أبو زيد قال حدثني يحيى بن
كثير أبو غسان قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال جاء العباس وعلي إلى عمر وهما يختصمان
فقال لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد أنشدكما الله أسمعتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول كلما لنبي فهو صدقة الا ما اطعمه اهله انا لا نورث قالوا نعم قال فكان رسول الله صلى
الله عليه يتصدق به ويقسم فضله ثم توفي فوليه ابو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول
الله وانتما تقولان انه كان بذلك خاطئا وانه كان بذلك ظالما وما كان بذلك الا راشدا
ثم وليته بعد ابي بكر فقلت لكما ان شئتما قبلتماه على عمل رسول الله وعهده الذي عهد فقلتما
نعم وجئتماني الان تختصمان يقول هذا اريد نصيبي من ابن اخي ويقول هذا اريد نصيبي من امراتي
والله لا اقضي بينكما الا بذلك وهذا ايضا مشكل لان اكثر الروايات انه لم يرو هذا الخبر
الا ابو بكر وحده ذكر ذلك معظم المحدثين حتى ان الفقهاء في اصول الفقه اطبقوا على ذلك في احتجاجهم
للخبر برواية الصحابي الواحد وقال شيخنا ابو علي رحمه الله لا تقبل في الرواية الا رواية اثنين كالشهادة فخالفه
المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية ابي بكر وحده نحن معاشر
الانبياء لا نورث حتى ان بعض اصحاب ابي علي تكلف لذلك جوابا وقال قد روي ان ابا بكر يوم حاج
فاطمة عليها السلام قال انشد الله امرا سمع من رسول الله في هذا شيئا فروى مالك بن اوس بن
الحدثان انه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث ينطق بانه استشهد عمر طلحة والزبير
وعبد الرحمن وسعدا فقالوا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين كانت هذه الروايات
ايام ابي بكر وما نقل ان احدا من هولا يوم خصومة فاطمة وابي بكر روى من هذا شيئا قال ابو بكر
واخبرنا ابو زيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابرهيم بن ابي يحيى عن الزهري عن عروة عن
عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه ارسلن عثمان الى ابي بكر فذكر الحديث قال عروة وكانت فاطمة قد سالت
ميراثها ابا بكر مما ترك النبي صلى الله عليه فقال لها بابي انت وامي وبابي ابوك وامي ونفسي
ان كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا او امرك بشي لم اتبع غير ما تقولين واعطيتك
ما تبتغين والا فاني اتبع ما امرت به قال ابو بكر وحدثني ابو زيد قال حدثنا عمرو بن مرزوق
عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي البختري قال قال لها ابو بكر لما طلبت فدك بابي انت وامي انت عندي
الصادقة الامينة ان كان رسول الله صلى الله عليه عهد اليك في ذلك عهدا او وعدك به وعدا صدقتك
وسلمته اليك فقالت لم يعهد الي في ذلك شيئا ولكن الله تعالى يقول يوصيكم الله في اولادكم
فقال اشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انا معاشر الانبيا لا نورث قلت وفي
هذا من الاشكال ما هو ظاهر لانها قد ادعت انه عهد اليها رسول الله صلى الله عليه
في ذلك اعظم العهد وهو النحلة فكيف سكتت عن ذكر ذلك لما سالها ابو بكر وهذا اعجب من العجب
وقال ابو بكر وحدثنا ابو زيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز
عبد الله الانصاري عن ابن شهاب عن مالك بن اوس بن الحدثان قال سمعت عمر وهو يقول للعباس وعلي
وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة انشدكم الله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه
قال لا نورث ما تركناه صدقة قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه كان يدخل فيه قوت اهله السنة من صدقاته ثم يجعل ما بقي في
بيت المال قالوا اللهم نعم قال فلما توفي رسول الله قبضها ابو بكر فجئت يا عباس تطلب
ميراثك من ابن اخيك وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من ابيها وزعمتما ان
ابا بكر كان فيها خائنا فاجرا والله لقد كان امرا مطيعا تابعا للحق ثم توفي ابو بكر فقبضتها
فجئتماني تطلبان ميراثكما اما انت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن اخيك واما علي فيطلب ميراث
زوجته من ابيها وزعمتما اني فيها خائن فاجر والله يعلم اني فيها مطيع تابع للحق

فاصلحا

امره فاصلحا امركما والا والله لن يرجع اليكما فقاما وتركا الخصومة وامضيت صدقة
قال ابو بكر قال ابو غسان حدثنا عبد الرزاق الصنعاني عن معمر بن شهاب عن مالك
وقال في اخره فغلب علي عباسا عليها فكانت بيد علي ثم كانت بيد الحسن ثم كانت بيد
الحسين ثم علي بن الحسين ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن قلت وهذا الحديث
يدل صريحا على انهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية وهذا من المشكلات لان ابا بكر حسم
المادة اولا وقرر عند العباس وعلي وغيرهما ان النبي صلى الله عليه لا يورث وكان
عمر من المساعدين له على ذلك فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة ابي بكر يحاولان امرا قد كان
فرغ منه وايس من حصوله اللهم الا ان يكونا ظنا ان عمر ينقض قضاء ابي بكر في هذه
المسالة وهذا بعيد لان عليا والعباس كانا في هذه الواقعة يتهمان عمر بممالاة ابي بكر على ذلك
الا تراه يقول نسبتماني ونسبتما ابا بكر الى الظلم والخيانة فكيف يظنان انه ينقض قضاء
ابي بكر ويورثهما واعلم ان الناس يظنون ان نزاع فاطمة ابا بكر كان في امرين في الميراث
والنحلة وقد وجدت في الحديث انها نازعت في امر ثالث ومنعها ابو بكر اياه ايضا وهو سهم
ذوي القربى قال ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري اخبرني ابو زيد عمر بن شبة قال
حدثني هرون بن عمير قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني صدقة ابو معوية عن محمد بن عبد الله
بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك ان فاطمة عليها السلام اتت
ابا بكر فقالت قد علمت الذي ظلمتنا عنه اهل البيت من الصدقات وما افاء الله علينا من
الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى ثم قرات عليه قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
وللرسول ولذي القربى الاية فقال لها ابو بكر بابي انت وامي ووالد ولدك السمع والطاعة
لكتاب الله ولحق رسوله وحق قرابته وانا اقرا من كتاب الله الذي تقرئين ولم يبلغ علمي منه
ان هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملا قالت افلك هو ولاقربائك قال لا بل انفق عليكم
منه واصرف الباقي في مصالح المسلمين قالت ليس هذا حكم الله فقال بل هذا حكم الله فان
كان رسول الله عهد اليك في هذا عهدا او اوجبه لكم حقا صدقتك وسلمته كله اليك والى
اهلك قالت ان رسول الله صلى الله عليه لم يعهد الي في ذلك بشي الا اني سمعته يقول لما انزلت
هذه الاية ابشروا ال محمد فقد جاءكم الغنى قال ابو بكر لم يبلغ علمي من هذه الاية ان
اسلم اليكم هذا السهم كله كاملا ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم وهذا
عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح فاساليهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على
ما طلبت احد منهم فانصرفت الى عمر فقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها مثل ما قاله ابو بكر
فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنت انهما قد كانا تذاكرا ذلك واجتمعا عليه
قال ابو بكر وحدثنا ابو زيد قال حدثنا هرون بن عمير قال حدثنا الوليد عن ابن لهيعة
عن ابي الاسود عن عروة قال ارادت فاطمة ابا بكر على فدك وسهم ذوي القربى فابى عليها
وجعلهما في مال الله تعالى قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا احمد بن معوية
عن هشيم عن جويبر عن الضحاك عن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب عليه السلام ان ابا بكر
منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع قال ابو بكر
اخبرنا ابو زيد قال حدثنا حيان بن هلال عن محمد بن يزيد بن ذريع عن محمد بن اسحق قال سالت ابا
جعفر محمد بن علي عليه السلام قلت ارايت عليا حين ولي العراق وما ولي من امر الناس

كيف صنع بسهم ذوي القربى قال سلك بهم طريق ابي بكر وعمر قلت كيف وانتم تقولون ما
تقولون قال اما والله ما كان اهله يصدرون الا عن رايه قلت فما منعه قال كان
يكره ان يدعى عليه مخالفة ابي بكر وعمر قال ابو بكر وحدثني المؤمل بن جعفر قال حدثني
محمد بن ميمون عن داود بن المبارك قال اتانا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن ونحن
راجعون من الحج في جماعة فسالناه عن مسائل وكنت احد من ساله وسالته عن ابي بكر وعمر
فقال سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسيلة فقال كانت امي صديقة بنت
نبي مرسل وماتت وهي غاضبة على انسان ونحن غاضبون لغضبها واذا رضيت رضينا قال
ابو بكر وحدثني ابو جعفر محمد بن القسم قال حدثنا علي بن الصباح قال انشدنا ابو الحسن
راوية الفضل الكلبي

اهوى عليا امير المؤمنينا • ولا ارضى بشتم ابا بكر ولا عمرا
ولا اقول وان لم يعطيا فدكا • بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا ياتيان به • يوم القيمة من عذر اذا احتضرا

قال ابن الصباح فقال ابو الحسن لراوية الفضل انه قد حكم فيهما في هذا الشعر قلت نعم
قال كذلك هو قال ابو بكر حدثنا ابو زيد عن هرون بن عمير عن الوليد بن مسلم عن اسمعيل
بن عياش عن محمد بن السائب عن ابي صالح مولى ام هاني قال دخلت فاطمة على ابي بكر بعد
ما استخلف فسالته ميراثها من ابيها فمنعها فقالت له لئن مت اليوم من كان
يرثك قال ولدي واهلي قالت فلم ورثت انت رسول الله دون ولده واهله قال
ما فعلت يا بنت رسول الله قالت بلى انك عمدت الى فدك وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذتها وعمدت الى ما انزل الله من السما فرفعته عنا قال ان الله تعالى يطعم
النبي الطعمة ما كان حيا فاذا قبضه الله اليه رفعت فقالت انت ورسول الله اعلم ما انا
بسائلتك بعد مجلسي ثم انصرفت قال ابو بكر وحدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد
بن عبد الرحمن المهلبي عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن ابيه عن عبد الله بن حسن بن حسن
عن امه فاطمة بنت الحسين قال لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نسا من نسا المهاجرين والانصار فقلن لها
كيف اصبحت يا ابنة رسول الله قالت اصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم
لفظتهم بعد ان عجمتهم وشنئتهم بعد ان سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الراي
وبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم لقد قلدتهم
ربقتها وشننت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم اين زحزحوها
عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين والطبين بامر الدنيا والدين
الا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من ابي حسن نقموا والله نكير سيفه وشدة وطاته
ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه اليه رسول الله صلى الله عليه
ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولاوردهم منهلا نميرا فضفاضا
تطفح ضفتاه ولاصدرهم بطانا قد تحير بهم الراي غير متحل بطائل الا بغمر الناهل وردعه
سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السما والارض وسياخذهم الله بما كانوا يكسبون
الا هلم فاستمع وما عشت اراك الدهر عجبا وان تعجب فقد اعجبك الحادث الى اي لجا

اسندوا وباي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلا استبدلوا والله
الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم
هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويحهم افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان
يهدى فما لكم كيف تحكمون اما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا طلاع القعب
دما عبيطا وذعافا ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما اسس الاولون
طيبوا عن انفسكم نفسا واطمانوا للفتنة جاشا وابشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين
يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة عليكم وانى بكم وقد عميت عليكم انلزمكموها
وانتم لها كارهون والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين
قلت هذا الكلام وان لم يكن فيه ذكر فدك والميراث الا انه من تتمة ذلك وفيه ايضاح لما
كان عندها وبيان لشدة غيظها وغضبها فانه سياتي فيما بعد ما يناقض به قاضي القضاة
والمرتضى في انها هل كانت غضبى ام لا ونحن لا ننصر مذهبا بعينه وانما نذكر ما قيل واذا جرى
نظر قلنا ما يقوى في انفسنا منه واعلم انا انما ذكرنا في هذا الفصل ما رواه رجال
الحديث وثقاتهم وما اودعه احمد بن عبد العزيز الجوهري كتابه وهو من الثقات الامنا عند
اصحاب الحديث فاما ما يرويه رجال الشيعة والاخباريون منهم في كتبهم من قولهم انهما اهاناها
واسمعاها كلاما غليظا وان ابا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضرا فكتب لها بفدك
كتابا فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده اليه لياخذه مغالبة فمنعته فدفع بيده في صدرها
واخذ الصحيفة فخرقها بعد ان تفل فيها فمحاها وانها دعت عليه فقالت بقر الله بطنك كما
بقرت صحيفتي فشي لا يرويه اصحاب الحديث ولا ينقلونه وقدر الصحابة يجل عنه وكان
عمر اتقى لله واعرف بحقوق الله من ذلك وقد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة شعرا
اوله ابيات مهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي اولها

يا ابنة الطود من نزاك • بالغ قلبي رضاك
عصت الله بخطب • ليلة الطف عداك
ويعين النار عدا • فظ رعى امن حماك
من لم يعطف سلواك • ولا استحيا بكاك
واهدى الناس به • بعد فادي ولداك
يا ابنة الراقي الى السدرة في لوح السكاك
لهف نفسي وعلى • سلك فتنت البواكي
لهف لم تقطع يد • مد اليك بن صهاك
فرحوا يوم اهانوك • بما ساءا اباك
ولقد اخبرهم • ان رضاه في رضاك
دفع النص على ارثك • لما دفعاك
وتعرض لقدر • بافقد فانتهراك
وادعى النحلة • المشهود فيها بالصكاك
فاستشاطا ثم ما • ان كذبا ان كذباك
فزوى الله عن • الرحمة زنديقا زواك

وتقضى بابه الوان شعث نسطا ما نفاك

فانظر الى هذه الملة التي صنت هؤلاء على المسلمين واعمال المهاجرين وليس ذلك بقادح
في علو شانهم وجلالة مكانهم كما ان مبغضي الانبيا وحسدتهم ومبغضي الكتب في الحاق
العيب بهم والتهجين لشرايعهم لم يزدد الانبيا الا رفعة ولا ازداد شرايعهم الا انتشارا
في الارض وقبولا في الانفس وبهجة ونورا عند ذوي الالباب والعقول وقال لي علوي
من الحلة يعرف بعلي بن مهنا ذكي ذو فضائل ما تظن قصد ابو بكر وعمر بمنع فاطمة فدك قلت ما
قصدا قال ارادا ان لا يظهرا لعلي وقد اغتصباه الخلافة رقة ولينا وخذلانا ولا يرى
عندهما خورا فاتبعا القرح بالقرح وقلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلي بن تقي من
بلد النيل وهل كانت فدك الا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير فقال لي ليس الامر كذلك
بل كانت جليلة جدا وكان فيها من النخل مثل ما بالكوفة الآن من النخل وما قصد ابو بكر
وعمر بمنع فاطمة عنها الا ان لا يقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا اتبعا
ذلك بمنع فاطمة وعلي وساير بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس فان الفقير الذي لا مال له تضعف
همته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولا بالاحتيال والاكتساب عن طلب الملك والرياسة
فانظر الى ما قد وقر في صدور هؤلاء وهو داء لا دواء له وما اكثر ما تزول الاخلاق والشيم
فاما العقايد الراسخة فلا سبيل الى زوالها

الفصل الثاني

في النظر في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل يورث ام لا نذكر في هذا الموضع ما حكاه المرتضى
في الشافي عن قاضي القضاة رحمه الله في هذا المعنى وما اعترض به وان استضعفنا شيا من
ذلك قلنا ما عندنا فيه والا تركناه على حاله قال المرتضى اول ما ابتدا به قاضي
القضاة حكايته عنا استدلالنا على انه صلى الله عليه وسلم مورث بقوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وهذا الخطاب عام يدخل فيه النبي
صلى الله عليه وسلم وغيره ثم اجاب يعني قاضي القضاة عن ذلك فقال ان الخبر الذي
احتج به ابو بكر رضي الله عنه يعني قوله نحن معاشر الانبيا لا نورث لم يقتصر على روايته
حتى استشهد عليها عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن فشهدوا به فكان لا يحل
لابي بكر وقد صار الامر اليه ان يقسم التركة ميراثا وقد خبر الرسول صلى الله عليه
بانها صدقة وليست بميراث واقل ما في هذا الخبر ان يكون من اخبار الآحاد فلو ان شاهدين
شهدا في التركة ان فيها حقا اليس كان يجب ان يصرف ذلك عن الارث فعلمه بما قال الرسول
صلى الله عليه مع شهادة غيره اقوى ولسنا نجعله مدعيا لانه لم يدع ذلك لنفسه وانما بين
انه ليس بميراث وانه صدقة ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص في العبد والقاتل
وغيرهما وليس ذلك بنقص في الانبيا بل هو جلالة لهم يرفع الله به قدرهم عن ان يورثوا
المال وصار ذلك من اوكد الدواعي الى ان لا يتشاغلوا بجمعه لان احد الدواعي القوية الى ذلك
تركه على الاولاد والاهل ولما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك من ابي بكر كفت عن الطلب فيما
ثبت من الاخبار فلا يمتنع ان تكون غير عارفة بذلك فطلبت الارث فلما روي لها ما روي كفت
فاصابت اولا واصابت ثانيا وليس لاحد ان يقول كيف يجوز ان يبين النبي صلى الله عليه

ذلك

للقوم ولا حق لهم في الارث ويدع ان يبين ذلك لمن له حق في الارث مع ان التكليف يتصل
به وذلك لان التكليف في ذلك يتعلق بالامام فاذا بين له جاز ان لا يبين لغيره ويصير البيان له بيانا
لغيره وان لم يسمع من الرسول صلى الله عليه لان هذا الجنس من البيان يجب ان يكون بحسب المصلحة
قال ثم حكى عن ابي علي انه قال ايعلمون كذب ابي بكر في هذه الرواية ام يجوزون ان يكون صادقا
قال وقد علم انه لا شي يقطع به على كذبه فلا بد من تجويز كونه صادقا واذا صح ذلك قيل
لهم فهل كان يحل له مع ما يعلم من مخالفة الرسول صلى الله عليه فان قالوا لو كان صدقا لظهر واشتهر
قيل لهم ان ذلك من باب العمل ولا يمتنع ان ينفرد بروايته جماعة يسيرة بل الواحد والاثنان مثل
ساير الاحكام ومثل الشهادات فان قالوا نعلم انه لا يصح لقوله تعالى في كتابه وورث سليمان
داود قيل لهم ومن اين انه ورثه الاموال مع تجويز انه ورثه العلم فان قالوا اطلاق الميراث لا يكون
الا في الاموال قيل لهم ان كتاب الله تعالى يبطل قولكم لانه قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا والكتاب ليس بمال ويقال ما ورثت الابنا عن الابا شيا افضل من ادب حسن وقالوا العلما
ورثة الانبيا وانما ورثوا منهم العلم دون المال على ان في اخر الاية ما يدل على ما قلناه وهو قوله
تعالى حاكيا عنه وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين
فنبه على ان الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل والا لم يكن لهذا القول تعلق بالاول
فان قالوا فقد قال الله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وذلك يبطل
الخبر قيل لهم ليس في ذلك بيان المال ايضا وفي الاية ما يدل على ان المراد النبوة والعلم لان زكريا
عليه السلام خاف على العلم ان يندرس وقوله واني خفت الموالي من ورائي يدل على ذلك لان
الانبيا لا يحرصون على الاموال حرصا يتعلق خوفهم بها وانما اراد خوفه على العلم ان يضيع فسال
الله تعالى وليا يقوم بالدين بعده وقوله ويرث من آل يعقوب يدل على ان المراد العلم
والحكمة لانه لا يرث اموال يعقوب في الحقيقة وانما يرث ذلك غيره قال فاما من
يقول ان المراد انا معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة اي ما جعلناه صدقة في حال حياتنا لا نورثه
فركيك من القول لان اجماع الصحابة بخلافه لان احدا لم يتاوله على هذا الوجه ولانه لا يكون في
ذلك تخصيص للانبيا ولا مزية لهم ولان قوله ما تركناه صدقة جملة من الكلام مستقلة بنفسها
كانه عليه السلام مع بيانه انهم لا يورثون المال بين انه صدقة لانه قد كان يجوز ان لا يكون ميراثا ويصرف
الى وجه اخر غير الصدقة قال فاما خبر السيف والبغلة والعمامة وغير ذلك فقد قال
ابو علي رحمه الله انه لم يثبت الى امير المؤمنين عليه السلام على جهة الارث كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه
وكيف يجوز لو كان وارثا ان يخصه بذلك ولا ارث له مع العم لانه عصبة فان كان وصل الى
فاطمة فقد كان ينبغي ان يكون العباس شريكا في ذلك وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم ولوجب ان يكون
ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف انهم اخذوا نصيبهم من غير ذلك او بدله ولا يجب اذا لم يدفع ابو بكر ذلك اليه على
جهة الارث ان لا يحصل ذلك في يده لانه قد يجوز ان يكون ابو بكر راى الصلاح في ذلك بان يكون بيده لما فيه
من تقوية الدين وتصدق بذلك بعد التقويم كان للامام ان يفعل ذلك قال وحكي عن ابي علي في
البردة والقضيب انه لا يمتنع ان يكون جعله عدة في سبيل الله وتقوية على المشركين فتداولته الايمة
لما فيه من القوة وراى ان ذلك اولى من ان يتصدق به ان ثبت انه عليه السلام لم يكن قد جعله عند
في حياته ثم عارض نفسه بطلب ازواج النبي صلى الله عليه الميراث وتنازع امير المؤمنين عليه السلام
والعباس رحمه الله فيه بعد موت فاطمة عليها السلام واجاب عن ذلك بان قال يجوز ان

يكونوا لم يعرفوا رواية ابي بكر وعنوا للخبر وقد روي ان عايشة لما عرفتهم الخبر امسكن وقد
بيّنا انه لا يمتنع في مثل ذلك ان يخفى على من يستحق الارث ويعرفون شقلد الامر كما يعرف العلماء
والحكام المواريث ما لا يعلمه ارباب الارث وقد بينا ان رواية ابي بكر مع اجماعها اقوى من شاهدين
لو شهدا ان بعض تركته عليه السلام دين وهو اقوى من رواية سلمان وابن مسعود ولو رويا ذلك قال ومتى
تعلقوا بعموم القرآن فصحّى كون الصدقات للفقراء وبيّنا ان السهم عليهم السلام لا تحل لهم الصدقة فقد
هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضي القضاة ثم قال يحتمل ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم
يورث المال ويرتب الكلام ذكرنا المذهب الصحيح ثم نعطف على ما اورده وسكلم عليه قال والذي
يدل على ما ذكرنا قوله تعالى عن زكريا عليه السلام واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من
لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا فخبر انه خاف من بني عمه لأن الموالي هاهنا
بنو العم بلا شبهة وانما خافهم ان يرثوا ماله فينفقوه في الفساد لانه كان يعرف ذلك في خلائقهم و
طرائقهم فسأل ربه ولدا يكون احق بميراثه منهم والذي يدل على ان المراد بالميراث من الآية ميراث
المال دون العلم والنبوة على ما يقولون ان لفظ الميراث في اللغة والشريعة جميعا لا يفيد اطلاقهما
لا يجوز ان يحمل على الحقيقة من الموروث الى الوارث كالاموال وما في معناها ولا يستعمل في غير المال
الا تجوزا واتساعا ولهذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان الا فلان وفلان يرث فلانا بالظاهر
والاطلاق الا ميراث الاموال والاعراض دون العلوم وغيرها وليس لنا ان نعدل عن ظاهر الكلام في حقيقته
الى المجاز بغير دلالة وايضا فانه تعالى خبر عن نبيه انه اشترط في وارثه ان يكون رضيا ومتى
لم يحمل الميراث في الآية على المال دون العلم والنبوة لم يكن للاشتراط معنى وكان لغوا وعبثا
لانه اذا كان انما سأل من يقوم مقامه ويرث مكانه فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا في جملة كلامه
وسؤاله ولا معنى لاشتراطه الا ترى انه لا يحسن ان يقال اللهم ابعث الينا نبيا واجعله عاقلا ومكلفا
فاذا ثبت هذه الجملة صح ان زكريا يورث ماله وصح ايضا نصيبها ان نبينا عليه السلام ممن يورث المال
لان الاجماع واقع على ان حال نبينا عليه السلام لا يخالف حال الانبياء المتقدمين في ميراث المال فمن مثبت
للامرين ونافٍ للامرين قلت ان شيخنا ابا الحسين رحمه الله قال في كتاب الغرر صون الخبر
الوارد في هذا الباب وهو الذي رواه ابو بكر رحمه الله لا نورث وقد نقل نحن معاشر الانبياء لا نورث
ولا نلوم من كون زكريا يورث الطعن في الخبر وبصحة كتب الصحاح في الحديث فوجدت صيغة الخبر كما
قاله ابو الحسين فان رسول الله صلى الله عليه عني نفسه خاصة بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة
بقصة زكريا وغيره من الانبياء عندي ان نوراث يعتقد خاصة لانه لم يجز عادته ان يعرف
عن نفسه شيئا بالنون فان قلت افصح من المرتضى ان يوافق على ان صون الخبر هذا لم يحتج بقصة
زكريا بان يقول اذا ثبت ان زكريا موروث ثبت ان رسول الله صلى الله عليه موروث لا اجماع الامة
على انه لا فرق بين الانبياء في هذا الحكم قلت ان صح ان هذا الاجماع صح احتجاجه ولكن
يونيه سعد لان من نفى كون زكريا عليه السلام موروثا من الامامية انما نفاه لاعتقاده ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبياء لا نورث واذا لم ينقل هكذا لم ينقل دليلا على مورث
قال المرتضى وانما نعوي ما قدمنا ان زكريا خاف بني عمه وطلب وارثا لاجل خوفه ولا
يليق خوفه الا بالمال دون العلم والنبوة لانه عليه السلام كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف ان
يبعث نبيا ليس باهل للنبوة او ان يورث علمه وحكمه من ليس اهلا لهما ولانه انما بعث
لاذاعة العلم ونشره في الناس فلا يجوز ان يخاف من الامر الذي هو الغرض في البعثة

فان قيل

فان قيل هذا يرجع عليكم في الخوف من ارث المال لأن ذلك غاية الظن والبخل قلنا معاذ الله ان يستوي
الحال لأن المال قد يصح ان يرزقه الله تعالى المؤمن والكافر والعدو والولي ولا يصح ذلك في
النبوة وعلومها وليس من الظن ان يأسى على بني عمه وهم من اهل الفساد ان يظفروا بماله فيقووا
به على المعاصي ويصرفوه في غير وجوهه المحبوبة بل ذلك هو غاية الحكمة وحسن التدبير لأن
الدين يحظر تقوية الفساق وامدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومة وما يعد ذلك شحا ولا
بخلا الا من لا تأمل له فان قيل فالا جاز ان يكون خاف من بني عمه ان يرثوا علمه وهم
من اهل الفساد على ما ادعيتم فيفسدوا به الناس ويموهوا عليهم قلنا لا يخلو هذا العلم
الذي اشرتم اليه من ان يكون هو كتب علمه وصحف حكمته لأن ذلك قد يسمى علما على طريق المجاز
او يكون هو العلم الذي على القلب فان كان الاول فهو يرجع الى معنى المال ويصحح ان الانبيا
عليهم السلام يورثون اموالهم وما في معناها وان كان الثاني ولم يخل هذا العلم اما ان يكون
هو العلم الذي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لنشره واذاعته او يكون علما مخصوصا لا يتعلق
بالشريعة ولا يجب على اطلاع جميع الامة عليه كعلم العواقب وما يجري مجرى ذلك والقسم
الاول لا يجوز على النبي ان يخاف من وصوله الى بني عمه وهم من جملة امته الذين بعث
لاطلاعهم على ذلك وتأديته اليهم وكأنه على هذا الوجه يخاف ما هو الغرض من بعثه
والقسم الثاني فاسد ايضا لأن هذا العلم المخصوص ليس هو مما يورث في جمع
الناس وقد كان يجب اذا خاف من القائه الى بعض الناس فسادا ان لا يلقيه اليه كان في ذلك
غنيته لا يحتاج الى اكثر من ذلك قلت لقائل ان يعكس هذا على المرتضى رحمه الله
ويقول له وقد كان يجب اذا خاف ان يرث بنو عمه امواله فيصرفوها في الفساد ان
يتصدق بها على الفقراء والمساكين فان ذلك في يده فيحصل له ثواب الصدقة ويحصل
غرضه من حرمان اولئك المفسدين ميراثه قال المرتضى رحمه الله ومما
يدل على ان الانبيا عليهم السلام يورثون قوله تعالى وورث سليمان داود والظاهر من اطلاق
لفظة الميراث يقتضي الاموال وما في معناها على ما دللنا عليه قال ويدل ايضا على
ذلك قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الآية وقد اجمع
الامة على عموم هذه اللفظة الا من اخرجه الدليل فيجب ان يتمسك بعمومها لمكان هذه الدلالة
ولا يخرج عن حكمها الا من اخرجه دليل قاطع قلت يعني وراثة النبوة او الملك او
العلم الذي قال اولا لا يراد ولهذا استثنى داود وسليمان علما لانه لا معنى لذكر ميراث سليمان
المال فان غيره من اولاد داود قد ورث ايضا اباه داود وفي كتب اليهود والنصارى
ان بني داود كانوا تسعة عشر وقد قال بعض المسلمين ايضا ذلك فاي معنى في تخصيص سليمان
بالذكر اذا كان ارث المال واما يوصيكم الله في اولادكم فالبحث في تخصيص ذلك
بالخبر فرع من فروع مسألة خبر الواحد هل هو حجة في الشرعيات ام لا فان قلت مذهب
المرتضى في كونه ليس بحجة وكلامه هاهنا جيد وان لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم
بالخبر فان الصحابة قد خصصت عمومات الكتاب بالآحاد في مواضع كثيرة قال المرتضى
رحمه الله فاما تعلقهم بتخصيص الكتاب بالخبر الذي رواه ابو بكر وادعاؤه انه استشهد عمر
وعثمن وفلانا وفلانا فاول ما فيه ان الذي ادعاه من الاستشهاد غير
معروف والذي روي ان عمر رحمه الله استشهد هؤلاء النفر لما تنازع امير

المؤمنين عليه السلام والعباس رحمه الله في ميراث فشهدوا بالخبر المتضمن نفي الميراث فانما
تعولون مخالفونا في صحة الخبر الذي رواه ابو بكر رحمه الله عند مطالبة فاطمة عليها السلام
بالارث على امساك الامة عن النكير عليه والرد لقضيته قلت صدق المرتضى رحمه الله فيما
قال انا نعلم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومطالبة فاطمة عليها السلام بالارث فلم يرو الا
ابو بكر وحده وقيل انه رواه معه مالك بن اوس بن الحدثان واما المهاجرون الذين
ذكرهم قاضي القضاة فانما شهدوا بالخبر في خلافة عمر رحمه الله وقد تقدم ذكر ذلك
قال المرتضى ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة لان الخبر على كل
حال لا يخرج من ان يكون غير موجب للعلم وهو في حكم خبر الآحاد وليس يجوز ان يرجع عن ظاهر
القرآن بما يجري هذا المجرى لان المعلوم لا يخصصه الا المعلوم واذا كانت دلالة الظاهر معلومة
لم يجز ان يرجع عنها بامر مظنون قال وهذا الكلام مبني على التخصيص للكتاب
والسنة المقطوع بهما لا يقع باخبار الآحاد وليس يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى
لان المعلوم لا يخصصه الا المعلوم واذا كانت دلالة الظاهر معلومة لم يجز ان يرجع عنها بامر
مظنون قال وهذا الكلام مبني على التخصيص للكتاب وهو المذهب الصحيح وقد اسلفنا الى
ما يمكن ان يعتمد في الدلالة عليه من ان الظن لا يقابل العلم ولا يرجع عن المعلوم بالمظنون
قال وليس لهم ان يقولوا ان التخصيص باخبار الآحاد يستند ايضا الى علم وان كان الطريق
مظنونا ويشيرون الى ما يدعونه من الدلالة على وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة وانه حجة
لان ذلك مبني من قولهم على ما لا نسلمه وقد دللنا الدليل على فساده اعني قولهم خبر الواحد حجة
في الشرع على انه لو سلم لهم ذلك لاحتاجوا الى دليل مستانف على انه يقبل في تخصيص القرآن
لان ما دل على العمل في الجملة لا يتناول هذا الموضع كما لا يتناول جواز النسخ قلت اما
قول المرتضى لو سلمنا ان هؤلاء المهاجرين الستة رووه لما خرج عن كونه خبر واحد ولما
جاز ان يرجع عن عموم الكتاب به لانه معلوم والخبر مظنون فلقائل ان يقول لكنه
حصل في كل واحد من آيات القرآن روايته مثل هؤلاء الستة حين جمع القرآن على عهد عثمان
ومن قبله من الخلفاء فانهم يرون هذا العدد كانوا يحلفون من اتاهم بالآية ومن نظر
في كتب التواريخ عرف ذلك فان كان هذا العدد انما يفيد الظن فالقول في آيات الكتاب
كذلك وان كانت آيات الكتاب انما ثبتت عن علم مستفاد من رواية هذا العدد وغيره فالخبر
مثل ذلك فاما مذهب المرتضى في خبر الواحد فانه قول انفرد به عن سائر الشيعة
لانه من قبله من فقهائهم ما عولوا في الفقه الا على اخبار الآحاد كزرارة ويونس وابي بصير وابن
بابويه والحلبي وابي جعفر القمي وغيرهم ثم من كان في عصره كابي جعفر الطوسي وغيره وقد
تكلمت في اعتبار الذريعة على ما اعتمد عليه في هذه المسألة واما تخصيص الكتاب بخبر
الواحد فالظاهر انه اذا صح كون خبر الواحد حجة في الشرع جاز تخصيص الكتاب به وهذا
من اصول الفقه ولا معنى لذكره هاهنا قال المرتضى رحمه الله وهذا اسقط قول
صاحب الكتاب ان شاهدين لو شهدا ان في التركة حقا لكان يجب ان يصرف عن الارث
وذلك ان الشهادة وان كانت مظنونة فالعمل بها يستند الى علم لان الشرع قد قرر العمل
بالشهادة ولم يقرر العمل بخبر الواحد فليس له ان يقيس خبر الواحد على الشهادة
من حيث اجتمعا في غلبة الظن لانا لم نعمل بالشهادة من حيث غلبة الظن دون ما ذكرناه

من تقرر الشرع بعدها العمل بها الا ترى انا قد نظن صدق الفاسق والمراة والصبي وكثير
ممن لا يجوز العمل بقوله فبان ان المعول في هذا على المصلحة التي يستفاد بها على طريق الجملة
من دليل الشرع قال وابو بكر رحمه الله في حكم المدعي لنفسه والجار اليها بخلاف ما ظنه
صاحب الكتاب وكذلك من يشهد له اذا كانت هناك شهادة وذلك ان ابا بكر وسائر المسلمين
سوى اهل بيت الرسول تحل لهم الصدقة ويجوز ان يصيبوا منها وهذه تهمة في الحكم به
والشهادة قال وليس له ان يقول هذا يقتضي ان لا تقبل شهادة شاهدين في تركة فيها
صدقة لمثل ما ذكرتم قال وذلك لان الشاهدين اذا شهدا بالصدقة فحظهما منها كحظ
صاحب الميراث بل سائر المسلمين وليس كذلك حال تركة الرسول صلى الله عليه وسلم لان كونها صدقة
يحرمها على ورثته ويبيحها لسائر المسلمين قلت هذا فرق غير مؤثر لان التهمة الآن
تعود الى ابي بكر والشهود الستة في جر النفع الى انفسهم فيكون الكل متهمين
لو شهدوا على ابي هريرة مثلا ان ما تركه صدقة لان اهل ابي هريرة يشاركون الشهود فيما يصيبهم
اذ هم لا تحل الصدقة لهم فيكون تطرق التهمة الى ابي بكر والشهود اكثر لان زيادة
حصصهم وما وقف المرتضى على شيء من هذا لان رسول الله صلى الله عليه مات والمسلمون اكثر من
خمسين الف انسان لانه قاد الى غزاة تبوك عشرين الفا ثم وفدت اليه الوفود كلها بعد ذلك فليت
شعري كم مقدار ما يتوفر على ابي بكر وستة نفر من جملة خمسين الف انسان ما اذا كان بنو هاشم وبنو
المطلب منهم خمسة عشر نفرا لا يأخذون حصة وبين ما اذا كانوا يأخذون ارى يكون المتوفر
على ابي بكر وشهوده واصحابه من التركة عشر عشر درهم ما اظن الله سبحانه يعير ذلك وكم مقدار ما
يقل حصص الشهود على ابي هريرة اذا شاركهم اهله في التركة لتكون هذه القلة موجبة رفع
التهمة وتلك الزيادة والكثرة موجبة حصول التهمة وهذا الكلام لا ارتضيه للمرتضى قال
المرتضى فاما قوله يخص القرآن بالخبر كما خصصناه في العبد والقاتل فليس يشبه ذلك لانا انما
خصصنا من ذكره بدليل مقطوع عليه معلوم وليس هذا موجودا في الخبر الذي ادعاه
فاما قوله وليس ذلك بنقص للانبياء بل هو اجلال لهم فمن الذي قال له ان في ذلك نقصا
وكما انه لا نقص فيه فلا اجلال ولا فضيلة فيه لان الدواعي وان كانت قد تقوى على جمع
المال ليخلف على الورثة فقد تقوى ايضا ارادة صرفه في وجوه الخير والبر وكلا الامرين يكون
داعيا الى تحصيل المال بل الداعي الذي ذكرناه اقوى فيما يتعلق بالدين قال فاما قوله ان فاطمة
عليها السلام لما سمعت ذلك كفت عن الطلب فاصابت اولا واصابت ثانيا فلعمري انها كفت
عن المنازعة والمشاحة لكنها انصرفت مغضبة متظلمة متالمة والامر في غضبها وسخطها
اظهر من ان يخفى على منصف فقد روى اكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع ولا عصبية
فيه من كلامها في تلك الحال وبعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدل على
ما ذكرناه من سخطها وغضبها اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد
بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال حدثني الزيادي قال حدثنا الشرقي
بن القطامي عن محمد بن اسحق قال حدثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت لما بلغ
فاطمة اجماع ابي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها واقبلت في
لمة من حفدتها قال المرتضى واخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو بكر احمد بن محمد المكي
قال حدثنا ابو العيناء محمد بن القسم اليمامي قال حدثنا ابن عائشة قال لما

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلت فاطمة الى ابي بكر في لمة من حفدتها ثم اجتمعت الروايتان من ها هنا
ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت على ابي بكر
وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة ثم انّت انة اجهش لها
القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم
افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قالت
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تعزوه
تجدوه ابي دون آبائكم واخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة مائلا عن سنن
المشركين ضاربا لثبجهم يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا باكظام المشركين
يهشم الاصنام ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر وحتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه
ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وتم كلمة الاخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار
نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد
اذلة خاسئين يختطفكم الناس من حولكم حتى انقذكم الله برسوله صلى الله عليه بعد اللتيا والتي وبعد ان
مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة اهل الكتاب كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله او نجم
قرن للشيطان او فغر فاغر من المشركين قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها باخمصه ويطفئ عادية
لهبها بسيفه وقال يخمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله وانتم في رفاهية فكهون آمنون
وادعون الى ها هنا انتهى خبر ابي العيناء عن ابن عائشة واما عروة عن عائشة فزاد بعد هذا حتى
اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ثم ظهرت حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين
ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه صارخا بكم
فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين وللغرة ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا واحمشكم
فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردتموها غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح
لما يندمل انما زعمتم ذلك خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات
منكم واني تؤفكون وكتاب الله بين اظهركم زواجره بينة وشواهده لائحة واوامره واضحة ارغبة
عنه تريدون ام بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتغاء ونحن نصبر
منكم على مثل حز المدى وانتم الآن تزعمون ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون يا ابن ابي قحافة اترث اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها
مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند
الساعة يخسر المبطلون ثم انكفأت الى قبر ابيها عليه السلام فقالت

قد كان بعدك انباء وهنبثة ● لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب ●
انا فقدناك فقد الارض وابلها ● واختل قومك فاشهدهم ولا تغب ●

وروى حرمي بن العلاء هذين البيتين بيتا ثالثا ●

فليت بعدك كان الموت صادفنا ● لما مضيت وحالت دونك الكثب ●

قال فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال يا خيرة النساء وابنة
خير الآباء والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب
اهله واني اشهد الله وكفى بالله شهيدا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا معاشر

الانبيا

الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وانما نورث الكتاب والحكمة
والنبوة قال فلما وصل الامر الى علي بن ابي طالب عليه السلام كُلّم في رد فدك فقال اني
لاستحيي من الله ان ارد شيئا منع منه ابو بكر وامضاه عمر قال المرتضى واخبرنا ابو عبد الله
المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال اخبرني عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر عن ابيه قال ذكرت لابي
الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع ابي بكر اياها فدك
وقلت له ان هؤلاء يزعمون انه مصنوع وانه من كلام ابي العيناء لان الكلام منسوق
البلاغة فقال لي رأيت مشايخ آل ابي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم وقد
حدثنيه ابي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية وقد رواه مشايخ الشيعة
وتدارسوه قبل ان يولد جد ابي العيناء وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية العوفي انه سمع
عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن ابيه هذا الكلام ثم قال ابو الحسين زيد رحمه الله وكيف ينكرون
هذا من كلام فاطمة وهم يروون من كلام عائشة عند موت ابيها ما هو اعجب من كلام فاطمة
عليها السلام ويحققونه لولا عداوتهم لنا اهل البيت ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه وزاد
في الابيات بعد البيتين الاولين ثلاثة

ضاقت علي بلادي بعد ما رحبت ● وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب ●
فليت قبلك كان الموت صادفنا ● قوم تمنوا فاعطوا كلما طلبوا ●
تجهمتنا رجال واستخف بنا ● مذ غبت عنا وكل الارث قد غصبوا ●

قال فما رأينا اكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم قال المرتضى وقد روي هذا الكلام على
هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة فمن ارادها اخذها من مواضعها فكيف يدعى انها عليها
السلام كفت راضية وامسكت قانعة لولا البهت وقلة الحياء قلت ليس في هذا الخبر
ما يدل على فساد ما ادعاه قاضي القضاة لانه ادعى انها نازعت وخاصمت ثم كفت لما سمعت
الرواية وانصرفت تاركة للنزاع راضية بموجب الخبر المروي وما ذكره المرتضى من هذا
الكلام لا يدل الا على سخطها حال حضورها ولا يدل على انها بعد رواية الخبر وبعد ان
اقسم لها ابو بكر بالله تعالى انه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعه منه
انصرفت ساخطة ولا في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدل على ذلك ولست اعتقد انها
انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة بل اعلم انها انصرفت ساخطة وماتت وهي على ابي بكر
رحمه الله واجدة ولكن لا من هذا الخبر بل من اخبار اخرى وكان الاولى بالمرتضى ان يحتج بها
على ما يرويه من انصرافها ساخطة وموتها على ذلك السخط فاما هذا الخبر وهذا الكلام فلا
يدل على هذا المطلوب قال المرتضى رحمه الله فاما قوله انه يجوز ان يبين عليه السلام انه لا
حق له في ميراثه لمن يثبت له الوراثة ولا يمتنع ان يرد من جهة الآحاد لانه من باب العمل
وكل هذا بناء منه على اصوله الفاسدة في ان خبر الواحد حجة في الشرع والعمل به
واجب ودون تصحيح ذلك خرط القتاد وانما يجوز ان يبين من جهة اخبار الآحاد
ما لا يجب في الحجة ووقوع العلم فاما ما يجب ثبوته ولا يجوز العمل فيه اذا كان ورثة
النبي صلى الله عليه وسلم متعبدين بان لا يرثوه فلا بد من ازاحة علتهم في هذه العبادة
بان يوقفهم على الحكم بعينه ويشافههم به او يلقيه الى من يقوم الحجة بنقله وكل
ذلك لم يكن فاما قوله اتجوزون صدقه في الرواية ام لا تجوزون ذلك

فالجواب انا لا نجوز لان كتاب الله تعالى اصدق منه وهو يدفع روايته ويبطلها
فاما اعتراضه على قولنا ان اطلاق الميراث لا يكون الا في الاموال بقوله تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وقولهم ما ورث الابناء من الاباء شيئا افضل من ادب
حسن وقولهم العلماء ورثة الانبياء فعجيب لان كل ما ذكر مقيد غير مطلق وانما قلنا
ان اطلاق لفظ الميراث من غير قرينة ولا تقييد يفيد بظاهره ميراث الاموال فبعد ما ذكره
وعارض به لا يخفى على متأمل فاما استدلاله على ان سليمان ورث داود علمه دون
ماله بقوله يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
وان المراد انه ورث العلم والفضل والا لم يكن لهذا القول تعلق بالاول فليس بشيء يعول
عليه لانه لا يمتنع ان يريد انه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا المعنى من الاستدلال فليس
يجب اذا دلت الدلالة في بعض الالفاظ على معنى المجاز ان نقتصر بها عليه بل يجب ان نحملها على
الحقيقة التي هي الاصل اذا لم يمنع من ذلك مانع على انه لا يمتنع ان يريد ميراث المال خاصة ثم يقول انا
علمنا مع ذلك منطق الطير ويشير بالفضل المبين الى العلم والمال جميعا فله الامرين جميعا فضل
على من لم يكن عليهما وقوله واوتينا من كل شيء يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص
لما ظنه واما قوله في قصة زكريا انه خاف على العلم ان يندرس لان الانبياء لا يحرصون على الاموال
وانما خاف ان يضيع العلم فسال الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه فقد بينا ان الانبياء
وان كانوا لا يحرصون على الاموال ولا يبخلون بها فانهم يجتهدون في منع المفسدين من الاستعانة
بها على الفساد ولا يعد ذلك حرصا ولا بخلا بل فضلا ودينا وليس يجوز من زكريا ان
يخاف على العلم الاندراس والضياع لانه يعلم ان حكمة الله تعالى تقتضي حفظ العلم الذي هو
الحجة على العباد وبه تنزاح عللهم في مصالحهم فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله فان قيل
فهبوا ان الامر كما ذكرتم من ان زكريا كان يخاف على العلم ان لا يندرس الشرع لانه ان
يكون مجوزا ان يحفظه الله تعالى بمن هو من اهله واقاربه كما يجوز حفظه بغرباء فما
انكرتم الان يكون خوفه انما كان من بني عمه الا يتعلموا العلم ولا يقوموا فيه مقامه
فسال الله تعالى ولدا يجمع فيه هذه العلوم حتى لا يخرج العلم عن بيته ويتعدى الى غير قومه
فيلحقه بذلك وصمة قلنا اما اذا رتب السؤال هذا الترتيب فالجواب عنه ما اجبنا
به صاحب الكتاب وهو ان الخوف الذي اشار اليه ليس من ضرر ديني وانما هو من ضرر
دنياوي والانبياء عليهم السلام انما بعثوا لتحمل المضار الدنياوية ومنازلهم في الثواب
انما زادت على كل المنازل لهذا الوجه ومن كانت حاله هذه الحال فالظاهر من خوفه
اذا لم نعلم وجهه بعينه ان يكون محمولا على مضار الدين لانها هي جهة خوفهم والغرض
في بعثتهم تحمل ما سواها من المضار فاذا قال النبي انا خائف ولم نعلم جهة خوفه على التفصيل
يجب ان نصرف خوفه بالظاهر الى مضار الدين دون الدنيا لان احوالهم وبعثتهم تقتضي ذلك
فاذا كنا لو اعتبرنا من بعض الزهاد في الدنيا والمتعففين عن منافعها والرغبة
في الاخرة والتفرد بالعمل لها لكنا نحمل ما يظهر لنا من خوفه الذي لا نعلم وجهه بعينه
على ما هو اشبه والليق بحاله ونصرفه الى الاخرة دون الدنيا واذا كان هذا واجبا
في زكريا فهو في الانبياء عليهم السلام اوجب قلت ينبغي ان لا يقول المعترض
فيلحقه بذلك وصمة فيجعل الخوف من هذا الوجه بل يقول انه خاف ان لا يتعلموا علمه ولا يعملوا

العلم

العلم لما راى من الامارات الدالة على ذلك فالجواب على هذا الترتيب يتعلق بامر ديني لا دنيوي
فسال الله تعالى ان يرزقه ولدا يرث عنه اي يكون عالما بما يرث نبيا كما ابوه عالم وهذا الوجه
يتعلق ايضا بامر ديني لا دنيوي وعلى هذا يندفع ما ذكره المرتضى على انه لا يجوز اطلاق القول بان
الانبياء بعثوا لتحمل المضار الدنياوية ولا القول بان الغرض في بعثتهم تحمل ما سوى المضار
الدينية من المضار الدنيوية فانهم ما بعثوا لذلك ولا الغرض في بعثتهم ذلك وانما بعثوا لامر اخر
وقد يحصل المضار في اداء الشرع ضمنا وتبعا لا على انها الغرض ولا داخلة في الغرض وعلى ان قول
المرتضى لا يجوز ان يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره لانه محفوظ من الله تعالى فكيف يخاف ما
لا يخاف من مثله غير مستقيم على اصوله لان المكلفين الان قد حرموا نعمة الامام عند الطائفة
كيف الوصول اليها الشرع كالحدود وصلوة الجمعة والاعياد وهو واصحابه يقولون في ذلك
ان اللوم على المكلفين لانهم حرموا انفسهم اللطف فهلا جاز ان يخاف زكريا من تبديل الدين وتغيير
وافساد الاحكام الشرعية لانه انما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول الى المكلفين فاذا افسدوا هم
الاديان وبدلوها لم يجب عليه ان يحفظها عليهم لانهم الذين حرموا انفسهم اللطف واعلم انه قد
قرئ واني خفت الموالي من وراي وقيل انها قراءة زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر
وعمار بن عمار وقروه على وجه احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي ويتعدى اي قلت
الموالي وعجزوا عن اقامة امر الدين يقال خف بنو فلان اي قل عددهم فسال زكريا ربه تقويتهم
ومظاهرتهم بولي يرزقه وثانيهما ان يكون وراي بمعنى قدامي اي خاف الموالي والماجين من
ودرجوا وانقرضوا ولم يبق منهم من به اعتضاد وعلى هذه القراءة لا يتعلق بلفظ الخوف وقد
قرئ يوم ولد واني خفت الموالي اي خفت الذين يلون الامر من بعدي لان الموالي يستعمل في
الوالي وجمعه موال اي خفت الذين يلون امري ورويناه بعد موتي سيا من الدين فارزقني
ولدا اسمه عليه بالنبوة والعلم كما انعمت علي واجعله محفوظا به وهذا التاويل غير منكر
وفيه ايضا دفع لكلام المرتضى قال فاما تعلق صاحب الكتاب في ان الميراث محمول على العلم
بقوله ويرث من ال يعقوب لانه لا يرث من ال يعقوب اموالهم في الحقيقة وانما يرث ذلك غيره
فبعيد من الصواب لان ولد زكريا يرث بالقرابة من ال يعقوب اموالهم على انه لم يقل
يرث ال يعقوب بل قال يرث من ال يعقوب منبها بذلك على انه يرث من كان احق بالفرايد
فاما طعنه على من تاول الخبر بانه عليه السلام لا يورث ما تركه للصدقة بقوله ان احدا
من الصحابة لم يتاوله على هذا الوجه فهذا التاويل الذي ذكرناه احد ما قاله اصحابنا في هذا
الخبر من انه اجماع الصحابة على خلافه وان احدا لم يتاوله على هذا الوجه فان قال لو كان
ذلك لظهر واشتهر ولو وقف ابو بكر عليه فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقة على هذا
المعنى ما فيه كفاية قلت لم يكن كل التوفر على يوم حضور فاطمة عليها السلام ويعرفها
لاني يكون ما قالت يوم تفقد وحوش وكيف يكون يوم يغنم وهي بعونه وهو الحاكم بانه في
محافد اين ابيك ولا ارث ابي ويقول ايضا لقد جئت شيئا فريا فكان يقتضي اذا لم يورث من
الموسى عليه السلام ان يبعد لا ان يكون معنى الخبر ان تعلم فاطمة عليها السلام بعلمه فقوله
لاني يكون انه غالط فيما ظننت انما قال ان ما تركناه صدقة فانه لا يورث واعلم ان هذا التاويل
يكون مدفوعا بالصورة لان من نظر في الاحاديث التي ذكرناها وما جرت عليه الحال يعلم
بطلانه علما قطعيا قال المرتضى وقوله انه لا يكون في ذلك تخصيص للانبياء ولا مزية

ليس بصحيح وقد قيل في الجواب في هذا انه صلى الله عليه يجوز ان يريد ان ما نوى فيه الصدقة
ويعزله لها من غير ان يخرجه عن يده انا لا نورثه وهذا تخصيص للانبيا ومن بعده ظاهر قلت
وهذه مخالفة لظاهر الكلام واحالة اللفظ عن وضعه وبين قوله ما نوى فيه الصدقة وهو بعد
مملكا ليس بموروث فرق عظيم ولا يجوز ان يراد احد المعنيين دون الاخر للمعنى الاخر
الا بالنص ويمكنه ايضا فان العلماء ذكروا خصائص الرسول عليه في الشرع عن امته وعدوها
نحو حل الزيادة في النكاح على اربع ونحو النكاح بلفظ الهبة على قول فرقة من المسلمين
ونحو تحريم اكل البصل والثوم عليه واباحة شرب دمه ولم يذكروا في خصائصه انه اذا كان قد
نوى ان يتصدق بشي فانه لا يناله ورثته لو قدرنا انه يورث الاموال ولا الشرعة بل
المعروف خلاف ذلك ولان اسناده وكان مركبهم وهو مسبوق باجماع طائفة عليه واجماعهم
عندنا قال المرتضى واما قوله عليه السلام ما تركنا صدقة محمول من الكلام مستقلة صحيح
اذا كانت ما في موضع على الابتدا ولم يكن منصوبة لوقوع الفعل عليها وكانت لفظة صدقة
مرفوعة غير منصوبة وفي هذا وقع النزاع فكيف يدعي انها جملة مستقلة بنفسها والاولى
ما يمكن ان يذكر ان نقول الرواية جاءت في لفظة صدقة بالرفع وعلى ما قالوا ولنحو لا يمكن
الا منصوبة والجواب عن ذلك انا لا نسلم الرواية بالرفع ولم تجر عادة الرواة بضبط
ما جرى هذا المجرى من الاعراب والاشتباه يقع في مثله فمن حفظ منهم وصرح بالرواية
بالرفع يجوز ان يشتبه عليه فظنها مرفوعة وهي منصوبة قلت وهذا ايضا خلاف
الظاهر وفتح الباب فيه يودي الى فساد الاحتجاج بكثير من الاخبار قال فاما حكايته عن ابي علي
ان ابا بكر لم يدفع الى امير المومنين السيف والبغلة والعمامة على جهة الارث وقوله
كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه وتخصيصه بذلك دون العم الذي هو العصبة فمن زاد
على التعجب ومما يعجب منه ايضا ولم يثبت عصمة ابي بكر فينفي عن افعاله التناقض قلت
لا اشك احد في ان ابا بكر كان عاقلا وانه لا يتناقض في العمل في يوم واحد لا يدفع فاطمة
عن الارث ويقول ان اباك قال لي اني لا اورث ثم يورث في ذلك اليوم شخصا اخر من مال ذلك
المتوفى الذي حكى عنه انه لا يورث وليس انتفاء هذا التناقض عن افعاله موقوف على
العصمة بل على العقل قال المرتضى وقوله يجوز ان النبي صلى الله عليه وسلم نحله اياها
وتركه ابو بكر في يده لمكان ذلك من تقوية الدين وتصدق ببدله وكل ما ذكره جائز الا انه قد كان
يجب ان يظهر اسباب النحلة والشهادة بها والحجة عليها ولم يظهر من ذلك شي فنعرفه ومن
العجائب ان تدعي فاطمة فدك نحلة وتستشهد على قولها امير المومنين عليه السلام وغيره فلا
يصغى الى قولها ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد امير المومنين على سبيل النحلة بغير بينة
ظهرت ولا شهادة قامت قلت لعل ابا بكر سمع الرسول صلى الله عليه ينحل ذلك عليا عليه السلام
فلذلك لم يحتج الى البينة والشهادة فقد روي انه اعطاه خاتمه وسيفه في مرضه وابو بكر حاضر واما
البغلة فقد كان نحله اياها في حجة الوداع على ما وردت به الرواية واما العمامة فسلب الميت
وكذلك القميص والحجزة والحذاء والعادة ان ياخذ ذلك ولد الميت لا ينازع فيه لانه خارج او
كالخارج عن التركة فلما غسل عليه السلام اخذ ابنه ثيابه التي مات فيها وهذه عادة الناس
على ما ذكرنا في الفصل الاول ثم دفع اليه الة النبي صلى الله عليه وحذاه ودابته والظاهر
انه فعل ذلك اجتهادا لمصلحة راها وللامام ان يفعل ذلك قال المرتضى

وعلى

وعلى انه كان يجب على ابي بكر ان يبين ذلك ويذكر وجهه بعينه لما نازع العباس فيه فلا وقت لذكر الوجه
في ذلك اولى من هذا الوقت قلت لم ينازع العباس في ايام ابي بكر لا في البغلة والعمامة وغيرها
ولا في غير ذلك وانما نازع عليا في ايام عمر رحمه الله وقد ذكرنا كيفية وفيما اذا كان قال المرتضى
والقول في البردة والقضيب اذا كان نحلا او على الوجه الاخر يجري مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور
والاشتهار ولسنا نرى اصحابنا يعني المعتزلة يطالبون انفسهم في هذه المواضع بما يطالبونا
بمثله اذا ادعينا وجوها واسبابا وعللا مجوزة لانهم يقنعون منا بما يجوز ويمكن بل يوجبون
فيما ندعيه الظهور والاشتهار واذا كان هذا عليهم يسوغ افتنا سوى [illegible] واما القضيب والسيف
الذي كان علي عليه السلام في موضعه فليس بذي الفقار بل هو سيف اخر واما البردة فانه
وهبها لكعب بن زهير ثم صار هذا السيف وهذه البردة الى الخلفاء بعد سنين كثيرة يدعون في كتب
التواريخ قال المرتضى فاما قوله ان ازواج النبي صلى الله عليه انما طلبن الميراث لانهن لم يعرفن
رواية ابي بكر للخبر وكذلك انما نازع علي عليه السلام بعد موت فاطمة في الميراث لهذا الوجه فمن
اقبح ما يقال في هذا الباب وابعد عن الصواب وكيف لا يعرف امير المومنين عليه السلام رواية ابي
بكر وبها دفعت زوجته عن الميراث وهل مثل ذلك المقام الذي قامته وما رواه ابو بكر
في دفعها يخفى على من هو في اقاصي البلاد فضلا عمن هو في البلد المدينة حاضر شاهد يراعي الاخبار
ويعنى بها هذا ان هذا الخروج والمكابرة عن الحد وكيف يخفى على الازواج ذلك حتى يطلبنه مرة
بعد اخرى ويكون عثمان المرسل لهن والمطالب عنهن وعثمان على ما زعموا احد من شهد ان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يورث وقد سمع على كل حال ان بنت النبي عليه السلام لم تورث ماله
ولا بد ان يكون سال عن السبب في دفعها عنه فذكر لها الخبر فكيف يقال انهن لم يعرفنه قلت
الصحيح ان امير المومنين عليه السلام لم ينازع بعد موت فاطمة في الميراث وانما نازع في الولاية
لفدك وغيرها من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرى بينه وبين العباس رحمه الله في ذلك
ما هو مشهور واما ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فما ثبت انهن نازعن في ميراثه ولا ان عثمان
كان المرسل لهن والمطالب عنهن الا في رواية شاذة والازواج لما علمن ان فاطمة قد دفعت عن
الميراث امسكن ولم يكن قد نازعن وانما اكتفين بغيرهن وحديث فدك وحضور فاطمة عليها
السلام عند ابي بكر كان بعد عشرة ايام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه لم ينطق
احد بعد ذلك من الناس من ذكر او انثى بعد عود فاطمة من ذلك المجلس بكلمة واحدة في معنى
الميراث قال المرتضى فان قيل فاذا كان ابو بكر رحمه الله قد حكم بالخطا في دفع
فاطمة عليها السلام عن الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه فما بال الامة اقرته على هذا الحكم ولم
تنكر عليه وفي رضاها وامساكها دليل على صوابه قلنا قد مضى ان ترك النكير لا يكون دليل
الرضا الا في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضى وذكرنا في ذلك قولا شافيا وقد
اجاب ابو عثمان الجاحظ في كتابه العباسية عن هذا السؤال جوابا جيد المعنى واللفظ ونحن نذكره
على وجهه لتقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها قلت ما كان المرتضى
رحمه الله في غير هذا الموضع اصلا ابالنا تحفظا عليه وكتابه في هذا الموضع وتشاد قوله لانه
موقوف عن صنعة فسبحان الله قال ابو عثمان وقد زعم ناس ان الدليل على صدقهما ومدحهما
يعني ابا بكر وعمر في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
النكير عليهما ثم قال فيقال لهم لئن كان ترك النكير دليلا على صدقهما ان ترك التكبير على المتظلمين

منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليل على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم ولا سيما وقد
طالت المناجاة وكثرت المراجعة والملاحاة وظهرت الشكية واشتدت الموجدة وقد بلغ ذلك
فاطمة عليها السلام حتى أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر وعمر ولقد كانت قالت له حين أتته طالبة
حقها ومحتجة لرهطها من يرثك يا أبا بكر إذا مت قال أهلي وولدي قالت فما لنا لا نرث
النبي صلى الله عليه فلما منعها ميراثها وبخسها حقها واعتل عليها وجلح في أمرها وعاينت التهضم
وأيست من النزوع ووجدت من الضعف وقلة الناصر قالت والله لأدعون الله عليك قال والله
لأدعون الله لك قالت والله لا أكلمك أبدا قال والله لا أهجرك أبدا فإن يكن ترك النكير على
أبي بكر دليلا على صواب منعها ففي ترك النكير على فاطمة دليل على صواب طلبها وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت وتذكيرها ما نسيت
وصرفها عن الخطأ ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجرا أو تجور عادلا أو تقطع واصلا فإذا لم تجدهم
أنكروا على الخصمين جميعا فقد تكافأت الأمور واستوت الأسباب والرجوع إلى أصل حكم
الله في المواريث أولى بنا وبكم وأوجب علينا وعليكم ثم قال فإن قالوا كيف تظن به ظلمها
والتعدي عليها وكلما ازدادت عليه غلظة ازداد لها لينا ورقة حيث تقول له والله لا أكلمك
أبدا فيقول والله لا أهجرك أبدا ثم تقول والله لأدعون الله عليك فيقول والله لأدعون الله لك
ثم يحتمل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة
مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذرا
ومتقربا كلام المعظم لحقها المكبر لمقامها والصائن لوجهها المتحنن عليها ما أحد أعز علي منك
فقرا ولا أحب إلي منك غنى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنا معاشر الأنبياء
لا نورث ما تركناه فهو صدقة قيل لهم ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسلامة من
الجور وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريبا وللخصومة معتادا أن يظهر كلام المظلوم
وذلة المنتصف وحدب الوامق ومقة المحق وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة
وقد زعمتم أن عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهد رسول الله متعة النساء ومتعة الحج أنا أنهى
عنهما وأعاقب عليهما فما وجدتم أحدا أنكر عليه قوله ولا استشنع مخرج نهيه ولا خطأه في
معناه ولا تعجب منه ولا استفهمه وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة
وبعد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش ثم قال في شكاته لو كان سالم حيا ما
تخالجني فيه شك حين أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شورى وسالم
عبد لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر ولا قابل إنسان
بين قوليه ولا تعجب منه وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلا على صدق قوله وصواب عمله فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي والقتل والاستحياء
والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفي ولا دلالة تضيء وقال آخرون بل الدليل على صدق
قولهما وصواب عملهما إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر
من جحد التنزيل ورد النصوص ولو كانا كما يقولون وما يصفون ما كان سبيل الأمة فيهما إلا كسبيلهم فيه
وعثمان كان أعز نفرا وأشرف رهطا وأكثر عددا وثروة وأقوى عدة قلنا إنهما لم يجحدا
التنزيل ولم ينكرا النصوص ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا
رواية وتحدثا بحديث لم يكن محالا كونه ولا ممتنعا في حجج العقول مجيئه فشهد لهما عليه من علته
مثل علتهما فيه ولعل بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلا في رهطه مأمونا في ظاهره
ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة ولا جرت عليه غدرة فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن

وتعديل

وتعديل الشاهد ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج والذي يقطع بشهادته على الغيب وكان ذلك
شبهة على أكثرهم فلذلك قل النكير وتواكل الناس واشتبه الأمر فصار لا يتخلص إلى معرفة حق
ذلك من باطله إلا العالم المتقدم أو المؤيد المرشد ولأنه لم يكن لعثمان في صدور العوام وقلوب
السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة ولأنهما كانا أقل استئثارا بالفيء وأقل تفكها بمال
الله منه ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم ولم يستأثر بخراجهم ولم يعطل
ثغورهم ولأن الذي صنع أبو بكر من منع العترة حظها والعمومة ميراثها قد كان موافقا لجلة قريش
ولكبراء العرب ولأن عثمان أيضا كان مضعوفا في نفسه مستخفا بقدره لا يمنع ضيما ولا يقمع عدوا
ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والنكير لأمور لو أتى أضعافها عمر
لما اجترؤوا على اغتيابه فضلا عن مبادأته والإغراء به ومواجهته كما أغلظ عيينة بن حصن له
فقال له أما إنه لو كان عمر لقمعك ومنعك فقال عيينة إن عمر كان خيرا لي منك أرهبني فأتقاني ثم قال والعجب
أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يرد كل صنف منهم
من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب إسنادا وأصح رجالا وأحسن اتصالا حتى إذا صاروا
إلى القول في ميراث النبي صلى الله عليه نسخوا الكتاب وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردوه وأكذبوا
قائليه وذلك أن كل إنسان منهم يجري إلى هواه ويصدق ما وافق رضاه هذا آخر كلام الجاحظ ثم
قال المرتضى فإن قيل ليس ما عارضتم به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير وقوله
كما لم ينكروا على أبي بكر فلم ينكروا أيضا على فاطمة ولا على غيرها من الطالبين بالميراث كالأزواج
وغيرهن معارضة صحيحة وذلك أن نكير أبي بكر ذلك ودفعها والاحتجاج عليها يكفيهم ويغنيهم
عن تكلف نكير آخر ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره قلنا
أول ما يبطل هذا احتجاجها من التظلم والتألم والتعنيف والتبكيت وقولها على ما روي والله
لأدعون الله عليك ولا أكلمك أبدا وما جرى هذا المجرى فقد كان يجب أن ينكر عليها غيره من المنكرين
الغضب على المنصف وبعد فإن كان إنكار أبي بكر مقنعا ومغنيا عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار
فاطمة حكمه ومقامها على التظلم منه يغني عن نكير غيرها وهذا واضح

الفصل الثالث

في أن فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها السلام أم لا نذكر
في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة رحمهما الله في المغني وما اعترض به عليه
ثم نذكر ما عندنا في ذلك قال المرتضى حاكيا عن قاضي القضاة ومما عظمت الشيعة القول فيه
أمر فدك قالوا وقد روى أبو سعيد الخدري أنه لما أنزلت وآت ذا القربى حقه أعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام فدك ثم فعل عمر بن عبد العزيز مثل ذلك وردها على ولدها
قالوا ولا شك أن أبا بكر أغضبها إن لم يصح كل الذي روي في هذا الباب وقد كان الأجمل بهم
التكرم مما ارتكبوا منها فضلا عن الذي تم وذكروا أنها استشهدت أمير المؤمنين عليه السلام وأم
أيمن فلم يقبل شهادتهما هذا مع تركه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجرهن ولم يجعلها صدقة
وصدقهن في ذلك أن ذلك لهن ولم يصدقها قال والجواب عن ذلك أن أكثر ما يروون في هذا الباب
غير صحيح ولسنا ننكر صحة ما روي من ادعائها عليها السلام فدك فأما أنها كانت في يدها
فغير مسلم بل لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها فإذا كانت في جملة التركة فالظاهر

ايضا من الله واذا كان كذلك صح جاز لابي بكر قبول دعواها لانه لا خلاف ان العمل على الدعوى
لا يجوز وانما يعمل على مثل ذلك اذا علمت صحته بمشاهدة او ما يجري مجراها او حصلت بينة او اقرار ثم
ذكر ان البينة لا بد منها وان امير المؤمنين عليه السلام لما خاصمه اليهودي حاكمه وان ام سلمة
التي يطبق على فضلها لو ادعت نحلا ما قبلت دعواها ثم قال ولو كان امير المؤمنين عليه السلام
يعلم صحة هذه الدعوى فالشرع يخالف ذلك وان علم انه ليس يحتمل البينة فهو الذي فعله ابو بكر
عمر وان قال واما قول ابي بكر رجل مع الرجل وامراة مع الامراة فهو الذي يوجبه الدين ولم يثبت
ان الشاهد في ذلك كان امير المؤمنين عليه السلام بل الرواية المنقولة انه شهد لها مولى لرسول
الله صلى الله عليه مع ام ايمن قال وليس لاحد ان يقول فلم اذا ادعت ولا بينة معها لانه لا يمتنع
ان يجوز ان يحكم ابو بكر بالشاهد واليمين او يجوز عند شهادة من شهد لها ان يتذكر فيشهد وهذا احق
الواجب على ملتمس الحق فلا عتب عليها في ذلك ولا على ابي بكر في التماس البينة وان لم يحكم لها
لما لم يتم ولم يكن هناك خصم لان التركة صدقة على ما ذكرناه وكان لا يمكن ان يعول في ذلك على
علمه فكيف يكون ذلك طعنا في الامر الا ما فعله قال وقد انكر ابو علي ما قاله السائل من انها لما ردت
في دعوى النحلة ادعته ارثا قال بل كانت طلبت الارث قبل ذلك فلما سمعت منه الخبر كفت وادعت
النحلة قال فاما فعل عمر بن عبد العزيز فلم يثبت انه رده على سبيل النحلة بل عمل في ذلك ما عمله
عمر بن الخطاب بان اقره في يد امير المؤمنين عليه السلام ليصرف غلاتها في المواضع التي كان يجعلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقام بذلك مدة ثم ردها الى عمر في اخر سنيه وكذلك فعل عمر
بن عبد العزيز ولو ثبت انه فعل بخلاف ما فعله السلف لكان هو المحجوج بفعلهم وقولهم واحد ما
يقوي ما ذكرناه ان الامر لما انتهى الى امير المؤمنين عليه السلام ترك فدك على ما كان ولم يجعله
ميراثا لولد فاطمة عليها السلام وهذا يبين ان الشاهد كان غيره لانه لو كان هو الشاهد لكان
الاقرب ان يحكم بعلمه على ان الناس اختلفوا في الهبة اذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد
وعند بعضهم انها اذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها فلا يمتنع من هذا الوجه ان يمتنع امير
المؤمنين عليه السلام من ردها وان صح عقد الهبة وهذا هو الظاهر لان التسليم لو كان وقع
لظهر انه كان في يدها فكان ذلك كافيا في الاستحقاق فاما حجر ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فانما تركت في ايديهن لانها كانت لهن ونص الكتاب يشهد بذلك وهو قوله
تعالى وقرن في بيوتكن وروي في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم ما كان له من الحجر على نسائه
وبناته ويبين صحة ذلك انه لو كان ميراثا او صدقة لكان امير المؤمنين عليه السلام لما افضى
الامر اليه يغيره قال وليس لاحد ان يقول انما لم يغير ذلك لان الملك قد صار له فتبرع به وذلك
ان الذي يحصل له ليس الا ربع ميراث فاطمة عليها السلام وهو الثمن من ميراث رسول الله صلى الله
عليه فقد كان يجب ان ينصف اولاد العباس واولاد فاطمة منهن في باب الحجر ويأخذ الحق منهن
وتركه ذلك يدل على صحة ما قلناه وليس يمكنهم بعد ذلك الا التعلق بالتقية وقد سبق
الكلام فيها قال ومما ذكروه ان فاطمة عليها السلام لغضبها على ابي بكر وعمر اوصت
ان لا يصليا عليها وان تدفن سرا منهما فدفنت ليلا وهذا كما ادعوا من رواية رووها
عن جعفر بن محمد وغيره ان عمر ضرب فاطمة بالسوط وضرب الزبير بالسيف وان عمر قصد
منزلها وفيه علي والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلف عن ابي بكر وهم مجتمعون هناك فقال لها
ما احد بعد ابيك احب الينا منك وايم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم فمنعت

العوم

القوم من الاجتماع قال ونحن لا نصدق هذه الروايات ولا نجوزها واما امر الصلاة
فقد روي ان ابا بكر هو الذي صلى على فاطمة وكبر عليها اربعا وهذا احد ما استدل به
كثير من الفقهاء في التكبير على الميت ولا يصح ايضا انها دفنت ليلا وان صح ذلك فقد دفن
رسول الله ليلا ودفن عمر ابنه ليلا وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه يدفنون بالليل
فما في هذا ما يطعن به بل الاقرب في النساء ان دفنهن ليلا استر واولى بالسنة ثم حكى
عن ابي علي تكذيب ما روي من الضرب بالسوط قال والمروي عن جعفر بن محمد انه كان يتولاهما
ويأتي القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله صلى الله عليه روى ذلك عباد بن صهيب وشعبة
بن الحجاج ومهدي بن هلال والدراوردي وغيرهم وقد روي عن ابيه محمد بن علي وعن علي
بن الحسين مثل ذلك فكيف يصح ما ادعوه وهل هذه الرواية الا كروايتهم ان علي بن ابي طالب
هو اسرافيل والحسن ميكائيل والحسين جبرائيل وفاطمة ملك الموت وامنة ام النبي صلى
الله عليه وسلم القدر فان صدقوا ذلك ايضا قيل لهم فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب
ملك الموت وان قالوا لا نصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات وصح انه لا
يجوز التعويل على هذا الخبر وانما يتعلق بذلك من غرضه الالحاد كالوراق وابن الراوندي
لان غرضهم القدح في الاسلام وحكي عن ابي علي انه قال ولم صار غضبها لو ثبت كانه غضب
لرسول الله صلى الله عليه من حيث قال من اغضبها فقد اغضبني باولى من ان يقال من اغضب
ابا بكر وعمر فقد نافق وفارق الدين لانه روي عنه عليه السلام انه قال حب ابي بكر وعمر
ايمان وبغضهما نفاق ومن يورد مثل هذا فقصده الطعن في الاسلام وان يتوهم
الناس ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نافقوا مع مشاهدة الاعلام ليضعفوا دلالة العلم
في النفوس قال واما حديث الاحراق فلو صح لم يكن طعنا على عمر لان له ان يهدد
من امتنع من المبايعة ارادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت انتهى كلام قاضي القضاة رحمه
قال المرتضى نحن نبتدي فندل على ان فاطمة عليها السلام ما ادعت من نحلة فدك الا
ما كانت مصيبة فيه وان مانعها ومطالبها بالبينة متعنت عادل عن الصواب لانها لا
تحتاج الى شهادة وبينة ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل فنتكلم عليه اما الذي يدل على
ما ذكرناه فهو انها كانت معصومة من الغلط مامونا منها فعل القبيح ومن هذه صفته
لا يحتاج فيما يدعيه الى شهادة وبينة فان قيل دلوا على الامرين قلنا بيان الاول قوله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والاية تتناول
جماعة منهم فاطمة بما تواترت الاخبار في ذلك والارادة ههنا دلالة على وقوع الفعل
المراد وايضا فيدل على ذلك قوله عليه السلام فاطمة بضعة مني من اذاها فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله عز وجل وهذا يدل على عصمتها لانها لو كانت ممن يقارف الذنوب
لم يكن مؤذيها مؤذيا له على كل حال بل كان من فعل المستحق من ذمها واقامة الحد عليها
ان كان الفعل يقتضيه سارا له ومطيعا على انا لا نحتاج الى ان ننبه في هذا الموضع على الدلالة
على عصمتها بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين لان احدا
لا يشك انها لم تدع ما ادعته كاذبة وليس بعد الا ان تكون صادقة وانما اختلفوا في هل يجب مع العلم
بصدقها تسليم ما ادعته وهذا الخلاف فيه بين المسلمين لا احد لا يشك انها لم تدع
ما ادعته بغير بينة ام لا يجب ذلك والذي يدل على الفصل الثاني ان البينة انما تراد ليغلب

في الظن صدق المدعي ألا ترى أن العدالة معتبرة في الشهادات لما كانت مؤثرة في غلبة الظن لما ذكرناه
ولهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة لأن علمه أقوى من الشهادة ولهذا كان الإقرار أقوى
من البينة من حيث كان أغلب في باب غلبة الظن وإذا قدم الإقرار على الشهادة لقوة الظن عنه فأولى
أن يقدم العلم على الجميع وإذا لم يحتج مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوي فلا
يحتاج أيضاً مع العلم إلى ما يؤثر الظن من البينات والشهادات والذي يدل على صحة ما ذكرناه
أيضاً أنه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً نازع النبي صلى الله عليه وآله في ناقة فقال عليه السلام
هذه لي وقد خرجت إليك من ثمنها فقال الأعرابي من يشهد لك بذلك فقال خزيمة بن ثابت
أنا أشهد بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أين علمت أحضرت ذلك قال لا ولكن علمت
ذلك من حيث علمت أنك رسول الله فقال قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين فسمي ذا الشهادتين
وهذه القصة مشبهة لقصة فاطمة عليها السلام لأن خزيمة اكتفى في العلم بأن الناقة للنبي صلى الله
عليه وسلم وشهد بذلك من حيث علم أنه رسول الله ولا يقول إلا حقاً وأمضى النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك من حيث لم يحضر الابتياع وتسليم الثمن فقد كان يجب على من علم أن فاطمة لا تقول
إلا حقاً أن لا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بينة هذا وقد روي أن أبا بكر لما شهد لها
أمير المؤمنين كتب بتسليم فدك إليها فاعترض عمر قضيته وخرق ما كتبه روى إبراهيم بن
سعيد الثقفي عن إبراهيم بن ميمون قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه
عن جده عن علي عليه السلام قال جاءت فاطمة إلى أبي بكر وقالت إن أبي أعطاني فدك
وعلي يشهد لي وأم أيمن فقال ما كنت لتقولي على أبيك إلا الحق قد أعطيتكها ودعا بصحيفة
من أدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر فقال من أين جئت يا فاطمة قالت جئت من عند أبي بكر
أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك وأن علياً وأم أيمن يشهدان لي
بذلك فأعطانيها وكتب لي بها فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبي بكر فقال
أعطيت فاطمة فدك وكتبت بها لها قال نعم فقال إن علياً يجر إلى نفسه وأم أيمن
امرأة وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه وقد روي هذا المعنى من طرق مختلفة على وجوه
مختلفة فمن أراد الوقوف عليها واستقصاها أخذها من مواضعها وليس لهم أن يقولوا إنها
أخبار آحاد لأنها وإن كانت كذلك فأقل أحوالها أن توجب الظن وتمنع من القطع على خلاف
معناها وليس لهم أن يقولوا كيف يسلم إليها فدك وهو يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم
أن ما خلفه صدقة وذلك أنه لا تنافي بين الأمرين لأنه إنما سلمها على ما وردت به الرواية
على سبيل النحل فلما وقعت المطالبة بالميراث روى الخبر في معنى الميراث فلا اختلاف بين الأمرين
وأما إنكار صاحب الكتاب لكون فدك في يدها فما رأيناه اعتمد في إنكاره ذلك على حجة بل
قال لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنها لها فالأمر على ما قال فمن أين أنه لم يخرج عن يدها
على وجه يقتضي الظاهر خلافه وقد روي من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الذي ذكره صاحب
الكتاب أنه لما نزل قوله تعالى وآت ذا القربى حقه دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة
فأعطاها فدك وإذا كان ذلك مروياً فلا معنى لدفعه بغير حجة وقوله إن الخلاف
أن العمل على الدعوى لا يجوز صحيح وقد بينا أن قولها كان معلوماً صحته وإنما يعمل على
ذلك متى علمت بشهادة أو ما يجري مجرى الشهادة أو حصل عنه إقرار فيقال له إنما علم
بشاهد فلم يكن هناك وأما بينة فقد كانت على الخصم لأن شهادة أمير المؤمنين

من

من كل النساء وأعدلها ولكن على مذهبك أنه لم يكن هناك بينة ممن زعمت أنه لم يكن
هناك علم وإن لم يكن غير ما هناك فقد دخل ذلك في جملة الأقسام فإن قال إنه لها محمودة
لا تكون حجة للعلم قيل له لم قلت ذلك أو ليس قد دللنا على أنها معصومة وأن
الخطأ مأمون عليها ثم لو لم تكن كذلك لكان قولها في تلك القصة معلوماً صحته على
كل حال لأنها لو لم تكن محقة لكانت مبطلة عاصية فيما ادعته إذ الشبهة لا تدخل في
مثله وقد أجمعت الأمة على أنها لم يظهر منها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم معصية بلا شك
وارتياب بل أجمعوا على أنها لم تدع إلا الصحيح وإن اختلفوا فمن قائل يقول مانعها مخطئ وآخر
يقول هو أيضاً مصيب لفقد البينة وإن علم صدقها فأما قوله إنه عليه السلام لو حاكم غيره
لطولب بالبينة فقد تقدم في هذا ما يكفي وقصة خزيمة بن ثابت وقبول شهادته تبطل
هذا الكلام وأما قوله إن أمير المؤمنين عليه السلام حاكم يهودياً على الوجه الواجب في سائر الناس
فقد روي ذلك إلا أن أمير المؤمنين لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه أن يفعله وإنما تبرع
به واستظهر بإقامة الحجة فيه وقد أخطأ من طالبه ببينة كائناً من كان فأما اعتراضه بالسلم
فلم يثبت من عصمته ما ثبت من عصمة فاطمة فلذلك احتاج في دعواه إلى بينة فأما
إنكاره أن يكون الحسن والحسين شهدا في ذلك وكان أمير المؤمنين عليهم فلم يزد في ذلك على
مجرد الإنكار والأخبار مستفيضة بأنهما شهدا لها ودفع ذلك بالزجر لا يغني شيئاً
وقوله إن الشاهد لها مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنكر الذي ليس بمعروف
وأما قوله إنها جوزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين فطريف مع قوله فيما بعد إن التركة
صدقة ولا خصم فيها فتدخل اليمين في مثلها أفترى أن فاطمة عليها السلام لم تكن تعلم من
الشريعة هذا المقدار الذي نبه صاحب الكتاب عليه ولو لم تعلمه أما كان أمير المؤمنين
عليه السلام وهو أعلم الناس بالشرع يوقفها عليه وقوله إنها جوزت عند شهادة
من يشهد لها أن يذكر غيرهم فيشهد باطل لأن مثلها لا يتعرض للظنة والتهمة ويعرض قوله للرد
وقد كان يجب أن تعلم من يشهد لها ثم لا تشهد حتى تكون دعواها على الوجه الذي يجب معه
القبول والإمضاء ومن هو دونها في الرتبة والجلالة والصيانة من أفناء الناس لا
يتعرض لمثل هذه الخطة ويتورطها للتجويز الذي لا أصل له ولا أمارة عليه فأما إنكار أبي علي
لأن يكون النحل قبل ادعاء الميراث وعكسه الأمر فيه فأول ما فيه أنا لا نعرف له غرضاً صحيحاً
في إنكار ذلك لأن كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحح له مذهباً ولا يفسد على مخالفيه مذهباً
ثم إن الأمر في أن الكلام في النحل كان المتقدم ظاهر والروايات كلها به واردة وكيف يجوز أن
تبتدئ بطلب الميراث فيما تدعيه بعينه نحلاً أوليس هذا يوجب أن تكون قد طالبت بحقها من وجه
لا تستحقه منه مع الاختيار وكيف يجوز ذلك والميراث يشركها فيه غيرها والنحل تنفرد به
ولا ينقلب مثل ذلك علينا من حيث طالبت بالميراث بعد النحل لأنها في الابتداء طالبت بالنحل وهو
الوجه الذي يستحق فدك منه فلما دفعت عنه طالبت ضرورة بالميراث لأن للمدفوع عن حقه أن
يتوصل إلى تناوله بكل وجه وسبب وهذا بخلاف قول أبي علي لأنه ألزمها أن تدعي الحق
من وجه لا تستحقه منه وهي مختارة فأما إنكاره أن يكون عمر بن عبد العزيز رد فدك على وجه
النحل وادعاؤه أنه فعل في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام
ليصرف غلاتها في وجوهها فأول ما فيه أنا لا نحتج عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على

اي وجه وقع لان فعله ليس بحجة ولو اردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل
المأمون فانه رد فدك بعد ان جلس مجلسا مشهورا حكم فيه بين خصمين نصبهما احدهما
لفاطمة والاخر لابي بكر وردها بعد قيام الحجة ووضوح الامر ومع ذلك فانه قد انكر
من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين اهل النقل فيه وقد روى
محمد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن ابي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال لما ولي
عمر بن عبد العزيز رد فدك على ولد فاطمة وكتب الى واليه على المدينة ابي بكر بن عمرو بن حزم
يامره بذلك فكتب اليه ان فاطمة قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من ارد منهم
فكتب اليه اما بعد فاني لو كتبت اليك امرك بذبح شاة لكتبت الي اجما ام قرنا او
كتبت اليك بذبح بقرة لسالتني ما لونها فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة
من علي والسلام قال ابو المقدام فنقمت بنو امية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه
وقالوا له هجنت فعل الشيخين وخرج اليه عمر بن قيس في جماعة من اهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله
قال انكم جهلتم وعلمت ونسيتم وذكرت ان ابا بكر محمد بن حزم حدثني عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يسخطني ما اسخطها ويرضيني ما ارضاها
وان فدك كانت صافية على عهد ابي بكر وعمر ثم صار امرها الى مروان فوهبها لعبد العزيز ابي فورثتها
انا واخوتي فسالتهم ان يبيعوني حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت لي فرايت ان اردها
على ولد فاطمة قالوا فان ابيت الا هذا فامسك الاصل واقسم الغلة ففعل فاما ما ذكره
من ترك امير المؤمنين لها لما افضى الامر اليه واستدلاله بذلك على انه لم يكن الشاهد
فيها فالوجه في تركه عليه السلام رد فدك هو الوجه في اقراره احكام القوم وكفه
عن نقضها وتغييرها وقد بينا ذلك فيما سبق وذكرنا انه كان في انتهاء الامر اليه
في بقية من التقية قوية واما استدلاله على حجر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهن
بقوله تعالى وقرن في بيوتكن فمن عجيب الاستدلال لان هذه الاضافة لا تقتضي الملك بل
العادة جارية فيها ان تستعمل من جهة السكنى ولهذا يقال هذا بيت فلان ومسكنه ولا يراد
بذلك الملك وقد قال تعالى ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة ولا شبهة ان الله تعالى اراد منازل الرجال التي يسكنون فيها زوجاتهم ولم يرد
بهذه الاضافة الملك فاما ما رواه من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم حجره
على نسائه وبناته فمن اين له اذا كان هذا الخبر صحيحا ان هذه القسمة على وجه التمليك دون
الاسكان والانزال ولو كان ملكهن ذلك لوجب ان يكون ظاهرا مشهورا فاما الوجه في
ترك امير المؤمنين عليه السلام لما صار الامر اليه منازعة الازواج في هذه الحجر فهو ما تقدم
واما قوله ان ابا بكر هو الذي صلى على فاطمة وكبر اربعا فان كثيرا من الفقهاء يستدلون
به في التكبير على الميت فهو شيء ما سمع الا منه وان كان تلقاه عن غيره فممن يجري مجراه
في العصبية والا فالروايات المشهورة في كتب الاثار والسير خالية منه ولم يختلف اهل
النقل في ان عليا عليه السلام هو الذي صلى على فاطمة الا رواية شاذة نادرة وردت
بان العباس رحمه الله صلى عليها وقد روى الواقدي باسناده قال سالت ابن عباس متى دفنتم
فاطمة قال دفناها بليل بعد هدأة قال قلت فمن صلى عليها قال علي وروى
الطبري عن الحرث بن ابي اسامة عن المدائني عن ابي زكريا العجلاني ان فاطمة عليها السلام

عمل

عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت اليه وقالت سترتموني ستركم الله قال ابو جعفر محمد بن جرير
والثبت في ذلك عندنا ان فاطمة دفنت ليلا ولم يحضرها الا علي والعباس والمقداد والزبير
وروى القاضي ابو بكر احمد بن كامل باسناده في تاريخه عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير
ان عائشة اخبرته ان فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فلما توفيت
دفنها علي ليلا وصلى عليها وذكر في كتابه هذا ان عليا والحسن والحسين عليهم السلام
دفنوها ليلا وغيبوا قبرها وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن محمد بن
الحنفية ان فاطمة دفنت ليلا وروى عبد الله بن ابي شيبة عن يحيى بن سعيد العطار عن معمر عن الزهري
مثل ذلك وقال البلاذري في تاريخه ان فاطمة لم تر متبسمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه
ولم يعلم ابو بكر وعمر بموتها والامر في هذا اوضح واشهر من ان نطنب في الاستشهاد عليه ونذكر
الروايات فيه فاما قوله ودفنت ليلا وان صح فقد دفن فلان وفلان ليلا فقد بينا ان دفنها ليلا
في الصحة اظهر من الشمس وان منكر ذلك كالدافع للمشاهدات ولم يجعل دفنها ليلا بمجرده هو الحجة
ليقال فقد دفن فلان وفلان ليلا بل يقع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة
الظاهرة التي هي كالمتواتر انها اوصت ان تدفن ليلا حتى لا يصلي الرجلان عليها
وصرحت بذلك وعهدت فيه عهدا بعد ان كانا استاذنا عليها في مرضها ليعوداها فابت ان تاذن
لهما فلما طال عليهما المدافعة رغبا الى امير المؤمنين عليه السلام في ان يستاذن لهما وجعلاها
حاجة اليه وكلمها عليه السلام في ذلك والح عليها فاذنت لهما في الدخول ثم اعرضت عنهما عند
دخولهما ولم تكلمهما فلما خرجا قالت لامير المؤمنين عليه السلام هل صنعت ما اردت قال نعم
قالت فهل انت صانع ما امرك به قال نعم قالت فاني انشدك الله ان لا يصليا على جنازتي ولا يقوما
على قبري وروي انه عليه السلام عفى قبرها وعمى عليها ورش اربعين قبرا في البقيع ولم يرش
قبرها حتى لا يهتدى اليه وانهما عاتباه على ترك اعلامهما بشانها واحضارهما الصلاة عليها
فمن ههنا احتججنا بالدفن ليلا ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه وما تاخر عنه لم
يكن فيه حجة فاما حكايته عن ابي علي انكار ضرب الرجل لها وقوله ان جعفر بن محمد واباه وجده كانوا
يتولونهما فكيف لا ينكر ابو علي ذلك واعتقاده فيهما اعتقاده وقد كنا نظن ان مخالفينا
يقتنعون ان ينسبوا الى ائمتنا الكف عن القوم والامساك وما ظننا انهم يحملون انفسهم
على ان ينسبوا اليهم الثناء والولاء وقد علم كل واحد ان اصحاب هؤلاء السادة والمختصين بهم قد رووا
عنهم ضد ما روى شعبة بن الحجاج وفلان وفلان وقولهم هما اول من ظلمنا حقنا وحمل
الناس على رقابنا وقولهم انهما اصفيا باناءنا واضطجعا بسبلنا وجلسا مجلسا نحن احق به
منهما الى غير ذلك من فنون التظلم والشكاية وهو طويل متسع ومن اراد استقصاءه فلينظر
في كتاب المعرفة لابي اسحاق ابراهيم بن سعيد الثقفي فانه قد ذكر عن رجال من اهل البيت بالاسانيد
النيرة ما لا زيادة عليه ثم لو صح ما ذكره شعبة لجاز ان يحمل على التقية فاما ما ذكره من ان اهل
وسائل ما كنا نظن ان نشتغل به لكن ذلك وهذا من اقوال الغلاة الذين ضلوا في امير المؤمنين عليه السلام
واهل البيت فليسوا من الشيعة ولا من المسلمين واي عيب علينا فيما يقولونه ثم ان جماعة من مخالفينا
قد عابوا ابا بكر وعمر ورووا روايات مختلفة فيهما تجري مجرى ما ذكرناه في الشناعة ولا نلوم العقلاء
وذوي الالباب من المخالفين غير ذلك واما معارضته ما روي في فاطمة بما روي ان هما اعانا
ونقصهما نقيا والخبر الذي رويناه مجمع عليه والخبر الاخر مطعون فيه فكيف يعارض ذلك بهذا

واما قوله انما قصد من رواية هذه الاخبار تضعيف دلالة الاعلام في النفوس من حيث اضاف النفاق
الى من شاهدها فتشنيع في غير موضعه واستناد الى ما لا يجدي نفعا لان نفاق من شاهد الاعلام
لا يضعفها ولا يوهن دليلها ولا يقدح في كونها حججا لان الاعلام ليست ملجئة الى العلم ولا موجبة حصوله على
كل حال وانما تثمر العلم لمن امعن النظر فيها من الوجه الذي تدل منه فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره
لا يكون عدوله مؤثرا في دلالتها وكم قد عدل من العقلاء وذوي الاحلام الراجحة والالباب الصحيحة
عن تامل هذه الاعلام واصابة الحق منها ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب قادحا في
دلالة الاعلام على ان هذا القول يوجب علينا ان ننفي الشك والنفاق عن كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وعاصره
وشاهد اعلامه كابي سفيان وابنه وعمرو بن العاص وفلان وفلان ممن قد اشتهر نفاقهم وظهر شكهم في الدين
وارتيابهم في المعاد ... وان كانت اضافة النفاق الى هؤلاء لا تقدح في دلالة الاعلام فكذلك القول
في غيرهم واما قوله ان حديث الاحراق لم يصح ولو صح لساغ لعمر مثل ذلك فقد بينا ان خبر الاحراق قد رواه
غير الشيعة وقوله انه يسوغ مثل ذلك فكيف يسوغ احراق بيت علي وفاطمة وهل في ذلك عذر يصغى
اليه او يسمع وانما يكون علي واصحابه خارقين للاجماع ومخالفين للمسلمين لو كان الاجماع قد تقرر وثبت
وليس بمتقرر ولا ثابت مع خلاف علي عليه السلام وحده فضلا عن ان يوافقه على ذلك غيره وبعد فلا
فرق بين ان يهدد بالاحراق لهذه العلة وبين ان يضرب فاطمة لمثلها فان احراق المنازل اعظم
من ضرب سوط او سوطين فلا وجه لامتعاض المخالف من حديث الضرب اذا كان عنده مثل هذا
الاعتذار ولما ... الكلام في عصمة فاطمة عليها السلام فهو يغني الكلام ... والقول
في موضع غير هذا واما قول المرتضى اذا كانت صادقة لم تبق حاجة الى من يشهد لها فلقائل
ان يقول لم قلت ذلك ولم زعمت ان الحاجة الى البينة انما كانت لزيادة غلبة الظن ولم لا يجوز
ان يكون الله تعالى تعبد بالبينة لمصلحة يعلمها وان كان المدعي لا يكذب اليس قد تعبد الله تعالى بالعدة
في العجوز التي قد ايست من الحمل وان كان اصل وضعها لاستبراء الرحم واما قصة خزيمة بن ثابت
فيجوز ان يكون الله تعالى قد علم ان مصلحة المكلفين في تلك الصورة ان يكتفى بدعوى النبي صلى
الله عليه وآله وحدها ويستغنى فيها عن الشهادة ولا يمتنع ان يكون غير تلك الصورة مخالفا
لها وان كان المدعي لا يكذب ويبين ذلك ان مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على
ايدي الائمة والصالحين فلو قدرنا ان واحدا من اهل الصلاح ... وادعى دعوى وقال بحضرة
جماعة من الناس من جملتهم القاضي ... ان كنت صادقا فاظهر علي معجزا خارقا للعادة فظهرت
عليه ليعلمنا انه صادق ومع ذلك لا تقبل دعواه الا ببينة وسألت علي بن الفارقي الشافعي مدرس
المدرسة الغربية ببغداد فقلت له اكانت صادقة قال نعم قلت فلم لم يدفع اليها ابو بكر فدك
وهي عنده صادقة فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته
فقال لو اعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت اليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته
عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لانه يكون قد اسجل على نفسه بانها صادقة
فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة الى بينة ولا شهود واما قول قاضي القضاة لو
كانت في يدها لكان الظاهر انها لها والامر على ما قال [illegible] انه لم يخرج عن يدها على وجه
كان الظاهر يقتضي خلافه فانه لم يحتج عما ذكره قاضي القضاة الا بمعنى قوله انها لو كانت
في يدها اي متصرفة فيها لكانت اليد حجة في الملكية لان اليد والتصرف حجة لا محالة
ولو كانت في يدها تتصرف فيها وفي ارتفاعها كما يتصرف الناس في ضياعهم واملاكهم لما احتاجت الى

الاحتجاج

٥٧

الاحتجاج باية الميراث ولا بدعوى النحل لان اليد حجة فهلا قالت لابي بكر هذه الارض في
يدي فلا يجوز انتزاعها مني الا بحجة وحينئذ كان يسقط احتجاج ابي بكر بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث لانها ما كانت تدعيها ميراثا ليحتج عليها بالخبر وخبر ابي سعيد في
قوله فاعطاها فدك يدل على الهبة لا على القبض والتصرف لانه يقال اعطاني فلان كذا فلم اقبضه
ولو كان الاعطاء هو القبض والتصرف لكان هذا الكلام متناقضا فاما تعجب المرتضى من قول ابي علي
ان دعوى الارث كانت متقدمة على دعوى النحل وقوله انا لا نعرف غرضا في ذلك فانه لا يصح
له بذلك مذهب ولا يبطل على مخالفيه مذهب فان المرتضى لم يقف على مراد الشيخ ابي علي
رحمه الله في ذلك وهذا شيء يرجع الى اصول الفقه فان اصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب
بخبر الواحد باجماع الصحابة لانهم اجمعوا على تخصيص الكتاب بخبر الواحد باجماع الصحابة لانهم اجمعوا
على تخصيص قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم برواية ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا نورث ما تركناه صدقة قالوا والصحيح في الخبر ان فاطمة عليها السلام طالبت بعد ذلك بالنحل لا
بالميراث فلهذا قال الشيخ ابو علي ان دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل وذلك لانه ثبت
ان فاطمة عليها السلام انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لابي بكر فلو كانت دعوى
الارث متاخرة وانصرفت عن سخط لم يثبت الاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد اما اذا كانت
دعوى الارث متقدمة فلما روي لها الخبر امسكت وانتقلت الى النزاع من جهة اخرى فانه يصح حينئذ
الاستدلال بالاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد فاما انا فان الاخبار عندي متعارضة يدل
بعضها على ان دعوى الارث متاخرة ويدل بعضها على انها متقدمة وانا في هذا الموضع متوقف
وما ذكره المرتضى من ان الحال تقتضي ان تكون البداية بدعوى النحل فصحيح واما اخفاء القبر وكتمان
الموت وعدم الصلاة عليها وكل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي لان
الروايات به اكثر واصح من غيرها وكذلك القول في موجدتها وغضبها فاما المنقول عن
رجال اهل البيت فانه يختلف فتارة وتارة وعلى كل حال فميل اهل البيت الى ما فيه نصرة [illegible]
وبيتهم وقد اخل قاضي القضاة بلفظة حكاها عن السيد فلم يتكلم عليها وهي لفظة
حسنة قد كان الاجمل ان يمنعهم التكرم عما ارتكبوا فضلا عن الدين وهذا الكلام لا جواب
عنه ولقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عهده يقتضي ان تعوض
ابنته بشيء يرضيها ان لم يستنزل المسلمون عن فدك وتسلم اليها تطييبا لقلبها وقد يسوغ للامام ان
يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين اذا راى المصلحة فيه وقد بعد العهد الان بيننا وبينهم ولا نعلم
حقيقة ما كان والى الله ترجع الامور

الأصل

ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا
القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز
او باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى
واكباد حرى او اكون كما قال القائل

وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

اأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم
في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها
او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا

واخرجك من مخالب العلوم العاقبه وطريق المشاهده

الشرح

قد روى ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا البر المنقى وهو
هذا البر يكون سمح وقودا وليحكم معهودا ودوى ولعل باليمامة من لا طمع له في القرص
اى لا يحصل ما يطمع وحولي بطون غرثى اى جائعة وحرى اى عطشى وبروى بطون غرثى
بالبطن عربى والنهم الجائع والجشع لشدة الجوع والبطان الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الاكل
فاما المبطن فالضامر البطن واما البطين فالعظيم البطن لا من الاكل واما البطن فهو الذي
يهمه الاطنه واما المبطون فالعليل البطن ويطون غرثى جائعة والبطنة الكظة وذلك
ان يمتلئ الانسان من الطعام امتلاء شديدا وكان يقال ينبغي للانسان ان يجعل وعا بطنه اثلاثا ثلثا
للطعام وثلثا للشراب وثلثا للنفس والتقمم اكل الشاه ما بين يديها بمقمتها اى شفتها
وكل ذى ظلف كالثور وغيره مقمه ومقم ويكترش من اعلافها تملا كرشها من العلف قوله
او اخرجك الضلالة منصوب بالعطف على يشغلني وكذلك اترك ويقال الحزنة رسنه
اذا اهمله والاعتساف السلوك في طريق غير واضح والمتاهة الارض يتاه فيها اى يحار
وفي قوله لو شئت لاهتديت شبه من قول عمر رحمه الله لو نشاء لملانا هذه الرحاب من صلائق
وصناب وقد ذكرناه فيما تقدم وهذا الشعر من ابيات منسوبة الى حاتم بن عبد الله
الطائي ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس النهدي

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني لست آكله وحدي

بعيدا قصيا او قريبا فانني ... اخاف مذمات الاحاديث من بعدي

كفى بك عارا ان تبيت ببطنة ... وحولك اكباد تحن الى القد

واني لعبد الضيف ما دام نازلا ... وما في الا ذاك من شيمة العبد

الغدى

الاصل

وكأني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال
الاقران ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة
ارق جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من رسول الله صلى الله
عليه كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما
وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض
من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد

الشرح

الشجرة البرية التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه فهي اصلب
عودا من الشجرة التي تنبت في الارض الندية والى هذا اشار بقوله والروائع الخضرة
ارق جلودا ثم قال والنابتات العذية التي تنبت عذيا والعذي بسكون الذال الزرع الذي لا
يسقيه الا ماء المطر وهو يكون اقل اخذا من الماء سقيا قال عليه السلام انها
تكون اقوى وقودا مما شرب الماء السائح اعنى الناضح وابطا خمودا وذلك لصلابة جرمها
ثم قال وانا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد وذلك لان الضوء الاول
يكون علة في الضوء الثاني الا ترى ان الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس فهذا
الضوء هو الضوء الاول ثم انه يقابل وجه الارض فيضيء وجه الارض منه فالضوء

الذي

الذي على وجه الارض هو الضوء الثاني وما دام الضوء الاول ضعيفا فالضوء الثاني ضعيف
فاذا ازداد الجو اضاءة ازداد وجه الارض اضاءة لان المعلول يتبع العلة فشبه عليه السلام
نفسه بالضوء الثاني وشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضوء الاول وشبه منبع
الاضواء والانوار سبحانه وجلت اسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الاول ثم الضوء الاول يوجب
الضوء الثاني وها هنا نكتة وهي ان الضوء الثاني يكون ايضا علة لضوء ثالث وذلك ان
الضوء الحاصل على وجه الارض وهو الضوء الثاني اذا اشرق على جدار وقابل ذلك الجدار قريبا
منه مكانا مظلما فان ذلك المكان المظلم بان وكان داخل البيت مقابلا لذلك البادي جدار
كانه لذلك الجدار اشد اضاءة من داخل البيت ثم ان ذلك الجدار ان كان فيه ثقب الى موضع اخر
كان ما يحاذي ذلك الثقب اشد اضاءة مما حواليه وهكذا لا تزال الاضواء يوجب بعضها بعضا
على وجه الارض فضار بطريق العلية وشرط المقابلة ولا تزال تضعف درجة درجة الى ان
تضمحل ويعود الامر الى الظلمة وهكذا حال العلوم والمعارف الماخوذة من امير المؤمنين عليه السلام
لا تزال تضعف كلما انتقلت من قوم الى قوم الى ان يعود الاسلام غريبا كما بدا بموجب
الخبر النبوي الوارد في الصحاح فاما قوله وكالذراع من العضد فلان الذراع فرع على
العضد والعضد اصل الا ترى انه لا يمكن ان يكون ذراع الا اذا كان عضد ويمكن ان
يكون عضد لا ذراع له ولهذا قال الراجز لولده

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد ... اصبحت مني كذراع من عضد

فشبه عليه السلام نفسه بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذراع الذي العضد اصله
واسه فالمراد من هذا التشبيه الابانة عن شدة الامتزاج والاتحاد والقرب بينهما فان الضوء
الثاني شبيه بالضوء الاول والذراع متصل بالعضد اتصالا بينا وهذه المنزلة قد اعطاه
اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامات كثيرة نحو قوله في قصة براءة قد امرت
ان لا يؤدي عني الا انا او رجل مني والشبهة يعني وبعده او لابعثن عليكم رجلا مني
او قال عديل نفسي وقد سماه الكتاب العزيز نفسه فقال ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم وقد قال له لحمك مختلط بلحمي ودمك مسوط بدمي وشبرك وشبري
واحد فان قلت اما قوله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها فمعلوم فالعادة
من حاله ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وهل هذا مما يفتخر به العرب
الرؤساء ويعد فيه منقبة وانما المنقبة ان لو امكنته الفرصة وعفا قلت عرضه
اي تفرق في نفوس اصحابه وغيرهم من العرب انه يحارب على حق وان حربه لاهل الشام
كالجهاد ايام رسول الله صلى الله عليه وان من يجاهد الكفار يجب عليه ان يغلظ عليهم
ويستاصل شافتهم الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاهد بني قريظة وظفر
لم يبق ولم يعف وحصدهم في يوم واحد رقاب الف انسان صبرا في مقام واحد لما علم
في ذلك من اعزاز الدين واذلال المشركين فالعفو له مقام والانتقام له مقام قوله عليه السلام
وساجهد في ان اطهر الارض الاشارة في هذا الى معاوية سماه شخصا معكوسا وجسما
مركوسا والمراد انعكاس عقيدته وانه ليس على هدى بل معاكس للحق والصواب
وسماه مركوسا من قولهم ارتكس في الضلال والركس رد الشيء مقلوبا قال والله
اركسهم بما كسبوا اي قلبهم وردهم الى كفرهم فلما كان تاركا للفطرة التي كل

مولود يولد عليها كان من كتابي في ضلالة. وأصحاب التناسخ يفسرون هذا بتفسير آخر، قالوا الحيوان منتصب ومنحنٍ، فالمنتصب الإنسان، والمنحني هو ما كان منكوساً رأسه إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع، قالوا فإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم، قالوا فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المنكوس، وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى الحيوان المنتصب، ولما كان معوية عنده عليه السلام من أهل الشقاوة سماه منكوساً ومركوساً رمزاً إلى هذا المعنى. قوله حتى تخرج المدرة من حب الحصيد، أي حتى يطهر الدين وأهله منه، وذلك لأن الزراع يجتهدون في إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كي لا تفسد منابته فيفسد الحب الذي يخرج منه، فشبه معوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب، وشبه الدين بالحب الذي هو ثمرة الزرع.

الأصل

ومن هذا الكتاب وهو آخره: إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلت من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك، ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود، والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني، وأمم ألقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر، هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازور عن حبائلك وفق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

الشرح

إليك عني أي ابعدي، وحبلك على غاربك كناية من كنايات الطلاق، أي اذهبي حيث شئت، لأن الناقة إذا ألقي حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت وتذهب أين شاءت، لأنه إنما يردها زمامها، والغارب ما بين السنام والعنق، والمداحض المزالق. وقيل إن في النسخة التي بخط الرضي غررتيهم بالياء وكذلك فتنتيهم وألقيتيهم وأسلمتيهم وأوردتيهم، والأحسن حذف الياء إذا كانت الرواية وردت بها فهي من إشباع الكسرة كقوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

ومضامين اللحود أي الذين تضمنتهم، وفي الحديث نهى عن بيع المضامين والملاقيح، وهي ما في أصلاب الفحول وبطون الإناث. ثم قال لو كنت أيتها الدنيا إنساناً محسوساً كالواحد من البشر لأقمت عليك الحد لما فعلت بالناس، ثم شرح أفعالها فقال منهم من غررته ومنهم من ألقيته في مهاوي الضلال والكفر، ومنهم من أتلفته وأهلكته. ثم قال من وطئ دحضك زلق، أي مكان دحض أي مزلة. ثم قال لا يبالي من سلم منك إن ضاق به مناخه، لا يبالي بالفقر ولا بالمرض ولا بالحبوس والسجون وغير ذلك من أنواع المحن، لأن هذا كله حقير لا يعتد به في جنب السلامة من فتنة الدنيا. قال والدنيا عند من قد سلم منك كيوم قرب انقضاؤه وفناؤه.

الأصل

اعزبي عني فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني، وايم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص

إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع، قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية. طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك.

الشرح

اعزبي ابعدي، يقال عزب الرجل بالفتح أي بعد، ولا أسلس لك بفتح اللام أي لا أنقاد لك، سلس الرجل بالكسر يسلس فهو بين السلس أي سهل قياده. ثم حلف واستثنى بالمشيئة أدباً كما أدب الله تعالى رسوله، ليروضن نفسه أي يدربها بالجوع، والجوع هو أصل الرياضة عند الحكماء وأرباب الطريقة. قال حتى أهش إلى القرص أي إلى الرغيف، وأقنع من الأدام بالملح، ونضب معينها فني ماؤها. ثم أنكر على نفسه فقال أتشبع السائمة من رعيها فتبرك، والرعي بكسر الراء وهو الكلأ، والربيضة جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها، فأنا أيضاً مثلها أشبع وأنام، لقد قرت عيني إذاً حيث أشابه البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعلم والجد في السنين المتطاولة. قوله وعركت بجنبها بؤسها أي صبرت على بؤسها والمشقة التي تنالها، يقال قد عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه. قوله افترشت أرضها أي لم يكن لها فراش إلا الأرض، وتوسدت كفها أي لم يكن لها وسادة إلا الكف. قوله وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم لفظ الكتاب العزيز تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وهمهمت تكلمت كلاماً خفياً، وتقشعت ذنوبهم زالت وذهبت كما يتقشع السحاب. قوله ولتكفف أقراصك إنما هو نهي لابن حنيف أن يكف عن الأقراص، وإن كان اللفظ يقتضي أن تكف الأقراص عن ابن حنيف، ومثله قولهم لا أرينك ها هنا، قالوا فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك، والتاء ههنا للأمر عوض الياء وهي لغة لا بأس بها، وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فبذلك فلتفرحوا بالتاء.

آخر الجزء السادس عشر

من نهج البلاغة لابن أبي الحديد

الجزء السابع عشر

الأصل

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به لهاة الثغر المخوف، فاستعن بالله على ما أهمك، واخلط الشدة بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة، واخفض

حاجتك واسبط لهم وجهك والن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام

الشرح

قد اخذ الشاعر معنى قوله وآس بينهم في اللحظة والنظرة فقال

امّا اللحظ بيننا اي في اللحظ ● لعنوان ما عن الصدور ●

اما البر وصية قاد اما كان بشرا فروضة وغدير ●

وقوله آس بينهم اي اجعلهم اسوة وروي وساو بينهم في اللحظة والمعنى واحد واستظهر به اجعله كالظهر والعون الكثير والاثيم المخطي المذنب وقوله واسدد لهاه الثغر اسنان حسنة والضغث في الاصل قبضة حشيش مختلط يابسها بشيء من الرطب ومنه اضغاث الاحلام للرؤيا المختلطة التي لا تصح تأويلها فاستعار اللفظة ههنا والمراد مزج الشدة بشيء من اللين فاجعلها كالضغث وقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قوله واعتزم بالشدة اي اذا جد بك الجد فدع اللين فان حال الشدة لا يغني الا الشدة قال الفند الزماني

● فلما صرح الشر فامسى وهو عريان ●

● ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ●

قوله حتى لا يطمع العظماء في حيفك اي حتى لا يطمع العظماء في ان تمالئهم على حيف الضعفاء وقد تقدم مثل هذا فيما سبق

الاصل

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام

لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها ذوي عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع اهلي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وسلم يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور

الشرح

روي واعملا للآخرة وروي ولا تقهروا افواههم يقول لا تطلبا الدنيا وان طلبتكما فاذا كان من يطلبه الدنيا منهيا عن طلبها فمن لا تطلبه يكون منهيا عن طلبها بطريق الاولى ثم قال ولا تأسفا على شيء منها

ذوي

ذوي عنكما اي قبض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وروي بأسا وكلاهما معنى واحد اي الحزن وهذا من قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقوله صلاح ذات البين اخذ هذه اللفظة عبد الملك بن مروان فقال لبنيه وقد جمعهم عنده يوم موته

● انفوا الضغائن بينكم وعليكم ● عند المغيب وفي حضور المشهد ●

● بصلاح ذات البين طول بقائكم ● ان مد في عمري وان لم يمدد ●

● ان القداح اذا اجتمعن فرامها ● بالكسر ذو بطش شديد ايّد ●

● عزت فلم تكسر وان هي بددت ● فالوهن والتكسير للمتبدد ●

وذات ههنا زائدة مقحمة قوله فلا تغبوا افواههم اي لا تجيعوهم بان تطعموهم غبا ومن روى فلا تغيروا فذلك لان الجائع يتغير فمه قال عليه السلام لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ولا يضيعوا بحضرتكم والنهي في الظاهر للايتام وفي المعنى للاوصياء والاولياء والظاهر انه لا يعني الايتام الذين لهم مال تحت ايدي اوصيائهم لان اولئك الاوصياء محرم عليهم ان يصيبوا من اموال اليتامى الا القدر النزر جدا عند الضرورة ثم يقضونه مع التمكن ومن هذه حاله لا يحسن ان يقال له لا تغيروا افواه ايتامكم وانما الظاهر انه يعني الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتعين مواساتهم ويقبح القعود عنهم كما قال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا واليتم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام لان الآباء من البهائم لا عناية لهم بالاولاد بل العناية للام لانها المرضعة المشفقة واما الناس فان الاب هو الكافل القيم بنفقة الولد فاذا مات وصل الضرر اليه لفقد كافله والام عاجزة عن ذلك وجمع يتيم على ايتام كما قالوا شريف واشراف وحكى ابو علي في التكملة كمي واكماء ولا يسمى الصبي يتيما الا اذا كان دون البلوغ فاذا بلغ زال اسم اليتم عنه والثاني احد الاصناف الذين عينوا في الخمس بنص الكتاب ثم اوصى بالجيران واللفظ الذي ذكره عليه السلام قد ورد مرفوعا في رواية عبد الله بن عمر لما ذبح شاة فقال اهديتم لجارنا اليهودي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وعنه عليه السلام جار السوء في دار المقامة قاصمة الظهر وعنه عليه السلام من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامة ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وافشاها ومن دعائهم اللهم اني اعوذ بك من مال يكون علي فتنة ومن ولد يكون علي كلا ومن حليلة تقرب المشيب ومن جار ترعاني عيناه وترعاني اذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ابن مسعود يرفعه والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه ويأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال غشمه وظلمه لقمان يا بني حملت الحجارة والحديد فلم ار شيئا اثقل من جار السوء وانشد

● الا من يشتري دارا برخص ● كراهة بعض جيرتها تباع ●

وقال الاصمعي جاور اهل الشام الروم فاخذوا عنهم خصلتين اللؤم وقلة الغيرة وجاور اهل البصرة الخزر فاخذوا عنهم خصلتين الزنا وقلة الوفاء وجاور اهل الكوفة السواد فاخذوا عنهم خصلتين السخاء والغيرة وكان يقال من تطاول على جاره

حرم بركة داره وكان يقال من اذى جاره ورثه الله داره باع ابو الجهم العدوي داره وكان في جوار سعيد بن العاص بمائة الف درهم فلما احضرها المشتري قال له هذا ثمن الدار فاعطني ثمن الجوار قال اي جوار قال جوار سعيد بن العاص قال وهل اشترى احد جوارا قط فقال ردّ علي داري وخذ مالك لا ادع جوار رجل ان قعدت سال عني وان رآني رحّب بي وان غبت حفظني وان شهدت قربني وان سألته قضى حاجتي وان لم اسأله بدأني وان نابتني نائبة فرّج عني فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه مائة الف درهم وقال هذا ثمن دارك ودارك لك الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى جاءت امراة الى الحسن فشكت اليه الخلة وقالت انا جارتك قال كم بيني وبينك قالت سبع ادور فنظر الحسن فاذا تحت فراشه سبعة دراهم فاعطاها اياها وقال كدنا نهلك كان كعب بن مامة اذا جاوره رجل قام له بما يصلحه وحماه ممن يقصده وان هلك له شيء اخلفه عليه وان مات وداه لاهله فجاور ابو دواد الايادي فزاده على العادة فبالغ في اكرامه فكانت العرب اذا حمدت جارا قالت جار كجار ابي دواد قال قيس بن زهير

اطوّف ما اطوّف ثم آوي ۞ الى جار كجار ابي دواد ۞

ثم تعلّمه ابو دواد فكان يقول في كعب يمدح الدارمي

ما ضرّ جارا لي اجاوره ۞ ان لا يكون لبابه ستر ۞

اعمى اذا ما جارتي خرجت ۞ حتى يواري جارتي الخدر ۞

نار ونار الجار واحدة ۞ واليه قبلي تنزل القدر ۞

استعرض ابو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا فقال لاصحابه لماذا تصلح هذه فذكروا السباق وصيد الحمر والنعام واتباع الفار من الحرب فقال لم تصنعوا شيئا تصلح للفرار من جار السوء سال سليمان بن علي خالد بن صفوان عن ابنيه محمد وسليمان وكانا جاريه فقال كيف احمدك جوارهما فتمثّل لا يقول يزيد بن مفرغ الحميري

سقى الله دارا لي وارضا تركتها ۞ الى جنب داري معقل بن يسار ۞

ابو مالك جار لها وابن مرثد ۞ فيالك جاري ذلة وصغار ۞

وفي الحديث المرفوع ابهامي رواية جابر الجيران ثلثة فجار له حق وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فصاحب الحق الواحد جار مشرك لا رحم له فحقه حق الجوار وصاحب الحقين جار مسلم لا رحم له وصاحب الثلثة جار مسلم ذو رحم وادنى حق الجوار ان لا تؤذي جارك بقتار قدرك الا ان تقدح له منها قلت يقدح يغرف والمقدحة المغرفة وكان يقال الجيران خمسة الجار الضارة السيئ الجوار والجار الدمث الحسن الجوار والجار اليربوعي المنافق والجار البراقشي الملون في افعاله والجار الحسلي الذي عينه تراك وقلبه يرعاك وروى ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول قوله عليه السلام والله الله في القران امرهما بالمسارعة الى العمل به ونهاهما ان يسبقهما غيرهما الى ذلكم امرهما بالصلوة والحج وشدد الوصاة في الحج فقال فانه ان ترك لم تناظروا وان تحمل الانتقام منكم فاما المثلة فمنهي عنها امر رسول الله صلى الله عليه ان تمثل بهبار بن الاسود لانه روّع زينب حتى اجهضت ثم نهى عن ذلك وقال لا مثلة المثلة حرام

الاصل

ومن

ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وان البغي والزور يوتغان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتالوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القران ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القران الى حكمه الشرح يوتغان يهلكان والوتغ بالتحريك الهلاك وقد وتغ يوتغ وتغا اي اثم وهلك واوتغه الله اهلكه واوتغ فلان دينه بالاثم قوله فتالوا على الله اي حلفوا من الالية وهي اليمين وفي الحديث من يتألّ على الله يكذبه ومعناه من اقسم تجبرا واقتدارا لافعلن كذا اكذبه الله ولم يبلغه امله وقد روي تاولوا على الله اي حرفوا الكلم عن مواضعه وتعلقوا بشبهة في تاويل القران انتصارا لمذاهبهم فاكذبهم الله باظهار للعقلاء فساد تاويلاتهم والاول اصح ويغتبط فيه يفرح ويسر وهي الغبطة بالسرور وروي يغبط فيه اي يتمنى مثل حاله قوله ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه البالي هي حرف المضارعة عائد على المكلف الذي امكن الشيطان من قياده يقول اذا لم يجاذب الشيطان قياده فانه يندم فاما من جاذبه قياده فقد قام بما عليه ومثل قوله ولسنا اياك اجبنا قوله والله ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القران ومعنى محلوقا ثم الاحد بيان

الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى

عمرو بن العاص اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليه ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال منها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام الشرح

هذا مثل قول الناس صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا والاصل من هذا قول الله تعالى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملا عين ابن آدم الا التراب وهذا من القرآن الذي رفع ونسخت تلاوته وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال ان امير المؤمنين عليه السلام كتبه الى عمرو بن العاص وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرضي واما بعد فان الدنيا مشغلة عن الآخرة وصاحبها منهوم عليها لم يصب شيئا منها قط الا فتحت عليه حرصا وادخلت عليه مؤونة تزيده رغبة فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يدرك ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط اجرك ابا عبد الله ولا تشرك معاوية في باطله فان معاوية غمص الناس وسفه الحق والسلام قال نصر وهذا اول كتاب كتبه علي عليه السلام الى عمرو بن العاص فكتب عمرو جوابه اما بعد فان الذي فيه صلاحنا والفة ذات بيننا ان تنيب الى الحق وان تجيب الى ما تدعون اليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على الحق وعذره الناس بالمحاجزة والسلام قال نصر فكتب علي عليه السلام الى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا وهو الذي ضرب مثله بالكلب يتبع الاسد وهو مذكور في نهج البلاغة واللهج الحرص ومعنى قوله لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي اي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه ان تنفقه في الضلال وطلب الدنيا وتضيعه الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى امرائه على الجيوش

من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره عن رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده

وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي
دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا
عندي في الحق سوى فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا
تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا لي
على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها
رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم

اصحاب المسالح جماعات يكونون بالثغر يحمون البيضة والمسلحة هي الثغر كالمرقب وفي الحديث كان
ادنى مسالح فارس الى العرب العذيب قال حث على الولاة ان لا يتطاولوا على الرعية بولايتهم وما
خصوا به عليهم من الطول وهو الفضل وان تكون تلك الزيادة التي اعطيها سببا لزيادة دنوه
من الرعية وحنوه عليهم ثم قال لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا استثنى فقال الا في حرب
وذلك لان الحرب يحمل فيها طي الاسرار والحرب خدعة قال ولا اطوي دونكم امرا الا في
حكم اي اظهركم على كل ما في نفسي مما يحسن اظهاركم عليه فاما الاحكام الشرعية والقضاء
على احد الخصمين فاني لا اعلمكم به قبل وقوعه كيلا تفسد القضية بان يحتال ذلك من
السجل لصرف الحكم عنه ثم ذكر انه لا يؤخر لهم حقا عن محله يعني العطا وانه لا يقف به دون
مقطعه والحق هاهنا غير العطا بل الحكم
فان الحق مقطعه ثلاث يمين او نفار او جلاء
اي متى تعين الحكم حكمت به وقطعت ولا اقف ولا احبس فلما استوفى ما شرطه لهم قال
فاذا انا وفيت بما شرطت على نفسي وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة ثم اخذ في الاشتراط
عليهم كما شرط لهم فقال ولي عليكم ان لا تنكصوا عن دعوة اي لا تقاعسوا عن الجهاد اذا دعوتكم
اليه ولا تفرطوا في صلاح اي اذا امكنتكم فرصة وانتم مصلحة في حرب العدو وجماعة المسلمين فلا تفرطوا
فيها فتفوت وان تخوضوا الغمرات الى الحق اي تكابدوا المشاق العظيمة ولا يهولنكم خوضها
الى الحق ثم توعدهم ان لم يفعلوا ذلك ثم قال فخذوا هذا من امرائكم ليس يعني به لمن على
هؤلاء اصحاب المسالح امراء من قبله عليه السلام كالواسطة بينهم وبينه بل من امرائكم
يعني من يقوم في الخلافة مقامي بعدي لانه لو كان الغرض هو الاول لما كان يحلفهم
عنه انه يقول لا احتجز دونكم ولا اطوي دونكم امرا لان محل من كان بتلك الصفة
دون هذا

الاصل ومن كلام له عليه السلام الى عماله على الخراج

من عبد الله امير المؤمنين علي الى اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر
اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن
فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثوابه ما لا عذر في ترك
طلبه فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة
وسفراء الائمة ولا تحشموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج
كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم
ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على
اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه ولا تدخروا

انفسكم

٦٢

نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا في سبيله ما استوجب
عليكم فان الله قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا
بالله العلي العظيم

الشرح يقول لو قدرنا ان القبائح العقلية
كالظلم والبغي لا عقاب على فعلها بل في تركها ثواب فقط لم يكن الانسان معذورا اذا فرط في ذلك الترك
لانه يكون قد حرم نفسه نفعا هو قادر على ايصاله اليها قوله ولا تحشموا احدا اي لا تغضبوا طالب
حاجة فتقطعوه عن طلبها احشمت زيدا واحتشمته وهو ان يجلس اليك فتغضبه وتؤذيه وقال ابن
الاعرابي حشمته اخجلته واحشمته اغضبته والاسم الحشمة وهي الاستحيا والغضب ثم نهاهم ان
يبيعوا لارباب الخراج ما هو من ضروراتهم ثم نهاهم عن ضرب الابشار لاستيفا الخراج وكتب عدي بن
ارطاة الى عمر بن عبد العزيز يستاذنه في عذاب العمال فكتب اليه كاني بك جنة من عذاب الله وكان
رضاي ينجيك من سخط الله من قامت عليه بينة او اقر ما لم يكن مضطهدا مضطرا الى الاقرار به
فخذه بما ادا فان كان قادرا عليه فاستاده فان ابا فاحبسه وان لم يقدر فخل سبيله بعد
ان تحلفه بالله لا يقدر على شيء فلان يلقوا الله بخياناتهم احب الي من ان القاه بدمائهم ثم
نهاهم عليه السلام ان يعرضوا لمال احد من المسلمين او من المعاهدين والمعاهد هاهنا الذمي او
من يدخل في دار الاسلام من بلاد الشرك على عهد اما لاداء رسالة او لتجارة ونحو ذلك ثم يعود
الى بلاده قال الا ان تخافوا غائلة المعاهدين بان تجدوا عندهم خيولا وسلاحا وتظنوا منهم وثبة
على بلد من بلاد الاسلام فانه لا يجوز الاغضاء عن ذلك حينئذ قوله وابلوا في سبيله اي اصطنعوا
من المعروف في سبيل الله ما استوجب عليكم يقال هو يبلوه معروفا اي يصنعه اليه قال
زهير

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ... وابلاهما خير البلاء الذي يبلو

قوله قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره اي لان نشكره لام التعليل وحذفها اي احسن الينا
لنشكره وحذفها كثير كقوله بئسما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم

الاصل ومن كتاب له عليه السلام كتبه
الى امراء البلاد في معنى الصلاة اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس
مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار
فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى
الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم
صلاة اضعفهم ولا تكونوا فتانين

الشرح قد اختلف الفقهاء
في اوقات الصلاة فقال ابو حنيفة رحمه الله اول وقت الفجر اذا طلع الفجر الثاني وهو
المعترض في الافق واخر وقتها ما لم تطلع الشمس واول وقت الظهر اذا زالت الشمس واخر
وقتها اذا صار ظل كل شيء مثليه سوى في الزوال وقال ابو يوسف ومحمد اخر وقتها
اذا صار الظل مثله قال ابو حنيفة واول وقت العصر اذا خرج وقت الظهر على القولين
واخر وقتها ما لم تغرب الشمس واول وقت المغرب اذا غربت الشمس واخر وقتها ما لم
يغب الشفق وهو البياض الذي في الافق بعد الحمرة وقال ابو يوسف ومحمد هو الحمرة
قال ابو حنيفة واول وقت العشا اذا غاب الشفق وهو على القولين واخر وقتها ما لم يطلع
الفجر وقال الشافعي اول وقت الفجر اذا طلع الفجر الثاني ولا يزال وقتها المختار باقيا
الى ان يسفر ثم يبقى وقت الجواز الى طلوع الشمس وقال ابو سعيد الاصطخري من اصحاب الشافعي

لا يبقى وقت الجواز بلا حرج وفيها بعد الإسفار ويصلي قضاء ولا شايعه على هذا القول أحد قال
الشافعي وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس وحكى أبو الطيب الطبري من الشافعية أن من الناس
من قال لا تجوز الصلاة حتى يصير الفيء بعد الزوال مثل الشراك وقال مالك رحمه الله أحب أن
تؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعاً وهذا مطابق لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام
حين تفيء الشمس كمربض العنز أي كموضع ربض العنز أو أكثر بزيادة يسيرة قال الشافعي وآخر وقت
الظهر إذا صار ظل كل شيء مثله وتعتبر المثل من حد الزيادة على الظل الذي كان عند الزوال وبهذا
القول قال أبو يوسف ومحمد وقد حكيناه من قبل وبه أيضاً قال الثوري وأحمد وهو رواية الحسن
بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة رحمه الله فأما الرواية المشهورة عنه التي رواها أبو يوسف فهو أن
آخر وقت الظهر مصير الظل مثليه وقد حكيناه فيما تقدم وقال ابن المنذر تفرد أبو
حنيفة رحمه الله عليه بهذا القول وعن أبي حنيفة رحمه الله عليه رواية بأنه إذا صار ظل كل
شيء مثله خرج وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه وقال أبو ثور
ومحمد بن جرير الطبري قدر أربع ركعات بين المثل والمثلين يكون مشتركاً بين الظهر والعصر وحكي عن
مالك أنه قال إذا صار ظل كل شيء مثله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر فإذا زاد على
المثل زيادة بينة خرج وقت الظهر واختص الوقت بالعصر وحكى عن الصباغ من الشافعية
عن مالك أن وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثله وقتاً مختاراً فأما وقت الجواز والأداء
فآخره إلى أن يبقى إلى غروب الشمس قدر أربع ركعات وهذا القول مطابق لمذهب الإمامية
وقال ابن جريج وعطاء لا يكون مفرطاً بتأخيرهما حتى تصير في الشمس صفرة وعن طاوس لا تفوت
حتى الليل فأما العصر فإن الشافعي يقول إذا زاد على المثل أدنى زيادة فقد دخل وقت العصر
والخلاف في ذلك مع محمد وبين أبي حنيفة رحمه الله عليه لأنه يقول أول وقت العصر إذا صار
ظل كل شيء مثليه وزاد عليه أدنى زيادة وقد حكيناه فيما تقدم وكلام أمير المؤمنين عليه السلام
في العصر مطابق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله عليه لأن بعد مصير الظل مثليه هو الوقت
الذي يكون فيه الشمس حية بيضاء في عضو من النهار حين يسار فيه فرسخان فأما ما قبل ذلك
فإنه فوق ذلك ويحتمل من الفراسخ أكثر من ذلك ولا يزال وقت الاختيار عند الشافعي للعصر باقياً
حتى يصير ظل كل شيء مثليه ثم يبقى وقت الجواز إلى غروب الشمس وقال أبو سعيد الإصطخري
من أصحابه يصير قضاء بمجاوزة المثلين فأما وقت المغرب فإذا غربت الشمس وغروبها سقوط
القرص وقال أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي من الشافعية لا بد أن يسقط القرص وتغيب
حاجب الشمس وهو الضياء المستعلي عليها كالمتصل بها ولم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره
وذكر الشاشي في كتاب حلية العلماء أن الشيعة قالت أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم
قال فدل على هذا عنهم ولا أساوي الحكاية ولم يذهب الشيعة إلى هذا وسنذكر قولهم
فيما بعد وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في المغرب لا نص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه
وقت الإفطار ووقت ما يدفع الحاج وكذا الأمر يحتاج إلى التعريف كما يحتاج وقت الصلاة
اللهم إلا أن يكون قد عرف أمراء البلاد الذين يصلون بالناس من قبل هذا الكتاب
متى هو الوقت الذي يفطر فيه الصائم ويدفع فيه الحاج بعينه ثم يعلمهم في هذا الكتاب
على ذلك التعريف المخصوص قال الشافعي وللمغرب وقت واحد وهو قول مالك
وحكى أبو ثور عن الشافعي أن لها وقتين وقياس فآخر وقتها إذا غاب الشفق وليس بمشهور

عنه

عنه والمشهور القول الأول وقد ذكرنا قول أبي حنيفة رحمه الله عليه فيما تقدم وهو
امتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق وبه قال أحمد وداود واختلف أصحاب الشافعي في
مقدار الوقت الواحد فمنهم من قال هو مقدار ما يتطهر وستر العورة والأذان والإقامة
وفعل ثلاث ركعات ومنهم من قدره بغير ذلك وقال أبو إسحاق الشيرازي منهم المنصوص عليه
هو في الشروع فأما الاستدامة فيجوز إلى مغيب الشفق فأما وقت العشاء فقال الشافعي هو
أن يغيب الشفق وهو الحمرة وهو قول مالك وأحمد وداود وأبي يوسف ومحمد وقد حكينا مذهب
أبي حنيفة رحمه الله عليه فيما تقدم وهو أن يغيب الشفق الذي هو البياض وبه قال زفر والمزني
قال الشافعي وآخر وقتها المختار إلى نصف الليل فهذا هو قوله القديم وهو مذهب أبي
حنيفة رحمه الله عليه وقال في الجديد إلى ثلث الليل ويحتمل قول أمير المؤمنين في العشاء إلى
إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ليكون مطابقاً لهذا القول وبه قال مالك وإحدى الروايتين
عن أحمد ثم بعد وقت الاختيار يبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني وقال أبو
سعيد الإصطخري لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل بل يصير قضاء فقد ذكرنا مذهب أبي حنيفة
رحمه الله عليه والشافعي في الأوقات وهما الإمامان المعتبران في الفقه ودخل في ضمن
حكاية مذهب الشافعي ما يقوله مالك وأحمد وغيرهما من الفقهاء فأما مذهب الإمامية
من الشيعة فنحن نذكره نقلاً من كتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالرسالة المقنعة
قال ووقت الظهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع الفيء سُبعي الشخص وعلامة الزوال رجوع الفيء
بعد انتهائه إلى النقصان وطريق معرفة ذلك بالإصطرلاب أو ميزان الشمس وهو معروف عند
كثير من الناس أو بالعمود المنصوب في الدائرة الهندية أيضاً فمن لم يعرف حقيقة العمل بذلك أو
لم يجد آلته فلينصب عوداً من خشب أو غيره في أرض مستوية السطح ويكون أصل العود
غليظاً ورأسه دقيقاً شبه المدرى الذي ينسج به التكك أو المسلة التي تخاط بها الأحمال فإن
ظل العود يكون بلا شك في أول النهار أطول من العود وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله
حتى يقف القرص في وسط السماء فيقف الفيء حينئذ فإذا زال القرص عن الوسط إلى جهة
المغرب رجع الفيء إلى الزيادة فليعتبر من أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بخطط وعلامات
يجعلها على رأس ظل العود عند وضعه في صدر النهار وكلما نقص في الظل شيء علم عليه
فإذا رجع إلى الزيادة على موضع العلامة عرف حينئذ برجوعه أن الشمس قد زالت وبذلك
أيضاً يعرف القبلة فإن قرص الشمس يقف فيها وسط النهار ويصير عن يسارها وعن يمين
المتوجه إليها بعد وقوفها وزوالها عن القطب فإذا صارت مما يلي حاجبه الأيمن من
بين عينيه علم أنها قد زالت وعرف أن القبلة تلقاء وجهه ومن سبقت معرفته بجهة
القبلة فهو يعرف زوال الشمس إذا توجه إليها فرأى عين الشمس مما يلي حاجبه الأيمن
إلا أن ذلك لا يبين إلا بعد زوالها بزمان ويبين الزوال من أول وقته بما ذكرناه من
الإصطرلاب وميزان الشمس والدائرة الهندية والعمود الذي وصفناه ومن لم
يحصل له معرفة ذلك أو فقد الآلة توجه إلى القبلة واعتبر صيرورة الشمس على طرف
حاجبه الأيمن ووقت العصر من بعد الفراغ من الظهر إذا صليت الظهر في أول وقتها
أعني بعد زوال الشمس بلا فصل ويمتد إلى أن يتغير لون الشمس باصفرارها للغروب
وللمضطر والناسي إلى مغيبها بسقوط القرص عما تبلغه أبصارنا من السماء وأول وقت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
هذه تخميس سورة الفاتحة نفعنا الله بها آمين ربنا ثم آمين
الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والارض ومبدي الخلائق
أجمعين منور بصائر العارفين بنور المعرفة اليقين جاعل أرض أسرار
~~المحققين بحبه الموصوف بالكمال~~
المحققين بحبه القريب والتجلي فاتح أقفال قلوب الموحدين
بما فتح جمال الكريم أحمده حمدا يعرف وتعالى

Copyright © King Saud University